



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

معاني القبول والرفض في القرآن الكريم دراسة في الألفاظ والأساليب

أطروحة تقدمت بها
فضيلة عبد العباس حسن الأسدي
إلى مجلس كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه
فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

علي كاظم المشري

١٢٣

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾

صدق الله العلي العظيم

(آل عمران ٣٧)

شهادة المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ ((القبول والرفض في القرآن الكريم - دراسة دلالية في الألفاظ والأساليب)) لل طالبة ((فضيلة عبد العباس حسن الأسدي)) جرى تحت إشرافي في كلية التربية للبنات /جامعة الكوفة وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع

الأستاذ الدكتور

علي كاظم مشري

التاريخ: / / ٢٠٠٨

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

الدكتورة ابتسام عبد الكريم المدني

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠٠٩

شهادة الخبير العلمي

أشهد أني قد أطلعت على أطروحة طالبة الدكتوراه فضيلة عبد العباس حسن الموسومة بـ
(القبول والرفض في القرآن الكريم – دراسة دلالية في الألفاظ والأساليب)) وقومتها علمياً وأجد
أنها صالحة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم:

المرتبة العلمية:

التاريخ: / / ٢٠٠٨

الإهداء

إلى مَنْ رفض الظلم وأبى الذُّل ...
إلى مَنْ رضيَ الموتَ وأحبَّ الشهادة ...
إلى مدرسة الإباء ...
إلى سيد الشهداء ...
الإمام الحسين عليه السلام ...
أهدي جمدي المتواضع وأرجو منه القبول.



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٢ - ١	المقدمة:
٧ - ٣	التمهيد:
الباب الأول: ألفاظ القبول والرفض في القرآن الكريم	
٨	مدخل
٥٩ - ٩	الفصل الأول: ألفاظ القبول.
٢٥ - ٩	المبحث الأول: القبول النفسي أو الألفاظ التي تدل على القبول النفسي
١٩ - ٩	آمن:
٢١ - ١٩	أمل:
٢١	رضي:
٢٢	سُر:
٢٣ - ٢٢	سلم:
٢٣	سوّ:
٢٤	فرح:
٢٥	قبل:
٣٩ - ٢٦	المبحث الثاني: القبول القولي أو الألفاظ التي تدل على القبول القولي
٣٢ - ٢٦	أذن:
٣٧ - ٣٢	أمر:
٣٨ - ٣٧	إي:
٣٩	فخر:
٥٩ - ٤٠	المبحث الثالث: القبول الفعلي أو الأفعال التي تجسد القبول
٤٤ - ٤٠	آثر:
٥٢ - ٤٤	أخذ:
٥٤ - ٥٣	بدّل:
٥٤	سجد:
٥٥	سعى:
٥٦ - ٥٥	طوع:

٥٧ - ٥٦	عبد :
٥٧	عزر :
٥٨ - ٥٧	عطو :
٥٩ - ٥٨	عفو :
٥٩	غفر :
١٢٥ - ٦٠	الفصل الثاني: ألفاظ الرفض	
٧٢ - ٦٠	المبحث الأول: الرفض النفسي أو الألفاظ التي تدل على الرفض النفسي ...
٦٠	آذى :
٦١ - ٦٠	أسف :
٦٢	الأسى :
٦٣ - ٦٢	بغض :
٦٣	جنف :
٦٤ - ٦٣	حزن :
٦٤	حسد :
٦٦ - ٦٥	خوف :
٦٦	ريب :
٦٧	سأم :
٦٨ - ٦٧	سخط :
٦٨	سوء :
٦٩	شحّ :
٧٠	شك :
٧١	شمز :
٧٢ - ٧١	شناً :
٧٢	غضب :
٧٥ - ٧٣	المبحث الثاني: الرفض القولي أو الألفاظ التي تدل على الرفض القولي ...
٧٤ - ٧٣	جادل :
٧٤	ذم :
٧٥ - ٧٤	زجر :
٧٥	عتب :

١٢٤ - ٧٦ المبحث الثالث: الأفعال التي تجسد الرفض
٧٨ - ٧٦ أبى
٨٠ - ٧٨ ترك
٨١ - ٨٠ اجتنب
٨٣ - ٨٢ جحد
٨٤ - ٨٣ بخل
٨٤ بطش
٨٥ جزع
٨٦ - ٨٥ جفا
٨٧ - ٨٦ جمع
٨٧ جنب
٨٨ - ٨٧ حبس
٨٩ - ٨٨ حبط
٨٩ حجب
٩٠ حجر
٩١ حجز
٩٢ - ٩١ حدّ
٩٣ حارب
٩٤ حرّف
٩٥ - ٩٤ حرم
٩٦ حصر
٩٧ - ٩٦ حضر
٩٨ - ٩٧ حمى
٩٨ حال
٩٩ حيد
٩٩ حيف
١٠٠ ختم
١٠١ خدع
١٠٢ خذل

١٠٣ - ١٠٢	خرب
١٠٤ - ١٠٣	خرق
١٠٤	خزى
١٠٥	خسف
١٠٦ - ١٠٥	خصم
١٠٧ - ١٠٦	خان
١٠٨ - ١٠٧	دحر
١٠٨	دحض
١٠٩ - ١٠٨	درأ
١١٠ - ١٠٩	دع
١١٢ - ١١٠	دمدم، دمر
١١٢	رجم
١١٣	رد
١١٤ - ١١٣	ركس
١١٤	زيغ
١١٥ - ١١٤	ثبط
١١٥	ستر
١١٦	سخر
١١٧ - ١١٦	شرد
١١٧	شق
١١٩ - ١١٨	صد
١١٩	ضيع
١٢٠	طرد
١٢١ - ١٢٠	عبس
١٢١	عتو
١٢٢ - ١٢١	عدو
١٢٢	عذب
١٢٣	عزل
١٢٤ - ١٢٣	عصى
١٢٤	فر

الباب الثاني: أساليب القبول والرفض في القرآن الكريم

١٢٥ مدخل
١٩٣ - ١٢٦	الفصل الأول: أساليب القبول
١٤٥ - ١٢٦	المبحث الأول: أسلوب الأمر:
١٥٩ - ١٤٦	المبحث الثاني: أسلوب التمني والترجي:
١٧٧ - ١٦٠	المبحث الثالث: أسلوب المدح:
١٨٤ - ١٧٨	المبحث الرابع: أسلوب عدم الممانعة:
١٩٣ - ١٨٥	المبحث الخامس: غرض الترغيب
٢٣٩ - ١٩٤	الفصل الثاني أساليب الرفض
٢٠٦ - ١٩٤	المبحث الأول: أسلوب النهي:
٢١٦ - ٢٠٧	المبحث الثاني: غرض الترهيب:
٢٢٤ - ٢١٧	المبحث الثالث: أسلوب الذم:
٢٢٦ - ٢٢٥	المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام:
٢٢٨ - ٢٢٧	الخاتمة ونتائج البحث:
٢٣٩ - ٢٢٩	قائمة المصادر:

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد :

فإن الدلالة القرآنية من أكثر الموضوعات التي حظيت باهتمام القدماء والمحدثين، فما قامت
علوم العربية - بكل فروعها - إلا من أجل الوصول إلى فهم دقيق لآيات القرآن الكريم .

والباحث في هذا المجال عليه مطالعة المعجمات العربية ثم التفاسير مروراً بكتب النحاة
والبلاغيين وانتهاءً بالكتب الدلالية الحديثة، وهو بعد كل هذا الجهد والعناء سيجد نفسه أمام فيض إلهي
معطاء، فعلى الرغم مما قالته الدراسات والبحوث عن القرآن الكريم، مازالت عباراته متوهجةً، تمنحُ
الحياة لكل من نهل منها، وتسقي الوجود إشعاعاً نورانياً يشتت كل الظلمات، يقف الباحث حائراً ماذا
عساني أن أقول بعد ما أدلى علماء الأجيال بدلوهم، لكنه سيكتشف من خلال معاشته للقرآن الكريم،
انه كريمٌ فعلاً، لا يتوقف عن كرمه وعطائه، لأنه كلام الله، الخالق المطلق الذي لا حدود له، كذلك
كلامه يخترق كل الحدود الزمنية والمكانية، وحدود الفهم ... سيكتشف الباحث عن الدلالة القرآنية، أن
القرآن الكريم يفتح آفاقاً جديدة في كل حين، لأنه كتاب معجز، لم ولن تستهلكه الدراسات، بل يزداد
تألقاً وعطاءً، والدليل على ذلك القرون الماضية التي أثبتت انه معينٌ لا ينضب وبحرٌ لا يجف ونور لا
ينطفئ .

ولا يخفى على أحد ما للمفردة القرآنية من أهمية بالغة، فقد وضعت كل مفردة وضعاً فنياً
مقصوداً في مكانها المناسب، وإن حُذفت فإن الحذف مقصود، وإن تغير موضعها فإن التغيير مقصود،
ومن هذه المفردات يتشكل البيان القرآني في تراكيبه وصوره وروعة نظمه في عقد جمالي منقطع
النظير، فللكلمة وظيفة في الجملة ، وللجملة وظيفة في السياق، لتشكل لوحات أو مشاهد، يعجز البشر
عن محاكاتها.

وقد اهتم القدماء بألفاظ القرآن الكريم ، ودراسة دلالاتها، ومن أهم الكتب التي تناولت هذا
الجانب كتب الوجوه والنظائر، كالأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان، وإصلاح الوجوه والنظائر
للدامغاني وغيرها.

كما اهتمت الدراسات الحديثة بهذا الموضوع، فأخذت تتناول حقولاً دلاليةً في القرآن الكريم وتبحث فيها.

وقد افاد البحث من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) للعلامة المصطفوي؛ لأن هذا الكتاب اهتم بالمفردة القرآنية اهتماماً خاصاً وبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطوره وتطبيقه على مختلف موارد الاستعمال في كلماته تعالى، فكان مرجعاً في البحث عن دلالة الألفاظ في الباب الأول.

والقبول والرفض من أهم الدوافع التي تجعل المرء يعبر عنهما بالكلام أو بالأفعال، لذا نستطيع أن نحدد موقف المتكلم من قضية ما من خلال كلامه أو أفعاله، وعليه سنبحث عن مواطن القبول والرفض في الألفاظ ثم في الأساليب .

فجاء البحث في أربعة فصول توزعت على بابين، الباب الأول يبحث في ألفاظ القبول والرفض في القرآن الكريم، فتناول الفصل الأول ألفاظ القبول، وأخذ الفصل الثاني العناية بألفاظ الرفض، وتفرع إلى قبول أو رفض نفسي وقولي وعملي .

واهتم الباب الثاني بأساليب القبول والرفض، فانقسم على فصلين، الأول أساليب القبول، وتضمن : أسلوب الأمر، أسلوب التمني والترجي، أسلوب المدح، أسلوب عدم الممانعة، وأسلوب الترغيب.

وتناول الفصل الثاني أساليب الرفض، وبحث: أسلوب النهي، وأسلوب الترهيب، وأسلوب الذم، وأسلوب الاستفهام، ثم ختمَ البحث بأهم النتائج التي توصل إليها خلال الدراسة .

لعل من ابرز الصعوبات التي واجهها البحث سعة الموضوع، فبعض الألفاظ تحتل دلالاتها تأليف كتاب كامل للحديث عنها وعن تفاصيل ودقائق ما تدل عليه في السياق القرآني وخفاياه، ولهذا حاولت الاختصار قدر المستطاع من غير إخلال في منهج البحث الدلالي .

وأخيراً، أقدم شكري وامتناني لأستاذي المشرف الأستاذ علي كاظم مشري لما بذله من جهد في متابعة سير البحث، فكان نعم الموجه، ونعم الأب الناصح، فجزاه الله خير الجزاء.

وبعد أن اكتمل البحث بصورته النهائية لا أدعي كماله ، فالكمال لله وحده، ولكن على الإنسان السعي ومن الله التوفيق.

الطالبة

فضيلة عبد العباس حسن

مَهَيِّدٌ

في الدلالة والسياق:

(دلّ) في اللغة يدل على الطريق دلالة ودلالة ودلالة^(١)، والدلالة الدلالة: اسم مصدر من دلّ، والدال والدليل المرشد والكاشف، والدلالة هي ((ما يمكن الاستدلال به))^(٢)، فالعلاقة بين الدال والمدلول من أهم القضايا التي تناولها علم الدلالة، بدأت بقضية اللفظ والمعنى واتسعت لتدرس ترابط الدال بمدلوله ضمن شبكة تنظيمية ((ذلك أن الدال لا يحمل دلالاته في ذاته إنما منبع الدلالة هي تلك التقابلات الثنائية التي تتم على مستوى الرصيد اللغوي))^(٣)، وتلك كانت أهم المشكلات التي واجهت البحث الدلالي لأن تحديد وحدة معجمية لابد أن تكون الكلمة المدروسة لا تتضمن أكثر من مدلول واحد، وهذا نادر جداً بسبب تعدد المعاني والجناس، ويعرف تعدد المعاني بأنه ((الدال الذي يعطي عدة مدلولات ترتبط فيما بينها بعلاقة ما، أما الدوال التي تعطي عدة مدلولات لا ترتبط فيما بينها فهو ما يعرف بالمجانسة في الإملاء أو المماثلة الصوتية))^(٤).

والمشكلة الأخرى في تحديد الدلالة هي أن (الكلمة ليس لها معنى خارج السياق) وبعبارة أدق ان الكلمة لا يتضح معناها الدقيق إلا من خلال الاستعمال، لذلك ((من الصعب جداً تحديد دلالة الكلمة، ذلك أن الدلالة لا تقتصر على مدلول الكلمة في ذاتها، إنما تحتوي على المعاني كلها التي يمكن أن تتخذها هذه الكلمة ضمن السياق اللغوي، إذ ان المفردات في الحقيقة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة إنما تتحقق دلالتها انطلاقاً من السياق الذي تظهر فيه المفردة))^(٥)، فيتحمل السياق مسؤولية تحديد الدلالة الدقيقة للكلمات لأن ((السياق اللغوي إضافات نوعية على مستوى تحديد الأصناف الدلالية، فتميز بذلك الدلالة العامة من الدلالة الخاصة، والدلالة الظاهرة من الدلالة الخفية اللتان يتحكم فيهما التصريف المزدوج لاستعمال اللغة وهو ما يمكن أن يدرج تحت ما يسمى بالدلالة الأصلية والدلالة المحولة، فالتراكيب السياقية هي التي تشرف أساساً على تحديد الدلالة المعينة للصيغة))^(٦).

لهذا كان من واجب البحث الدلالي أن يدرس النص بوصفه بنية متكاملة لا كلمات مجزأة ؛ لأن ثمة ترابطاً معنوياً يثد جزئيات النص مع بعضها، ولأن الكلمة بمفردها تحمل عدة احتمالات دلالية

١. لسان العرب: ١١ / ٢٤٩، الصحاح: ٤ / ١٦٩٨ .

٢. الفروق في اللغة: ٦١ - ٦٢ .

٣. علم الدلالة، منقور عبد الجليل: ٥٧ .

٤. علم الدلالة، كلود جرمان: ٤٠ - ٤١ .

٥. الألسنية، علم اللغة الحديث: ٢١١ .

٦. علم الدلالة، منقور عبد الجليل: ٦٧ .

((فإذا استطاع اسم من الأسماء أن تكون له معان عديدة فيجب أن نعلم أنها معان محتملة وأن أحد هذه المعاني يتحدد ضمن سياق معين))^(٧)، ويتسع السياق بسبب الترابط العضوي بين عناصر الجملة ليشمل مجموع الجمل التي تكون النص فـ ((إن السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب - بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات))^(٨).

فالكلمات تنتمي إلى الجمل، وبسبب هذا الانتماء تمتلك دلالات محددة بسبب العلاقات الدلالية التي تربط بينها، والجمل تنتمي إلى النص، فتستمد منه تحديد مجالها الدلالي، وقد تستقل الجمل بدلالاتها داخل النسيج الدلالي لكنها لا تتفصل عن السياق العام للنص لأن ((استقلال التركيب لا يعزل وجود ارتباط معنوي، فالنص بأكمله مجال دلالي واحد، والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي))^(٩).

وتتأتى العلاقات الرابطة بين أجزاء النص من انحدر الكلام من مصدر واحد؛ لأن منبع الكلمات والجمل من نفس المتكلم، فإذا أردنا الوقوف على غاية تلك العبارات لأبد من معرفة قصد المتكلم لأن ((المتكلم في أي موضوع كان، وبغض النظر عن طول أو قصر ما يقول، إنما ينسج نظام كلامه، اتساقاً وترتيباً على منوال نظام المعاني المتسقة في النفس والمترتبة فيها، وهذا يعني أن كلامه رهن بكلية الدلالة التي تنتجها وتجعل منه فعلاً نصوياً، وما كان هذا هكذا إلا لأن الدلالة، في تعبير المتكلم عن موضوعه، كيان كلي يجسده نظام الخطاب ويقول فيه نفسه، ومن هنا فقد كانت شمولية النص أو في أداء لكلية الدلالة في إنجاز المتكلم لكلامه))^(١٠).

فالكلام مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصدره، فتحديد دلالاته يعتمد على فهم نفسية المتكلم أولاً، ثم على فهم السامع، فقد يفهم شخص ما جملة ما مفهوماً خاصاً يختلف عن فهم آخر للجملة ذاتها، ((إذ يمكن أن يكون المدلول واحداً لكن المعنى قد يختلف باستعمالات الجملة أو المدلول، فجملة ما في اللغة قد يقال في ظرف معين ووقت معين وقد تقال هذه الجملة في ظرف مغاير وزمن آخر، فمدلولها ثابت لكن معناها متغير))^(١١).

ولهذا كان تحديد الدلالة على وجه الدقة من المهمات الصعبة التي تواجه البحث الدلالي، وهذا ما قرره علماء الدلالة فقالوا: ((مشكلة أخرى في علم الدلالة هي أن المعاني لا تبدو مستقرة بل أنها

١. علم الدلالة، بياجيرو: ٥٦ .

٢. دور الكلمة في اللغة: ٦٢ .

٣. اللسانيات وأسسها المعرفية: ١٥٣ .

٤. اللسانيات والدلالة (الكلمة): ٢١ .

٥. علم الدلالة، د. نور الهدى لوشن: ٣٦ .

تعتمد على المتكلمين والسامعين والسياق))^(١٢)، ومن الأسباب التي تجعل للدال الواحد أكثر من مدلول، وللمدلول الواحد غير دال، جنوح اللغة للاستعمال المجازي، ((لئن كانت الرغبة في الفهم والإفهام تقتضي - مبدئياً - أن يختص كل دال أو كل مدلول بصاحبه لا يتعداه إلى غيره، فإن الممارسة العملية للغة تكسر هذا المبدأ وتعطل عنه، ولضرورات المجتمع وحاجاته أحكام، وهي تتوسل إلى ذلك بالمجاز))^(١٣).

ولغرض فهم قصد المتكلم، والوقوف على المعاني لابد من اللجوء إلى ظاهرة التأويل لفهم المعاني المجازية ((فالتأويل يعمل على تحديد العلاقة بين اللفظ ومعناه الباطن أو معناه البعيد... وإعمال التأويل في التوصل إلى باطن اللفظ إعمالاً صحيحاً يحقق وضوحاً للرؤية في جانب الدلالة))^(١٤)، وهذا من واجبات علم البلاغة الذي يبحث عن المعاني التي تؤديها الأساليب، إذ يختلف المعنى من أسلوب إلى آخر، ومن ظرف إلى آخر، ومن استعمال إلى آخر، مقيداً بالقرائن التي تتحكم في السياق.

وهذا من الأسباب التي تعقد دور الدلالي، فاللغة في كثير من الأحيان تستطيع أن تقتصر في بعض الحالات على توصيل الإخبار، فتستعمل الجمل الاستفهامية لغرض الإخبار بدلاً من الطلب، كما تعتمد إلى صيغة الأمر لتؤدي نقل الإخبار^(١٥).

ولأن علم الدلالة يبحث في المعنى الذي تؤديه الألفاظ والجمل والفقرات، وهذه مباحث علم البلاغة وعلم النحو والصرف والمعجم لذلك فإن ((علم الدلالة إنتاج مشترك بين عدة علوم، ولهذا يمكن وصفه بأنه جزء من تطور المعرفة الإنسانية نفسها، كما نستطيع القول، بشكل أقل تعميماً، إنه إنتاج خاص باللسانيات في رصد النشاط اللغوي، كما نستطيع القول أخيراً، إن علم الدلالة هو النظرية العامة للمعنى))^(١٦).

وبناءً على ذلك عرّف علم الدلالة على أنه دراسة معاني الكلمات، وعرّف بـ (علم أو نظرية الدلالات)، وقالوا إنه دراسة المعنى، وسماه بعضهم نظرية المعنى، وأطلق عليه بعضهم علم معاني الألفاظ، وقال آخرون إنه المبحث اللغوي الذي يهتم بمعجمية لغة ما، أو انه فرع اللسانيات الذي يدرس معنى الوحدات اللسانية وتغيراتها .

ومتلماً اختلفوا في تعريف علم الدلالة فقد اختلفوا أيضاً في تحديد موضوع علم الدلالة، فمنهم من يرى أن (الكلمة) هي الموضوع الأول للدلالة، ومنهم من يرى (الجملة) موضوع أول للدلالة، الكلمة

١. علم الدلالة، بالمر: ١٠ .

٢. علم الدلالة، د. نور الهدى: ٢٧ .

٣. ظاهرة التأويل وصلتها باللغة: ١٥٥ .

٤. ينظر: علم الدلالة، كلود جرمان: ٣٥ .

٥. اللسانيات والدلالة: ٢٨ .

أولاً لأن ((علم الدلالة يهتم أولاً وقبل كل شيء بالعناصر المعجمية للغة، فإن هذا التصور للدلالة يقترب من بعض الجوانب من علم الألفاظ (المفردات)؛ أي دراسة مبادئ وطرق المعجمية وهذا ما يعرف بتقنية الإعداد لما يسمى بالتحديد معاجم اللغة))^(١٧).

ولأن الكلمة ترتبط بعلاقات معنوية مع غيرها، أصبحت الكلمة لا تمتلك كياناً منفصلاً، فلا يمكن فهم أية كلمة بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها، والتي تساعد على تحديد معناها، ولهذا صار من الأفضل أن ننظر للمفردات على أنها شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى، فهي تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات وتمثل كل كلمة وحدة معجمية مختلفة^(١٨).

لهذا رأى آخرون أنه حتى لو كانت دلالة الكلمات لها أهميتها في البحث الدلالي، إلا أنها لا بد أن تكون موافقة لدراسة الدلالة على مستوى التعبير، ولذلك جعلوا (الجملة) أساساً في الدلالة فـ ((انطلق أنصار دلالة الجملة من فكرة أن دور الدلالة يرتكز على كشف إمكانية تأليف المعنى الإجمالي للخطاب انطلاقاً من معنى الوحدات المعجمية؛ ومن أجل هذا تعلق الأمر بملاحظة وتحليل القول الذي أنتجه فعلاً المتكلمون بناءً على مجموعة قوانين))^(١٩).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الوحدة الأساسية لعلم الدلالة ليست الجملة وإنما القضية، والسبب في الاختلاف هو أن الذين اختاروا الكلمة كوحدة للتحليل واجهتهم أزمت كبيرة، في حين أن الذين اهتموا بالجملة نسبوا إلى النظرية الدلالية أبعاداً متنوعة.

وتجدر الإشارة إلى أن علماء الدلالة الذين قالوا بأن الجملة هي العنصر الأساسي للدلالة وان الكلمة ما هي إلا عنصر جزئي من هذا الكل، لاحظوا ضرورة مسألة الدلالة المعجمية؛ لأن معاني الكلمات تستمد من المعاجم، ولهذا ((أصبح الأمر متعلقاً بمستويين للتحليل الدلالي، وبموجب ذلك تجدر الإشارة إلى أن جلّ الدالين البنويين مهتمون بالكلمة، في حين أن نسبة كبيرة من الدالين التوليديين أعطوا لدراسة الجملة الأسبقية من أجل الوصول إلى تحديد المعنى الذي تعالجه دلالة الكلمة))^(٢٠).

١. علم الدلالة، كلود جرمان: ٢٦، وينظر: ٥٣ .

٢. ينظر: اللغة والمعنى والسياق: ٨٣، وعلم الدلالة، بالمر: ٤٤ .

٣. علم الدلالة، كلود جرمان: ٣٠، وينظر: ٩٢، وعلم الدلالة، بالمر: ٤٦ .

٤. علم الدلالة، كلود جرمان: ٥٣ - ٥٤ .

ولهذا لم تنحصر الدلالة في الكلمة أو في الجملة بل اتسعت لتحتوي النص بأكمله لذلك قيل إن ((الدلالة هي أداة النص في إنتاج نفسه، ومن هنا كان البحث فيه نظاماً مجرداً لا يؤتي أكله، والسبب لأن الكلام يمثل في أداء المتكلم نسقاً كلياً تنتجه الدلالة وتعطيه شكله الدال))^(٢١).

وبناءً على هذا يكون النص مركز اهتمام الدلالي، كما أن الدلالة مركز اهتمام علماء النص، وسبب هذا الترابط أن ((المعاني تتحرك داخل النص في اتجاهات متباينة تشكل نسيجاً متشابكاً معقداً، يصعب تفكيك أجزائها دون اتصال مباشر في أثناء هذه العملية بمفاهيم جامعة تقوم بالحفاظ على التكوين الموحد، ولذلك فقد عنى علماء النص بالمستوى الدلالي عناية كبيرة، حيث انه يُسهم في تلك الاستمرارية إسهاماً فعّالاً))^(٢٢).

فالسباق هو الذي يعمل على جلاء المعنى، فلا يكون للكلمة أكثر من معنى إلا إذا تعددت السياقات التي ترد فيها، لذلك يقول فندريس: ((إننا نكون ضحايا الانخداع إذا قلنا إن للكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه (سياق النص) أما المعاني الأخرى فتحمى وتتبدد ولا توجد إطلاقاً))^(٢٣).

والسياق هو الذي يحدد القضية التي تعبر الجمل عنها^(٢٤)، فهو المسؤول عن توجيه المعاني نحو الحقيقة أو المجاز، وذلك لأنه ((يكسب اللفظ دلالاته عند التطبيق الذي لا يلتبس بمعنى آخر في الإدراك، كما أن السياق وحده الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي أو انه قصد بها - أساساً - التعبير عن العواطف والانفعالات أو إلى إثارة العواطف والانفعالات، كما أن الجانب الانفعالي (العاطفي) لمعنى الكلمات من العوامل التي تعتمد على النص اعتماداً كبيراً، وتكتسب الكلمة المعنى الانفعالي لها بتأثير من السياق))^(٢٥).

كما أن السياق يوضح لنا الدلالات الإيحائية، ومن وظائف السياق انه يحدد المعنى المركزي والمعنى الثانوي، فلا بد للبحث الدلالي من دراسة السياق الذي وردت فيه الكلمات والجمل لغرض الوقوف على دلالاتها .

١ . اللسانيات والدلالة: ١٩ .

٢ . علم لغة النص: ١٤٨ .

٣ . اللغة : ٢٢٨ .

٤ . ينظر اللغة والمعنى والسياق: ٢٢٣ .

٥ . الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٩٩٢، ص ٢٨ .

الباب الأول

ألفاظ القبول والرفض

مدخل :

الكلام هو الوسيلة المُعبّرة عما يدور في خُلد الإنسان، وهو المرآة العاكسة لمشاعره وتطلعاته ورغباته، نفهم من خلاله ما يحبه المتكلم وما يكرهه، وما يُرضيه وما يُسخطه، وما يقبله وما يرفضه، فمن خلال الألفاظ التي تنتضم في التراكيب، يصوغ المتكلم أفكاره عبارات يفهمها السامع ويتفاعل معها ليرسم في ذهنه صورة واضحة الملامح لأفكار المتكلم.

وكثيراً ما نجد المتكلم حريصاً على إبداء رأيه وتحديد وجهة نظره تجاه الأشياء بالقبول أو الرفض، وأهم طرق الإفصاح عن المواقف هو الكلام، لذا نراه منتقياً لألفاظ القبول في جملة في مواقف القبول، ومختاراً لألفاظ الرفض في مواقف الرفض.

والقبول والرفض لها مصاديق ثلاثة: المرحلة الأولى تبدأ في النفس فيظهر القبول النفسي، وهو مما لا يظهر للمقابل إلا إذا عبّر عنه صاحبه، والمرحلة الثانية القبول القولي الذي تظهره الألفاظ، أما المرحلة الثالثة القبول الفعلي أو ما تجسده أفعال الشخص من قبول فهو ليس من وظائف الكلام، لكنه يدخل في إظهار القبول والتعبير عنه إذا كان إخباراً عن موقف شخص أو جماعة عبروا عن قبولهم بأفعالهم.

وهذا التقسيم يأتي من الحديث النبوي الشريف في تعريف الإيمان فهو ((معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان))، والإيمان من أعمق مفاهيم القبول، فمنزلته الأولى القلب أو النفس، وبعدها ينتقل إلى مرحلة القول، ثم يتطور ليُصبح أعمالاً في واقع الحياة.

ويأخذ الرفض الذي يقابل القبول المراحل الثلاثة، فيبدأ في النفس، ثم القول ثم العمل، ويوضح ذلك الحديث النبوي الشريف ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع

فقلبه))، فالرفض الشديد ما أظهرته الأفعال، والرفض المتوسط ما عبرت عنه الأقوال، والرفض الضعيف ما حُبس في النفس.

وعلى هذا الأساس سيكون الحديث عن ألفاظ القبول والرفض على وفق المستويات الثلاثة.

الفصل الأول

المبحث الأول

القبول النفسي

أو الألفاظ التي تدل على القبول النفسي

❖ **أَمَنَ:**

ع. في اللغة .

أمن: اتفق اللغويون على أن أصل الإيمان هو التصديق^(٢٦)، أمن يؤمن إيماناً: أذعنَ وصدَّقَ، كما في قوله تعالى: □ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ □^(٢٧)، أي مُصدِّق، ولأن الإيمان أمر قلبي، فهو لا يحصل إلا مع الاطمئنان، لذا قيل إن الإيمان هو الطمأنينة^(٢٨)، أو انه الثقة^(٢٩)؛ ((لأن الصدق راجع إلى طمأنينة القلب بما صدق به))^(٣٠)، وعلى هذا الأساس يكون ((أمن بالله: حصل له الاطمئنان والسكون بالله المتعال، فهو مؤمن، أي مطمئن))^(٣١).
ولفظة (أمن) تحمل دلالة القبول النفسي، وهو قبول أقوى مما في (صدَّق)؛ لأن الإيمان بُني على اعتقاد راسخ وحقيقي .

و (مؤمن) اسم فاعل من آمن يؤمن، وهو من أسماء الله، ولم يجيء إلا في قوله تعالى: □ هو

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ □^(٣٢)، وقيل في معناه: ((هو الذي يصدِّق عباده وعده،

١. ينظر العين: ٣٨٨/٨، ولسان العرب: ٢١/١٣، وأساس البلاغة: (امن)، ومجمع البيان: ٥٥/١ .

٢. سورة يوسف: ١٧ .

٣. ينظر: تهذيب اللغة: ٥١٥/١٥ .

٤. ينظر: القاموس المحيط: ١٩٩/٤ .

٥. التبيان: ٦/٤ .

٦. التحقيق: ١٣٨/١ .

٧. سورة الحشر: ٢٣ .

فهو من الإيمان التصديق، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف))^(٣٣)، فقولنا: آمن فلاناً بمعنى جعله يأمن ((ويبدو أن الكلمة تطورت في معناها من الأمن ضد الخوف أولاً ثم إلى الأمانة ضد الخيانة ثم إلى الإيمان بمعنى التصديق، وذلك أن الذي يعرف بالأمانة لا بد أن يشتهر بالصدق، وإذا اشتهر بالصدق يرتبط اللفظ الدال عليه بالمعنى القائم فيه، فارتبط الإيمان بالصدق ارتباطاً سلوكياً حتى صار كأنما هو معناه الأساس))^(٣٤).

وقد وردت هذه اللفظة ومشتقاتها كثيراً في القرآن الكريم، إذ نلاحظ اهتماماً خاصاً بمسألة الإيمان؛ لأنها الدعامة التي تركز عليها كل الديانات السماوية.

وآمن يتعدى بالباء كما يتعدى باللام فقد جاء (آمن به) و (آمن له) في القرآن الكريم ، كما في

قوله تعالى: □ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ □^(٣٥)، وقوله تعالى: □ قَالَ آمَنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ

لَكُمْ □^(٣٦)، وقد اختلف العلماء في تحديد الفرق الدلالي بين العبارتين فتعددت آراؤهم كما يأتي:

الرأي الأول:

يقول إن الهاء في (به) تعود لله رب العالمين، فالإيمان به سبحانه، أما الهاء في (له) فيجوز أن تعود لإنسان أو غيره^(٣٧)، والدليل على ذلك أن (السحرة) الذين آمنوا (به أوله) حكى القرآن عنهم

أنهم □ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ □^(٣٨)، أما في (آمنتم له) فالمعنى آمنتم لموسى (عليه السلام)، والدليل على

ذلك أنها جاءت في السورتين وبعدها في كل واحد منها □ ... إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ □^(٣٩)، ويدعم هذا الرأي قوله تعالى: □ ... يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ □^(٤٠).

الرأي الثاني:

يقول إن (آمنتم له) يفيد الإتيان، أي اتبعتموه، فاللام توحى بالإتيان والتصديق، وليس كذلك (آمنتم به)؛ لأنه يوقن بالخبر من غير إتيان له فيما دعا إليه، أي تصديق دون إتيان^(٤١).

وقد صحح الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) (الإتيان) بـ (الانقياد)، فقال: ((وإنما عُدِّي هنا باللام لتضمينه معنى الانقياد، وهو يعدى بها، يقال انقاد له، لا الإتيان كما قيل؛ لأنه متعدٍ بنفسه، يقال اتبعه ولا يقال اتبع له))^(٤٢).

الرأي الثالث :

٨. النهاية في غريب الحديث: ٦٩ / ١.

٩. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٢٥٥.

١. سورة الأعراف: ١٢٣.

٢. سورة طه: ٧١، والشعراء: ٤٩.

٣. ينظر درة التنزيل: ١٧٥، والكشاف: ٥٤٦/٢، وأنوار التنزيل: ٥٥/٢، ومجمع البيان: ٢٠/٤، والبحر المحيط: ٢٦١/٦.

٤. سورة الأعراف: ١٢١.

٥. سورة طه: ٧١، والشعراء: ٤٩. ينظر: درة التنزيل و غرة التأويل: ١٧٥.

٦. سورة التوبة: ٦١، وكذلك سورة البقرة: ٥٥، وسورة يوسف: ١٧، سورة يونس: ٨٣، سورة العنكبوت: ٢٦.

٧. ينظر: التبيان: ١٨٩/٧ وكشف الأسرار: ١٤٨/٦.

٨. روح المعاني: ٢٣١/١٦.

يجمع بين القولين الأول والثاني^(٤٣).

الرأي الرابع .

يقول لا فرق بين التعبيرين وهو رأي السيد الطباطبائي (ت ١٢ ١٤ هـ) حيث يقول: ((والإيمان يتعدى باللام كما يتعدى بالباء والمعنى واحد))^(٤٤).

٥٥. الإيمان في الاصطلاح .

عُرف الإيمان أن مستقره في القلب □ ... وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ □^(٤٥)، أي أن القلب يجب أن يطمئن لهذا الأمر أولاً أو ينتج عن هذا الاطمئنان تصديق له، ثم إتباع أو انقياد وإذعان النفس وقبولها واستسلامها، وكل هذا دائر في ميدان النفس الإنسانية، ولا يكفي تحقيق الإيمان الحقيقي بهذا القدر، بل يجب بعد ذلك إقرار اللسان بهذا الإيمان الذي استقر في النفس ثم الشروع في العمل الذي يركز دعائم هذا الإيمان ويوضح معالمه ويصرح عنه ويكون مصداقاً له، وهذا ما وضحه النبي (2) بقوله: ((الإيمان معرفة بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان))^(٤٦)، فعلى هذه الركائز الثلاثة يُبنى الإيمان، ولا يكتمل وجوده إلا بها.

ومن هذا الحديث أخذ المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة، يقول الزجاج (ت ٣١١ هـ): ((الإيمان: إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي (2) واعتقاده وتصديقه بالقلب، فما كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شكّ وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب))^(٤٧).

ويؤكد الراجب (ت ٥٠٢ هـ) أركان الإيمان الثلاثة، ويبين أن كل ركن يمكن أن نطلق عليه لفظ الإيمان، فيقول إن المراد بالإيمان هو ((إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ... ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح: إيمان، قال تعالى: □ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ

□^(٤٨)، أي صلاتكم))^(٤٩).

وفي كلام الراجب جمع لرأيين، الرأي الأول يقول إن الإيمان اجتماع لثلاثة أشياء وهي الاعتقاد والقول والعمل والرأي الثاني يتساهل فيطلق اسم الإيمان على كل ركن منفصل من الأركان الثلاثة. وذهب النيسابوري (٧٣٨ هـ) إلى أن للإيمان وجودات ثلاثة أهمها: وجوده في القلب فقال: ((التحقيق في المقام أن للإيمان وجوداً في الأعيان، ووجوداً في الأذهان، ووجوداً في العبارة، ولا ريب أن الوجود العيني لكل شيء هو الأصل، وباقي الوجودات فرع وتابع، فالوجود العيني للإيمان هو النور الحاصل للقلب، بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره □ ... اللَّهُ وَكَيْ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ □^(٥٠)، وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر

٩. ينظر روح المعاني: ٤٠٥ / ٥.

١. الميزان: ١٢١ / ١٦.

٢. سورة النحل: ١٠٦. وينظر: المائدة: ٤١، المجادلة: ٢٢، الحجرات: ١٤.

٣. الجامع لأحكام القرآن: ١ / ١٩٣.

٤. لسان العرب: ١ / ١٩٣.

٥. سورة البقرة: ١٤٣.

٦. المفردات: ٢٦.

١. سورة البقرة: ٢٥٧.

الأنوار □ ... وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ □ (٥١)، كلما ارتفع حجاب ازداد نوراً، فيتقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره فيُنشِرح الصدر، ويطلع على حقائق الأشياء، وتتجلى له الغيوب ...)) (٥٢).

وفي دائرة الأركان الثلاثة يقول الجرجاني (ت ١٦ ٨ هـ) الإيمان في الشرع هو ((الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر)) (٥٣).

و ربط رشيد رضا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للإيمان بتعريفه بقوله: ((التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها وآيته العمل بما يقتضيه الإيمان عند عدم الصارف الذي يختلف باختلاف درجات المؤمنين في اليقين)) (٥٤).

ولا يبتعد الطباطبائي كثيراً عما ذكر فيقول إن الإيمان ((سكون علمي خاص من النفس بالشيء ولازمه الالتزام العملي بما آمن به)) (٥٥).

ويعود عبد الرحيم فدوة إلى الأصل اللغوي للإيمان وهو (الأمن) ليُعرف (الإيمان) من خلاله فيقول: ((الأمن: سكون القلب واطمئنانه، والإيمان بالله من هذا القبيل، إذ هو التصديق به عن دليل، والاطمئنان إليه عن شعور صادق وإدراك سليم)) (٥٦).

وذكر مقاتل (ت ١٥٠ هـ) أربعة وجوه لتفسير لفظ (الإيمان) الواردة في القرآن :

أولها: الإيمان الإقرار باللسان من غير تصديق (٥٧)، فذلك في قوله تعالى في وصف المنافقين: □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ □ (٥٨).

الوجه الثاني: الإيمان يعني التصديق في السرّ والعلانية، فذلك قوله تعالى: □ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ □ (٥٩).

الوجه الثالث: الإيمان يعني التوحيد، فذلك في قوله: □ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ

٢. سورة الأنفال: ٢.

٣. غرائب القرآن: ١ / ١٤٨.

٤. التعريفات: ١٨.

٥. المنار: ١ / ١٢٦.

٦. الميزان: ١٦ / ٢٦٣.

٧. من معاني القرآن: ٢٥، وينظر: سورة الرحمن وسور قصار، شوقي ضيف: ٣٤٧.

٨. وهو قول طائفة تدعى الكرامية وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر، كافر السريرة، فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا، وحكم الكافرين في الآخرة، ولكن الإيمان كما صرح القرآن لا يثبت وجوده الادعاء اللساني.

٩. سورة المنافقين: ٣.

١. سورة البينة: ٧.

عَمَلُهُ □ (١٠)، يعني التوحيد .

الوجه الرابع: الإيمان يعني إيماناً في شرك (١١)، فذلك قوله: □ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ

مُشْرِكُونَ □ (١٢).

واختلفت المذاهب الإسلامية في (العمل الصالح) فمنهم من قال إنه ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا معه، ومنهم من قال انه لا يدخل في مسمى الإيمان؛ لأن الله تعالى عطف عمل الصالحات على الإيمان (١٣)، فقالوا لو كان عمل الصالحات داخلاً في مسمى الإيمان لكان ذلك

تكريراً، ورد عليهم بان ذلك وارد في القرآن الكريم ونظيره قوله تعالى: □ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً □ (١٤)، وقوله: □ مَنْ

كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ □ (١٥)، فالعمل الصالح من ثمرات الإيمان الحقيقي (١٦).

فإيمان بلا عمل ليس إيماناً راسخاً يؤدي إلى استقرار الإيمان في القلب، بل هو إيمان مستودع يمكن أن يُسلب في المواقف المصيرية الحرجة؛ لذلك نجد مصاحبة العمل الصالح للإيمان مصاحبة لا بد منها ((... ويفترن العمل الصالح بالإيمان في القرآن الكريم نحو خمس وسبعين مرة، مع الوعد والبشرى ... وفي هذا الاستقرار إيدان صريح بأن عمل الصالحات قرين الإيمان، ومنه نقول في آية العصر: إن الإيمان بالله ينبغي أن يفترن بعمل الصالحات لكي ينجو الإنسان من الخسر)) (١٧).

وإذا ما عدنا إلى الحديث النبوي الذي بدأنا به التعريف الاصطلاحي، نلاحظ أن العمل داخل في مسمى الإيمان، فلا يكتمل وجود الإيمان الحقيقي إلا مع العمل، والعمل - في الوقت نفسه - انعكاس سلوكي لوجود الإيمان في القلب، كما أن هناك علاقة طردية بين الاثنين فكلما ازداد إيمان المرء ازداد عمله والعكس صحيح، وإيمان بلا عمل إيمان ناقص؛ لأنه يفتقد ركناً أساسياً لوجوده واستمراره، ومن المحتمل انهيار ذلك الإيمان في أوقات العواصف النفسية أو الشيطانية التي يُبتلى بها الإنسان في حياته، فالعمل الذي يقرب إلى الله سبحانه وتعالى هو بمثابة جذور للإيمان تتوغل في أعماق النفس الإنسانية فتقوي ذلك الإيمان وتثبت قواعده فيصبح إيماناً راسخاً بإذن الله .

٤٥. الفرق بين الإسلام والإيمان :

٢. سورة المائدة: ٥، وينظر سورة المؤمن: ١٠؛ وسورة النحل: ١٠٦.

٣. ينظر: الأشباه والنظائر: ١٣٨.

٤. سورة يوسف: ١٠٦، وينظر سورة الزخرف: ٨٧، وسورة لقمان: ٢٥.

٥. ينظر سورة العصر: ٣.

٦. سورة الأحزاب: ٧.

٧. سورة البقرة: ٩٨.

٨. ينظر التفسير الكبير: ٨٨/٣٢.

٩. التفسير البياني: ٨٨/٢.

قال تعالى: □ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَكُنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ □ (٦٨).
تشير الآية إلى أن الإسلام يسبق الإيمان، ويمكن أن يكون الإنسان مسلماً من غير إيمان، لكنه لا يكون مؤمناً من غير إسلام، فالإسلام هو البداية والأساس الذي يبنى عليه الإيمان، ويصح بالقول فقط فنطق الشهادتين يكفي لإثبات إسلام المرء، سواء حصل له الاطمئنان العميق الشامل أم لم يحصل، أما الإيمان فكما تشير الآية الكريمة إلى أن مكانه القلب، ويحصل ذلك بالاطمئنان الذي يتعمق في أغوار الشعور فينتج عن هذا الاطمئنان سلوك وتصرفات تصدق معنى الإيمان وتؤكد وجوده في ذات الإنسان المؤمن، ويؤكد هذا القول حديث النبي (2): ((الإسلام علانية، والإيمان في القلب)) وأشار إلى صدره (٦٩).

فالإسلام يظهر بالقول، والإيمان تكمن حقيقته في القلب، ويكمل بالعمل، عن الصادق أو الباقر (عليهم السلام) قال: ((الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل)) (٧٠)، وعلى هذا يمكننا تعيين المسلم ولكن يصعب علينا تعيين المؤمن الحقيقي، فالإسلام ظاهر والإيمان خفي فر((الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي (2) وبذلك يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد تصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذي من هو صفته فهو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولاشاك وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وإن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب، فهو المؤمن وهو المسلم حقاً، كما قال عز وجل: □ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ □ (٧١)، أي إذا قالوا إِنَّا مُؤْمِنُونَ فهم صادقون)) (٧٢).

وقيل إن الإسلام والإيمان واحد عند أكثر المفسرين، وإنما كرر لاختلاف اللفظين (٧٣)، فقالوا إن الإيمان هو الإسلام (٧٤)، إلا إن قوله تعالى: □ قُلْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَكُنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا □ (٧٥)، يقتضي كون الإسلام مغايراً للإيمان، ويؤكد هذا قول الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) عندما سئل عن هذه الآية قال للسائل: ((ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام)) (٧٦).

فالإسلام والإيمان وإن نبعاً من أصل واحد هو التوجه لله سبحانه وتعالى، إلا أن كلاً منهما يحمل خصوصية، فبين اللفظين فرق في المعنى اللغوي، وبين حقيقة الأمرين فرق في تحصيل كل منهما ف((الإسلام في كلام العرب: الخضوع والانقياد للمستسلم، وليس كل إسلام إيماناً، وكل إيمان

١. سورة الحجرات: ١٤.

٢. مجمع البيان: ١٣٨ / ٥.

٣. الكافي: ٢٤ / ٢.

٤. سورة الحجرات: ١٥.

٥. معاني القرآن: ٣٨ / ٥.

١. ينظر التبيين: ٣٤١ / ٨.

٢. ينظر التفسير الكبير: ١٣٤ / ٨.

٣. سورة الحجرات: ١٤.

٤. الكافي: ٢٤ / ٢، باب إن الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة وإن الثواب على الإيمان.

إسلام؛ لأن من آمن بالله فقد استسلم وانقاد له، وليس كل من اسلم آمن بالله؛ لأنه قد يتكلم فزعاً من السيف، ولا يكون ذلك إيماناً خلافاً للقدرة والخوارج حيث قالوا: إنَّ الإسلام هو الإيمان فكل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن لقوله: □ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ □^(٧٧)، فإنَّ الإيمان باطن، والإسلام ظاهر، وهذا بين ((^(٧٨)).

ومن الأدلة على أن الإسلام غير الإيمان قوله تعالى: □ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . □^(٧٩)، فالمقابلة بين الإسلام والإيمان تفيد مغايرتها^(٨٠).

٤٥. أنواع الإيمان في القرآن الكريم :

١. الإيمان بحسب قوته:

الإيمان درجات، فهناك الإيمان الضعيف الذي يعكس قولاً ضعيفاً، والذي يمكن أن يُسلب من الإنسان، فينقلب إلى الكفر، جاء ذلك في قوله تعالى: □ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ □^(٨١).

وهناك إيمان بمستوى جيد إلا أنه غير مستوفٍ لكل الشروط، تنقصه بعض الجوانب، نلمح ذلك في قوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ مَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا □^(٨٢). وإيمان قوي يقترن معه العمل الصالح ليظهر قبولاً برتبة عالية وهو ما يمنح القلب طمأنينة خاصة ((قالوا للخليل ما الإيمان قال: الطمأنينة))^(٨٣)، وذلك ما يثبتته قوله تعالى: □ وَإِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أُمَّرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَكُنَّ لِيَظْمِنَ قَلْبِي □^(٨٤)، أي لأصل إلى درجة أعلى في الإيمان، فاطمئنان القلب يتحقق من خلاله اليقين وهو أعلى درجات الإيمان، وهو إيمان لا ينقلب إلى كفر، أي قبول راسخ في النفس لا يُسلب منها حتى بالإكراه، ويدل على هذه الحقيقة قوله تعالى: □ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ □^(٨٥).

٥. سورة آل عمران : ١٩ .

٦. الجامع لأحكام القرآن : ١٣٤/٢ .

٧. سورة الأحزاب : ٣٥ .

٨. ينظر الميزان : ٣١٣ / ١٦ .

٩. سورة آل عمران: ٨٦، وكذلك الآيات: ١٠٠، ١٠٦، ١٤٩، ١٧٧، وسورة البقرة: ١٠٨، وسورة النساء: ١٣٧، سورة

الماندة : ٥٤، سورة التوبة : ٦٦، سورة المنافقون: ٣.

١. سورة النساء : ١٣٦ .

٢. لسان العرب : ٢٤ / ١٣ .

٣. سورة البقرة : ٢٦٠ .

٤. سورة النحل : ١٠٦ .

٢. الإيمان بحسب شموليته :

و هناك إيمان شامل، يقبل المرء به كل ما فرضه ذلك الإيمان من أمور، وهناك إيمان جزئي يتحقق فيه القبول لجزء معين من العقائد والأحكام، أشار إلى ذلك قوله تعالى: □ ... أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا □ (٨٦) ويقولون بذلك القبول الجزئي فيأتي على لسانهم: □ ... وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا □ (٨٧).

٣. الإيمان بحسب محتواه إيمان مبطن :

وهناك قبول شكلي مفرغ المحتوى يؤدي إلى إيمان ظاهري، فمن الناس من يظهر الإيمان ويخفي الكفر وهم المنافقون، وقد ذكرهم البارئ عز وجل في كتابه العزيز بقوله: □ وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ □ (٨٨).

٤. إيمان بعد فوات الأوان :

الإيمان يجب أن يكون حتى بالأمور الغيبية - □ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ □ (٨٩) - فيما يتعلق بالأديان السماوية؛ لذلك لا يعدّ أمراً بسيطاً، وهناك من يؤمن بعد أن يتحوّل الغيب إلى واقع محسوس وهو ما يحدث في الآخرة، فيكون إيماناً بعد فوات الأوان، وهو مما لا ينفع صاحبه، يدل على ذلك قوله تعالى: □ ... لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ... □ (٩٠) وقوله: □ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ □ (٩١).

٥. إيمان بالباطل :

والإيمان الذي يتحدث عنه القرآن الكريم هو إيمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه وما إلى ذلك، وهو جلّ الإيمان الذي يدور الحديث عنه، ويخبرنا القرآن الكريم أن هناك ما يقابل هذا الإيمان، وهو الإيمان بالباطل في قوله تعالى: □ ... وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ □ (٩٢).

٥. سورة البقرة : ٨٥.

٦. سورة النساء : ١٥٠.

٧. سورة البقرة : ١٤. وكذلك الآية: ٨٦، وسورة آل عمران: ١١٦، وسورة المائدة: ٤١، ٦١.

١. سورة البقرة : ٣.

٢. سورة الأنعام : ١٥٨.

٣. سورة غافر : ٨٤.

٤. سورة العنكبوت : ٥٢، وكذلك الآية: ٦٧، وسورة النحل: ٧٢.

١. استقراره ورسوخه في القلب: مكان الإيمان هو القلب السليم □ إِيْهِكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ □ (٩٣)، فبسبب عدم الإيمان هو وجود خلل في القلوب أو مرض في النفوس، فلقد أثبتت الروايات أن استقرار الإيمان في القلب السليم، فإذا كان القلب مريضاً لم يستطع احتواء ذلك النور مما يؤدي إلى أحد طريقتين أما الكفر المعلن أو الكفر المبطّن فهو النفاق.

٢. لا يثبت بالقول أو الادعاء: قول اللسان ليس دليلاً على إيمان القلب، يوضح ذلك قوله تعالى:

□ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ... □ (٩٤)، فمن الناس من يظن أنه مؤمن إلا أن جوهر الإيمان غير متحقق في ذاته، يبين ذلك قوله تعالى: □ ... مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ... □ (٩٥)، كما أن بعض الناس يدعي الإيمان رياءً ليخدع الناس به، هذا النموذج شخصته الآية الآتية: □ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ □ (٩٦)، فقوله تعالى: (مَا هُمْ) نفي صريح عن كونهم مؤمنين، ولو كان الإيمان يصح بالقول لما صح هذا النفي في قوله: (مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ).

٣. قابل للزيادة والنقصان: قال تعالى: □ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ □ (٩٧) وقد اختلف العلماء في زيادة (الإيمان) ونقصانه على أقوال، فمنهم من قال إن (الإيمان) بجوهره وإذا أريد به التصديق لا يتعرض للزيادة والنقصان؛ لأن ((الإيمان الذي هو تاج واحد وتصديق واحد بشيء ما، إنما هو معنى فرد لا يدخل معه زيادة إذا حصل، ولا يبقى منه شيء إذا زال، فلم يبق إلا أن يكون الزيادة والنقصان في متعلقاته دون ذاته)) (٩٨).

ومتعلقات الإيمان هي الأعمال الصادرة عنه، فكثر من العلماء يوقعون اسم (الإيمان) على الطاعات بناءً على قوله (2): ((الإيمان بضع وسبعون باباً أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (٩٩)، فقالوا أنه يزيد بالطاعات؛ لأنها من ثمرات الإيمان وينقص بالمعصية، وهو مذهب مالك ونسب للشافعي (١٠٠).

قال آخرون إن الزيادة تكون من جهة أعمال القلوب كالنية والإخلاص والخوف والنصيحة. وذهب بعض العلماء إلى أن (الإيمان) من حيث كونه تصديقاً قابل للزيادة؛ لأن الله تعالى

٥. سورة النحل: ٢٢.

٦. سورة الحجرات: ١٤.

٧. سورة المائدة: ٤١.

٨. سورة البقرة: ٨-٩.

٩. سورة آل عمران: ١٧٣، وكذلك سورة الأنفال: ٢، سورة التوبة: ١٢٤، سورة الأحزاب: ٢٢، سورة الفتح: ٤، سورة المدثر: ٣١.

١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٠/٤، وينظر: البحر المحيط: ١١٨/٣.

١١. صحيح مسلم: ٤٦/١، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤١٤/٢.

١٢. ينظر البحر المحيط: ١١٨/٣.

نص على وقوع الزيادة فيه، في (زادهم إيماناً) تعني زادهم تصديقاً و يقيناً وقوة في دينهم وثبوتاً على نصر نبيهم^(١٠١).

وبين صاحب الميزان أن الزيادة تقع في (الإيمان) وفي متعلقاته - والتي هي الأعمال المنبثقة منه - فقال إن ((المراد بزيادة (الإيمان) اشتداده، فإن الإيمان بشيء هو العلم مع الالتزام بحيث يترتب عليه آثاره العملية، ومن المعلوم أن كلاً من العلم والالتزام المذكورين مما يشتد ويضعف، فالإيمان الذي هو العمل المتلبس بالالتزام يشتد ويضعف))^(١٠٢).

وما يُقال عن الإيمان بأنواعه ومميزاته يمكن أن يُقال عن الكفر؛ لأنَّ ((الإيمان والكفر مفهومان شرعيان وقع التقابل بينهما في الشريعة، وفي عُرف الفقهاء والمتكلمين تبعاً للقرآن، فالإيمان هو التصديق بالدين، والكفر إنكاره، وإذا اصطلحنا في الإيمان على معانٍ أو أقسام له فسيقابله الكفر بتلك المعاني والأقسام، هذا مما لا يتداعى إليه شكٌ أو يثار حوله سؤال))^(١٠٣).

والإيمان والكفر كالحب والكراه مستقرهم في القلب، فهم عبارة عن قناعة باتجاهٍ معين، يمكن لها أن تكون قناعة ضعيفة، فتصدر عنها آثار تشير إلى ضعفها، ويمكن أن تكون قناعة قوية تنتج أفعالاً وسلوكاً ينبئ عن درجة تلك القناعة أو قوتها، فالإيمان والكفر والحُب والبغض حقائق تكمن في قلب الإنسان وينعكس عنها أفعال تشير إلى وجودها وإلى درجة ذلك الوجود، فهي تشتد وتضعف ويمكن لها أن تضمحل أو تموت كما يمكن أن يتحول الإيمان إلى كفر والحُب إلى كُره وبالعكس، ويؤيد ذلك قوله تعالى: □ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ □^(١٠٤)، وهنا يمكن أن نضيف ميزة رابعة للإيمان وهي قابليته للانقلاب إلى الكفر.

❖ أمل:

الأمل هو الرجاء، والجمع آمال، وأمله يأمله أملاً وأملاً، وأمله: رجاء وترقبه^(١٠٥)، فالأمل من أفاض القبول لأن ما يأمله الإنسان قد تحقق له قبول كبير في نفسه .

وأكثر ما يُستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله^(١٠٦)، وفرّق الفيومي (ت ٧٧هـ) بين الطمع والرجاء والأمل، فقال: ((فإن الطمع لا يكون إلا فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف ألا يحصل مأموله، ولهذا يُستعمل بمعنى الخوف، فإذا قوي الخوف استعمل استعمال الأمل، وإلا استعمل بمعنى الطمع))^(١٠٧).

وفرّق آخرون بين الأمل والرجاء، فقال بعضهم: ((الأمل يكون في الممكن والمستحيل، والرجاء يختص بالممكن))^(١٠٨)، وهذا ما عُرف بالتمييز بين التمني والترجي، وكذلك بين الأمل والطمع فلا

٦. ينظر لباب التأويل: ١/ ٣٨٠، و تفسير أبي السعود: ١/ ٢٩٣.

٧. الميزان: ١٨/ ٢٥٨.

١. المعجم في فقه لغة القرآن وسر فصاحته: ٣/ ٦٩٥.

٢. سورة التوبة: ٦٦، و سورة البقرة: ١٠٨، و سورة آل عمران: ٨٦، ١٠٠، ١٠٦، ١٤٩، و سورة النساء: ١٣٧، و سورة المائدة: ٥٤، و سورة المنافقون: ٣.

٣. ينظر العين: ٣٤٧/٨، الصحاح: ١٦٢٧/٤، لسان العرب: ٢٧/١١، القاموس المحيط: ١/٣٤.

٤. ينظر الإفصاح لابن سيده: ١/ ١٥٦، المصباح المنير: ١/ ٢٣.

٥. المصباح المنير: ١/ ٢٣.

١. فروق اللغات: ٢٩.

يقال طمعت إلا إذا قرب منه فإن الطمع لا يكون إلا فيما قرب حصوله وقد يكون الأمل بمعنى الطمع .

وأوجز المصطفوي معنى الأمل بقوله: ((المعنى الحقيقي لهذه المادة: الرجاء البعيد والترقب لأمر بعيد حصوله))^(١٠٩) .

والتأمل هو التدبر، تقول: ((تأملت الشيء، إذا تدبرته، وهو إعادتك النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تعرفه))^(١١٠) .

جاءت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم، الأولى في قوله تعالى: □ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْمَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ □^(١١١)، يلاحظ أن لفظة (الأمل) وردت في سياق مؤداه الذم، فالله سبحانه وتعالى في صدد تخويف مَنْ شغلته الدنيا وملذاتها وتهديدهم، فهو سبحانه يتوعدهم بقوله: (فسوف يعلمون)، ولهذا وجه المفسرون معنى الكلمة وجهة تتناسب مع السياق، ولم يذهبوا إلى ما أدته اللفظة في حقلها اللغوي من توجه نحو الخير، فالإنسان دائماً يأمل خيراً، إلا أن (الأمل) هنا اتجهت وجهة دنيوية مذمومة، فقالوا في تفسير (ويلهم الأمل) أي (شغلهم الأمان عن الإيمان والتكثير من الطاعات والتزود للمعاد)^(١١٢) .

ورأى بعض المفسرين أن الأمل هنا تعني توقعهم لطول الأعمار، أو هو حُبّ الدنيا والأنس بها ونسيان الآخرة فـ ((حقيقة الأمل الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها والإعراض عن الآخرة))^(١١٣)، ويمكن أن يقال إن معنى (الأمل) يبقى دائراً في ميدان الخير، فالإنسان عندما يأمل من الدنيا خيراً يتوقع أن ذلك يصب في مصلحته، إلا أنه عندما يُشغله ذلك الأمل عن الآخرة يتحول إلى شر من غير أن يشعر بذلك التحول فيصبح أمراً مرفوضاً في نظر الشارع المقدس .

أما في قوله تعالى: □ . . . وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً □^(١١٤)، فقد وردت لفظة (أَمْلاً) في سياق المدح إذ سبقتها لفظة (خَيْرٌ)، لذا قال المفسرون إنها هنا تعني الرجاء، أي أن الأمل للعمل الصالح خير من الأمل للعمل السيئ^(١١٥) .

و (خيرٌ أَمْلاً) أي ((أفضل ثواباً وأصدق أَمْلاً من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا، فإن من الآمال كواذب، وهذا أمل لا يكذب، لأن من عمل الطاعة وجد ما يعمله عليها من الثواب))^(١١٦) . وهذه الآية على عكس سابقتها، فقد جاءت في سياق الترغيب، لذا اختلفت صياغتها كما اختلف مضمونها، والفارق بين الآيتين واضح، فقد وردت لفظة (الأمل) في الآية الأولى بمعنى الأمل الدنيوي الذي يُنسي الآخرة، وهو أمل مذموم، وقد جاء معرّفاً بـ (أل) التي تفيد العهد، أي أنه الأمل

٢. التحقيق : ١٣٧/١ .

٣. مصباح المنير : ٢٣/١ .

٤. سورة الحجر : ٣ .

٥. كشف الأسرار : ٢٩١ / ٥ .

٦. الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ١٠ .

٧. سورة الكهف : ٤٦ .

٨. ينظر معاني القرآن للفراء : ١٤٦ / ٢ .

٩. مجمع البيان : ٤٧٣ / ٣ .

الذي يعرفه الإنسان، أما الآية الثانية فقد جاءت لبيان حال من أحوال الآخرة، لذا جاءت لفظة (أماً) بوصف ممدوح، كما جاءت بصيغة النكرة، وذلك لأنها تبدو مبهمة بعض الشيء بالنسبة للإنسان، وربما دلّ التنكير على معنى آخر، فكلمة (أماً) تمييز (نكرة يدل على عظمة الثواب والأمل، أي ثواب وأمل لا يبلغ منتهاهما، فالباقيات الصالحات خير عند ربك من حيث الثواب ومن حيث الأمل، فالمراد به أمل الآخرة) ((^{١١٧})).

❖ رضي:

رَضِيَ الشَّيْءُ وَرَضِيَتْ بِهِ رِضَاءً: اِخْتَرْتُهُ، وَارْتَضَيْتُهُ: مَثَلُهُ، وَأَرْضِيَتْهُ إِرْضَاءً وَرَاضِيَتْهُ (مِرَاضَاءً) وَ (رِضَاءً) مِثْلَ وَافَقْتَهُ مُوَافَقَةً وَوَفَاقًا وَزَنًا وَمَعْنَى، وَالرَّضَى يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السُّخْطِ، وَالرِّضْوَانُ: الرِّضَا الْكَثِيرُ^(١١٨).

والرضا قبول نفسي، وعليه يُبنى الحب والقبول والطاعة والسرور والاختيار. جاء الرضا في القرآن الكريم متعلقاً بالمفعول بلا واسطة حرف كما في قوله تعالى: □ ... رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ... □^(١١٩)، وقوله: □ ... وَمَسَاكِنٍ تَرْضَوْنَهَا ... □^(١٢٠)، كما ورد متعلقاً

بواسطة الباء في قوله تعالى: □ ... أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... □^(١٢١)، ووجود الباء دليل على شدة الرضا والتعلق.

و (الارتضاء) هو الاختيار عن رضا، قال تعالى: □ ... وَكَأَيُّ شَفْعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ... □^(١٢٢)، أي اختاره ورضي عنه .

❖ سرّ (سرور):

السَّرُّ: خَالِصُ الشَّيْءِ وَمِنْهُ السَّرُورُ لِأَنَّهُ أَمْرٌ خَالٍ مِنَ الْحُزْنِ، وَالسَّرُورُ: مَا يَنْكُتُ مِنَ الْفَرْحِ، وَيُقَالُ هُوَ فِي سُرُورٍ وَمَسْرَةٍ وَمَسَارٍ، وَسُرٌّ بِهِ^(١٢٣).

والسرور لا يحدث إلا في نفس راضية مبتهجة بالشيء الذي سبب لها ذلك الشعور لأن (حقيقته انبساط في الباطن وصفائه وخلوصه عن عروض تحولات توجب الانقباض والحزن والتألم والتكدر والتلون) ((^{١٢٤})).

ورد الفعل من هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ ... إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ □^(١٢٥)، و (تُسُرُّ) تشير إلى وجود قبول نفسي عند الناظر لها من خلال ظهور حالة باطنية خالصة عن الانقباض والكدورات.

وجاء بصيغة المصدر مرة واحدة في قوله تعالى: □ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً

٢. المعجم في فقه لغة القرآن : ٢٤٨ / ٣ .

٣. ينظر مقاييس اللغة: ٤٠٢ / ٢، المفردات: ٣٥٦، المصباح المنير: ٢٢٩ / ١ .

٤. سورة التوبة : ٥٩ .

٥. سورة التوبة : ٢٤ .

٦. سورة التوبة : ٣٨ .

٧. سورة الأنبياء : ٢٨ .

١. ينظر: مقاييس اللغة (سر): ٦٨ / ٣، المفردات: ٤٠٤ - ٤٠٥ .

٢. التحقيق : ١٢٧ / ٥ .

٣. سورة البقرة : ٦٩ .

وَسُرُوراً □ (١٢٦)، والسرور نقيض الحزن، ومعلوم أن الحزن يكون بالمراري، فينبغي أن يكون السرور بالفوائد وما يجري مجراها من المَلَذَّة (١٢٧).

وجاء بصيغة اسم المفعول مرتين، قال تعالى: □ وَيَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً □ (١٢٨)، و (مسرورا) تعبير عن كامل الرضا النفسي عن الحالة التي هو فيها.

❖ سَلَمٌ :

الإسلام هو الانقياد لأنه يَسَلِمُ من الإباء والامتناع، والسَلَمُ: الصلح، وسَلِمَ المسافر يسلم سلامة: خالص ونجا من الآفات، فهو سالم، واستسلم: انقاد، والسَلَامَةُ: ضد البلاء (١٢٩).
وأسلم واستسلم تحمل مؤشرات القبول النفسي لأن أصل هذه المادة ((هو ما يقابل الخصومة وهو الموافقة الشديدة في الظاهر والباطن بحيث لا يبقى خلاف في البين، ومن لوازم هذا المعنى مفاهيم الانقياد والصلح والرضا)) (١٣٠).

كثيراً ما ورد الفعل (أسلم) يحمل دلالة الانقياد الفكري الذي يحصل نتيجة الرضا النفسي للمنقاد إليه بعد حصول الموافقة والملاءمة بحيث لا يبقى خلاف في الظاهر والباطن، قال تعالى: □ أَغْيِرَ

دِينِ اللَّهِ يَغْيِرُونَ وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ... □ (١٣١).

وسمي الدين الإسلام لأنه ((عبارة عن جعل شيء سِلماً أي موافقاً متلائماً لا يبقى خلاف ولا تُرى جهة مغايرة ومنافرة)) (١٣٢)، قال تعالى: □ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِسْلَامٌ ... □ (١٣٣).

❖ سُؤِلَ :

أصل سؤل يدل على استرخاء في شيء، وسؤلت له الشيء إذا زينت له، وكأنه من سؤل الإنسان وهو أمنيته التي يتمناها فتزین لطالبها الباطل والغرور (١٣٤).
ومن سؤل أمراً ففي نفسه قبول لهذا العمل، وهو يحاول نقل هذا القبول إلى المقابل من خلال تزيين العمل وإظهاره بصورة حسنة.

ورد هذا الفعل أربع مرات في القرآن الكريم، كان الفاعل (الشيطان) مرة والنفس الإنسانية ثلاث مرات، وهذا دليل على أن المسؤل لا يكون إلا منحرفاً عن الحق، قال تعالى: □ إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتُمْ دُونًا

عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سُوِّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ □ (١٣٥)، فيلاحظ في ((كلمة التسويل أمر

٤. سورة الإنسان : ١١.

٥. ينظر الفروق : ٢٢٠.

٦. سورة الانشقاق : ٩ ، وينظر الانشقاق : ١٣.

٧. ينظر مقاييس اللغة (سلم) : ٩٠/٣ ، المصباح المنير: ٢٨٦/١.

٨. التحقيق : ٢٢٩/٥.

١. سورة آل عمران : ٨٣.

٢. التحقيق: ٢٣٢/٥.

٣. سورة آل عمران : ١٩.

٤. ينظر مقاييس اللغة: (سول): ١١٨/٣ ، الصحاح: (سول): ١٧٣٣/٥ ، المصباح المنير: ٢٩٧/١..

٥. سوره محمد : ٢٥.

على خلاف ما هو عليه، وتحسينه وتحبيبه، وكونه عن غرور وغفلة عن الحق، متعلقاً بخلافه))^(١٣٦).

وقال تعالى: □ ... قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ... □ (١٣٧) (١٣٨)، ويلاحظ أن النفس راضية مقتنعة بالعمل فحاولت تزيين العمل لإقناع العقل بالقيام به وقد استطاعت من خلال التسويل إرضاء العقل ولو في لحظة القيام بالعمل و أن أعقب ذلك ندم أو تحول القبول إلى الرفض .
❖ فرح :

فرح خلاف حزن، قال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خفة، ويستعمل في معان: أحدها - الأشر والبطر، قال تعالى: □ .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ □ (١٣٩)، والثاني - الرضا، قال تعالى: □ .. كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ □ (١٤٠)، والثالث - السرور، قال تعالى: □ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ .. □ (١٤١)، ويقال فرح بشجاعته ونعمة الله عليه وبمصيبة عدوه، فهذا الفرح لذة القلب بنيل ما يشتهي^(١٤٢). والفرح من الأفعال القلبية، فهو قبول نفسي، يظهر من خلال آثاره أو من خلال الإخبار عنه .

ورد هذا الفعل ومشتقاته اثنتا عشرة مرة، مثل قوله تعالى: □ ... إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ... □ (١٤٣)، وهذا فرح في حق، ويمكن أن يكون فرحاً في باطل كما في قوله تعالى: □ ذَلِكَ مِمَّا كُتِبَ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ ... □ (١٤٤).

وثمة تقارباً دلالياً بين الفرح والسرور، فالسرور ((يقابل الحزن، أي انبساط يوجب رفع الحزن والتألم ... والفرح إنما يتحقق بعد الاغتمام و برفع تغطية وانكدار، فهو أمر عرضي ويزول بزوال علته))^(١٤٥)، وقيل إن السرور لا يكون إلا بما فيه نفع أو لذة على الحقيقة، أما الفرح فقد يكون بما ليس ينفع ولا لذة فيه كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سروراً^(١٤٦)، كما أن هنالك فرقاً بين الفرح والمرح لأن ((الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه وقد يكون بالباطل فيذم عليه، والمرح لا يكون إلا بالباطل، ويؤيده قوله تعالى: □ ذَلِكَ مِمَّا

-
٦. التحقيق : ٣٣٤ / ٥ .
 ٧. سورة يوسف : ١٨ و ٨٣ .
 ٨. ينظر سورة طه : ٩٦ .
 ١. سورة القصص : ٧٦ .
 ٢. سورة المؤمنون : ٥٣ .
 ٣. سورة آل عمران : ١٧٠ .
 ٤. ينظر لسان العرب : ٥٤١ / ٢ ، المصباح المنير : ٤٦٦ / ٢ .
 ٥. سورة الشورى : ٤٨ .
 ٦. سورة غافر : ٧٥ .
 ٧. التحقيق : ٥١ - ٥٢ .
 ٨. ينظر الرسالة التامة في فروق اللغة العامة : ١٢٥ .

كُنْتُمْ نَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ □ (١٤٧)، حيث قيد الأول وأطلق الثاني)) (١٤٨).

❖ **قبيل:**

قبيلتُ العَقْدَ أَقبِلُهُ قبولاً، وقبيلتُ القول: صدَّقْتُهُ، وقبيلتُ الهدية: أخذْتُها، وتقبَّلتُ العمل من صاحبه: إذا التزمته بعقد، وقبيلتُ عُدْرته وتوبته وغيره وتقبَّلتُهُ كذلك (١٤٩).

وقبل الشيء أو تقبلته تعبير جلي عن قبول نفسي لأن ((التقبل والقبول: مواجهة بشيء متمائلاً راضياً في قبالة، ويقابله الإدبار والرد)) (١٥٠)، ولا يخفى أن التقبل أشد من القبول لما فيه من مبالغة في القبول.

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: □ أَنْ اللَّهَ هُوَ يُبَدِّلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ... □ (١٥١)، ويتحقق القبول بعد تحقق الرضا عن التائب، فيمكن أن نقول إن القبول نتيجة لا تظهر إلا بعد مرحلة الرضا الممهدة لها، فإن لم يحدث الرضا في النفس لن يكون هنالك قبول، قال تعالى: □ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... □ (١٥٢).

وتحمل لفظة (تقبَّل) دلالة الأخذ، فضلاً عن معاني الرضا والقبول والتمايل، قال تعالى: □ ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ □ (١٥٣)، وقوله: □ قَتَبَلَهَا مِنْهَا بَقُولٍ حَسَنٍ... □ (١٥٤)، فنجد في دلالتها مفاهيم الأخذ والتلقي والتصديق والالتزام والكفالة.

المبحث الثاني

القبول القولي

أو الألفاظ التي تدل على القبول القولي

❖ **أذن:**

في العربية (أذن) و(أذن) و(أذن) و(أذن) و(أذن) ولكل معناها الخاص إلا إن الذي يدخل في

٩. سورة غافر: ٧٥.

١٠. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ١٦٨.

١. ينظر المفردات: ٦٥٣، المصباح المنير: ٤٤٨/٢.

٢. التحقيق: ٢٠٦/٩.

٣. سورة التوبة: ١٠٤.

٤. سورة آل عمران: ٨٥.

٥. سورة المائدة: ٢٧.

٦. سورة آل عمران: ٣٧.

موضوع القبول هو الفعل (أذن) و((أذن له في الشيء إذنًا: أباحه له، واستأذنه: طلب منه الإذن، وأذن له عليه: أخذ له منه الإذن))^(١٥٥)، فإذا إذن له يكون قد سمح له بفعل ما و((أذنت له في كذا: أطلقت له في فعله، ومثله أذن لي في فعله))^(١٥٦)، ومن ذلك قيل: ((أذنت للعبد في التجارة فهو مأذون له، والفقهاء يحذفون الصلّة ويقولون: العبد المأذون))^(١٥٧).

ورأى المصطفوي أن الإذن يكون بالتصريح وبغيره؛ لأنه: ((الاطلاع بقيد الرضا والموافقة سواء صدر منه أمر أو لا))^(١٥٨)، إلا أن كلام أبي هلال يشير إلى أن هذا التعريف يعود للإباحة لا للإذن، ففي معرض حديثه عن الفرق بين الإذن والإباحة يقول: ((إن الإباحة قد تكون بالعقل والسمع، والإذن لا يكون إلا بالسمع وحده))^(١٥٩).
بمعنى أن الأذن يجب أن يصرح بالإذن فيعلم المأذون له، أما المباح فيُعرف من خلال الكلم ومن خلال السكوت.

و (أذن) أيضاً تعني (علم)، وقد يكون هذا المعنى هو الأصل، ثم تطور إلى معنى (إباحة الفعل)؛ لأنَّ مَنْ عِلِمَ بِأَمْرٍ وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ أَبَاحَهُ فَـ ((أذنتُ بهذا الشيء، أي عِلِمْتُ، وأذنتُ: أعلمني، وفعله بإذني، أي بعلمي، وهو في معنى بأمر))^(١٦٠) والأذان: الإعلام^(١٦١).
والإذن مصدر (أذن) ((بمعنى العلم والإباحة، ويستعمل في المشيئة والأمر، فيقال: فعله بإذني، أي بعلمي وأمر))^(١٦٢)، وبمعنى أدق أن ((الأصل في الإذن بالشيء الإعلام بإجازته والرخصة فيه ورفع الحجر عنه))^(١٦٣)، أي أن الأذن قد علم بالأمر فأمر به أو أجازته أو رخص فيه أو رفع الحجر عنه.

وثمة فرق دلالي بين الإذن والإجازة، فالإذن هو الرخصة في الفعل قبل إيقاعه، ويدل على ذلك قوله تعالى: □ ... فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ... □^(١٦٤)، والإجازة الرخصة في الفعل بعد إيقاعه فهي بمعنى (الرضا) بما وقع، ولذلك يسمي الفقهاء رضا الوارث بما فعله الموصي من الوصية بما زاد على الثلث إجازة^(١٦٥).
وقسم الطبرسي معاني (الإذن) في اللغة على ثلاثة أقسام أحدها العلم والثاني الإباحة والإطلاق، والثالث الأمر، والمعاني الثلاثة واردة في القرآن الكريم^(١٦٦).
واستأذنه طلب منه الإذن، وأذنته، أي أعلمته، والتأذن: الإعلام.
وللفعل (أذن) - على أن يكون مصدرها (أذناً) بفتح الذال - معنى آخر في اللغة هو (استمع) فقالوا ((أذنت له، معناه استمعت له))^(١٦٧)، أو استمعتُ معجباً^(١٦٨).

١. لسان العرب : ١١ / ١٣ .
٢. مجمع البحرين : ١٩٨ / ٦ .
٣. م. ن. : ١٩٨ / ٦ ، وينظر معجم الأغلاط : ٩ .
٤. التحقيق : ٥٠ / ١ .
٥. الفروق اللغوية : ١٨٨ .
٦. العين : ١٩٩ / ٨ ، وينظر المقاييس : ٧٥ / ١ ، القاموس المحيط : ١٩٧ / ٤ .
٧. لسان العرب : ٩ / ١٣ ، وينظر: التبيان : ١٩٩ / ٥ .
٨. معجم الألفاظ ، مجمع اللغة : ٣٢ / ١ .
٩. روح المعاني : ١٩٤ / ١١ ، وينظر المفردات : ١٤ .
١. سورة النور : ٦٢ .
٢. ينظر الرسالة التامة في فروق اللغة العامة، تأليف الشيخ محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرياسي : ٢٤ .
٣. مجمع البيان : ١٧١ / ١ .
٤. ذيل الأمالي، القالي : ١٢ / ١ .
٥. معجم الألفاظ : ٣٢ / ١ .

وقد ورد الفعل (أذن) ومشتقاته في القرآن الكريم قريباً من المعاني التي أقرها له علماء اللغة، إلا إن أكثر استعمالاته - وبخاصة عندما يكون بصيغة الماضي - جاء بمعنى ((الإعلام بإجازته والرخصة فيه ورفع الحجر عنه))^(١٦٩).

ففي قوله تعالى: □ في بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ... □^(١٧٠)، فسرت (أذن) بـ (أمر) وقضى) أو (رضي) ويمكن أن نفسرها بـ (شاء) ((وحقيقة الإذن العلم والتمكين دون حظر، فإن اقترن بذلك أمرٌ وإنفاذٌ كان أقوى))^(١٧١).

وجاء بمعنى (رضي) في قوله تعالى: □ وَكَاتَبْنَا الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَلَهُ... □^(١٧٢)، ((المعنى انه لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى إلا لمن رضي الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة، مثل الملائكة والأنبياء والأولياء، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له))^(١٧٣)، فـ(أذن له) تعني منحه إجازة الشفاعة بعدما رضي عنه وبعدها تمكن ذلك الشخص من الوصول إلى مقام الشفيع.

وجاءت في آيات أخر بمعنى (منح الرخصة ورفع الحجر عن الفعل)، كما في قوله تعالى: □ ... إِنْ أَذْنَلَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا □^(١٧٤)، والآية تصف مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث يقف الخلق لا يتكلمون؛ لأنه لا يسمح لهم بالكلام أو إنهم لا يملكون القدرة عليه إلا بإذن، وقوله: (لا يملكون) ((مؤكد له على معنى أن أهل السماوات والأرض إذا لم يقدرُوا حينئذٍ أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام، إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم مطلقاً))^(١٧٥).

وقريب من هذا المعنى فسّر به قوله تعالى: □ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ... □^(١٧٦)، ((فالإذن رفع التبعة، عاتب الله تعالى نبيه (2) لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ من المتأخرين عن الخروج معه إلى تبوك، وإن كان له إذنه، لكن كان الأولى أن لا يأذن))^(١٧٧)، أو هو ((بيان لما كنى عنه بالعفو))^(١٧٨)، فـ (أذنت لهم) بمعنى (سمحت لهم) أو (رفعت عنهم المسؤولية) أو (عفوت عنهم).

وجاءت مطابقة لمعناها اللغوي ومفسرةً به في قوله تعالى: □ أَذْنِ الَّذِينَ يَقَاتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا... □^(١٧٩)، فالإذن هنا لا يبتعد عن المعنى الحقيقي؛ لأن (الإذن في الشيء: إعلام بإجازته

٦. روح المعاني : ١١ / ١٩٤.

٧. سورة النور: ٣٦.

٨. الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ٢٦٦.

٩. سورة سبأ : ٢٣.

١٠. مجمع البيان : ٤ / ٣٨٩.

١. سورة النبأ : ٣٨، وينظر النور : ٦٢.

٢. روح المعاني : ٣٠ / ٢٠.

٣. سورة التوبة : ٤٣.

٤. التبيان : ٥ / ٢٦٤.

٥. الكشاف : ٢ / ١٩٢.

٦. سورة الحج : ٣٩.

والرخصة فيه)^(١٨٠)، ومجيء الفعل مبنياً للمجهول وبصيغة الماضي إشارة إلى أن هذه الإجازة هي الأولى من نوعها في هذا المجال (مجال القتال) فـ (ظاهر السياق أن المراد بقوله: (أذن) إنشاء الإذن دون الإخبار عن إذن سابق، وإنما هو إذن في القتال))^(١٨١).

لقد عبّر المفسرون عن معاني هذه اللفظة بعبارات مختلفة تنسجم مع سياق الآية، على الرغم من أن هذه المعاني تنطلق من دائرة الأصل اللغوي، فقالوا إن معنى (أذن): ((أباح، أو أمر أو رضي أو علم أو شاء أو أطلق في الفعل أو أراد أو رفع المنعة أو...)) فقالوا في قوله تعالى: □ أمُّ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ... □^(١٨٢)، أي ((ابتدعوا لهم من الدين ما لم يُبِح الله لهم ابتداعه))^(١٨٣)، و((لم يرضَ ولم يأمر به))^(١٨٤).

وجاءت هذه اللفظة بصيغة المصدر (إذن) واقتربت بلفظ الجلالة (١٥) مرة وأضيفت إلى ضمير يعود عليه سبحانه (١٠) مرات، وعلى الرغم من أن (بإذن الله) مفهومة المعنى فإن المفسرين منحوها تفسيرات مختلفة انسجمت مع سياق الآية الواردة فيها فقالوا في قوله: □ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ... □^(١٨٥)، أي بتيسيره وتسهيله^(١٨٦)، أو (بأمر الله)^(١٨٧) أو (بإرادته وعلمه)^(١٨٨)، وجمع الألووسي هذه المعاني وغيرها في قوله: ((أي بأمره، أو بعلمه وتمكينه إياه من هذه المنزلة، أو باختياره، أو بتيسيره وتسهيله، وأصل معنى الإذن في الشيء: الإعلام بإجازته والرخصة فيه، فالمعاني المذكورة كلها مجازية والعلاقة ظاهرة))^(١٨٩) (١٩٠).

وخرجت إلى معنى مجازي آخر في قوله تعالى: □ ... وَمَا هُمْ بِضَائِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ

اللَّهِ □^(١٩١)، فقال عنها المفسرون إنها تعني ((الإبتخالية لله، من شاء الله منعه فلا يضره السحر،

٧. روح البيان : ٣٨/٦.

٨. الميزان : ٣٨٤ / ١٤.

٩. سورة الشورى : ٢١.

١٠. جامع البيان : ٢١/٢٥.

١١. كشف الأسرار : ١٨ / ٩.

١. سورة البقرة : ٩٧.

٢. الكشاف : ٢٩٩ / ١.

٣. مجمع البيان : ١٦٧/١١، وينظر التفسير الكبير: ١٩٧ / ٣.

٤. الجامع لأحكام القرآن : ٣٦ / ٢.

٥. روح المعاني : ٣٣٣ / ١.

٦. ينظر سورة البقرة: ٢٤٩ و سورة الأنفال: ٦٦ و سورة الأحزاب: ٤٦.

٧. سورة البقرة : ١٠٢.

ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره))^(١٩٢)، وقد خرج المفسرون هذه اللفظة إلى غير معناها اللغوي لأنه لا ينسجم مع سياق الآية ((فاعلم أن الإذن حقيقة في الأمر، والله لا يأمر بالسحر، لأنه تعالى أراد عيبهم وذمهم، ولو كان قد أمرهم به لما جاز أن يذمهم عليه، فلا بد من التأويل))^(١٩٣)، فقالوا: (إلا بإذن الله) تعني إلا (بقضاء الله)^(١٩٤) أو (إلا بعلم الله)^(١٩٥) أو بمشيئته^(١٩٦) وإلا بأمره^(١٩٧).

وقريب من هذا المعنى جاء في قوله تعالى: □ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّيِّبِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَكَيْعَلَمَ الْمُؤْمِنِينَ □^(١٩٨)، قالوا في تفسير (بإذن الله) بقضاء الله وقدره^(١٩٩)، أو بعلمه^(٢٠٠)، أو بأمره^(٢٠١)، أو ((بتخليته، استعار، (الإذن) لتخليية الكفار، وإنه لم يمنعهم منها ليبتليهم، لأن الأذن مُخَلِّ بين المأذون له ومراده))^(٢٠٢).

وقد اعترض الطوسي على تفسيرها (بأمره) لأنه ((خلاف الإجماع؛ لأن أحداً لا يقول: إن الله يأمر المشركين بقتل المؤمنين، ولا أنه يأمر بشيء من القبائح، ولأن الأمر بالقبيح قبيح لا يجوز أن يفعله الله تعالى))^(٢٠٣) (٢٠٤).

كما أن هنالك فرقاً بين الإذن والأمر، بينه الطوسي بقوله: ((إن في الأمر دلالة على إرادة الفعل المأمور به، وليس في الإذن دلالة على إرادة المأذون فيه كقوله: □ ... وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا... □^(٢٠٥)، فهذا إذن))^(٢٠٦)، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن تفسير (أذن لكم) بـ (أمركم)^(٢٠٧)، في قوله تعالى: □ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ... □^(٢٠٨)، ليس دقيقاً،

-
٨. مجمع البيان : ١ / ١٧٦ .
 ٩. التفسير الكبير : ٣ / ٢٢١ .
 ١٠. جامع البيان : ١ / ٤٦٤ .
 ١١. الجامع لأحكام القرآن: ٢ / ٥٥ وينظر تهذيب اللغة: ١٥ / ١٧ .
 ١٢. المفردات : ١٥ .
 ١٣. مجمع البحرين : ١ / ٣٩٣ .
 ١. سورة آل عمران : ١٦٦ .
 ٢. ينظر جامع البيان : ٤ / ١٦٧ .
 ٣. ينظر التبيان: ٣ / ٤١، مجمع البيان: ٣٣ / ٥، التفسير الكبير: ٩ / ٨٣ .
 ٤. ينظر التفسير الكبير: ٩ / ٨٣ .
 ٥. الكشاف : ١ / ٤٧٧ .
 ٦. التبيان : ٣ / ٤١ .
 ٧. ينظر التباين : ١١ .
 ٨. سورة المائدة : ٢ .
 ٩. التبيان : ٧ / ١٨٩ .
 ١٠. ينظر مجمع البيان : ٢ / ٤٦٣، روح المعاني : ٩ / ٢٧ .
 ١١. سورة الأعراف : ١٢٣ .

والأولى تفسيرها بـ (اسمح لكم) أو (أرخصكم) لأن فرعون لا يُريد للسحرَةَ أن يؤمنوا بالله فكيف يُنتظر منه أن يأمرهم بذلك .

وتبقى هذه اللفظة دائرة في ميدان الاستعمال المجازي تستمد معناها الدقيق من السياق ومن القرائن التي تتوفر فيه، فوردت كثيراً (بإذن الله) و (بإذنه) و (بإذن ربهم) بمعنى (بأمره، وبلفظه، وبارادته، وبتوقيفه، وبارشاده، وبتيسيره، وبتسهيله، وبعونه، وبقدريته، وبمشيئته، وبعلمه، وبتمكينه، وبرضاه، وبتدبيره، وبعونه...) (٢٠٩).

وجاء الفعل (أذن) الذي مصدره (إذناً) في القرآن الكريم وكما ذكر علماء اللغة أن (الإذن: الاستماع) وردت في قوله تعالى: □ وَأَذَنْتُ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ □ (٢١٠)، استعان المفسرون بالمعنى اللغوي لهذه اللفظة فقالوا إنها تعني (سَمِعَتْ لِرَبِّهَا) (٢١١) أو (سمعت وأطاعت) (٢١٢)، فلا يعني أن (السموات) سمعت أمر ربها أو استمعت له فقط وإنما هو (سَمِعَ طَاعَةَ وَقَبُولَ) (٢١٣)، لذا راح المفسرون يمنحون هذه اللفظة معاني مجازية تنطلق من الأصل اللغوي وتميل مع دلالة السياق العامة، فقالوا إنها استمعت وأطاعت وانقادت وأذعت لتأثير قدرته تعالى، وإسناد الاستماع إلى السماء ((هو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل، يعني إذا أطلق الإذن، وهو الاستماع في حق من له حاسة السمع والاستماع بها، يراد بها الإجابة والانقياد مجازاً، وإذا أطلق في حق نحو السماء، مما ليس في شأنه الاستماع والقبول، يكون استعارة تمثيلية)) (٢١٤).

ومن بين تفسيرات (يُؤذَن) الواردة في قوله تعالى: □ ... ثُمَّ لَا يُؤذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَبُونَ □ (٢١٥)، قيل: (لا يُسمع عذرهم) (٢١٦).

وذكرت في القرآن الكريم (أذن) التي بمعنى (اعلم) ولكن بصيغة الأمر في قوله تعالى: □ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... □ (٢١٧)، أي اعلموا أو استيقنوا بحرب ((وقرئ (فأذنوا) بالأمر من (الإيدان)، والبَاءُ فِي قَوْلِهِ (بِحَرْبٍ) لتضمينه معنى اليقين ونحوه، والمعنى أيقنوا بحرب أو

١٢. ينظر على سبيل المثال: سورة البقرة: ٢١٣، ٢٢١ وسورة آل عمران: ٤٩، ١٤٥، ١٥٢ وسورة النساء: ٦٤ وسورة الأعراف: ٥٨ وسورة المائدة: ١٦ وسورة الرعد: ٣٨ وسورة يونس: ٣ وسورة هود: ١٠٥ وسورة إبراهيم: ١١، ٢٣، ٢٥ وسورة سبأ: ١٢ وسورة فاطر: ٣٢ وسورة المجادلة: ١٠.

١. سورة الانشقاق: ٢.

٢. جامع البيان: ٣٠/١١٣.

٣. م. ن: ٣٠/١١٣.

٤. تهذيب اللغة: ١٩/١٥.

٥. روح البيان: ١٠/٣٧٥.

٦. سورة النحل: ٨٤.

٧. كشف الأسرار: ٤٣٠/٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/١٦٢.

٨. سورة البقرة: ٢٧٩.

أَعْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْيَقِينِ بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَنْكِيرِ الْحَرْبِ لِإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّنْوِيحِ))^(٢١٨).
 وقريب من هذا المعنى جاء قوله تعالى: □ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ... □^(٢١٩)، أي
 أعلمتكم و (أذن) منقول من (أذن) إذا علم، ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار، ومنه
 قوله تعالى: □ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... □^(٢٢٠)، والإيذان إفعال من الإذن، وأصل
 (الإذن) في اللغة - كما مر بنا - العلم بالإجازة في شيء وترخيصه ((ثم تجوز به عن مطلق العلم،
 وصيغ منه الإفعال، وكثيراً ما يتضمن معنى التحذير والإنذار))^(٢٢١).

كما قيل في (أذناك) إنها تعني (أعلمناك)^(٢٢٢)، في قوله تعالى: □ ... قَالُوا أَذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ
 شَهِيدٍ □^(٢٢٣)، إلا إن بعض المفسرين اعترض على هذا المعنى وقال إنها تعني (أسمعناك أو
 أخبرناك) ((لأن أهل القيامة يعلمون الله ويعلمون أنه يعلم الأشياء علماً واجباً، فالإعلام في حقه
 محال))^(٢٢٤).

ووردت (يستأذن) و (استأذن) و (يستأذنونك) وغيرها من الأفعال التي تفيد طلب الإذن، وهي
 في كل ذلك لم تخرج عن الأصل اللغوي لدلالة الاستئذان^(٢٢٥)، و((جاء الاستئذان من قبل المنافقين
 (٥) مرات، كلها بشأن القتال، ومن قبل المؤمنين (٣) مرات مثبتاً في غير القتال، ومرة واحدة
 منفياً بشأن القتال، وفيه إيماء إلى استئذان المؤمنين حتى فيما أبيح لهم أقل من المنافقين فيما حرم
 عليهم))^(٢٢٦).

يتبين مما سبق أن (الإذن) ومشتقاته كثير الورد في القرآن الكريم، وقد جاء مطابقاً أو قريباً
 من معناه في أصل اللغة في بعض الآيات واتجه نحو دلالات مجازيه في آيات أخر، وهو في كل ذلك
 يستمد معناه الدقيق من السياق الذي يرد فيه، ومُنحت هذه اللفظة إشعاع دلالي واسع الأفق عندما
 اقترنت بلفظ الجلالة أو بلفظ يدل عليه سبحانه أو عندما أضيفت إلى ضمير يعود إليه، حتى أن
 المفسرين اختلفوا في توجيه معناها، على الرغم من أن دلالتها العامة واضحة فان المعنى الدقيق
 لها يختلف من آية إلى أخرى بحسب توجه دلالة السياق الخاصة.

وكثيراً ما فسرت (أذن) بمعنى (أمر) إلا أن دلالة الثانية أقوى من دلالة الأولى، لأن الأمر يكون
 مريداً لما أمر به ويريد حصوله، إلا أن الأذن وإن سمح بإيتاء الفعل إلا أنه قد لا يكون مريداً له، بل
 دفعته الضرورة إلى أن يأذن بذلك.

❖ أمر:

الأمر نقيض النهي وهو طلب صريح باتيان العمل، والطلب لا يتحقق إلا إذا سبقه قبول لذلك
 العمل، فمن غير المعقول أن يأمر الأمر باتيان عمل ما من قبل أن يقتنع بفكرة ذلك العمل، فالقبول

٩. الميزان : ٢ / ٤٢٢.

١٠. سورة الأنبياء : ١٠٩.

١١. سورة البقرة : ٢٧٩.

١٢. روح المعاني: ١٧ / ١٠٧، وينظر الميزان : ١٤ / ٣٣١.

١. ينظر جامع البيان: ١/٢٥، تهذيب اللغة: ١٨/١٥، الكشاف: ٣ / ٤٥٦، التبيان: هلم ٥ / ١٨.

٢. سورة فصلت : ٤٧.

٣. التفسير الكبير: ١٣٦/٢٧، وينظر مدارك التنزيل : ٩٧/٤.

٤. ينظر سورة التوبة : ٤٤، وسورة النور : ٥٨، ٥٩.

٥. المعجم في فقه لغة القرآن الكريم : ٨٠٠/١.

قد استقر في نفس الأمر، وتطور إلى مرحلة ثانية هي فكرة الإعلان عن ذلك القبول فتجسد الإعلان بصورة الأمر.

والأمر الحقيقي - كما هو معروف - يصدر من الأعلى إلى الأدنى، وخير ما يمثل ذلك هو الأمر الإلهي، فكل ما أمر به عز وجل قد تحقق قبوله المسبق لذلك العمل بل قبوله المؤكد والصريح؛ لذلك جاء أمراً، ولم يأت إباحة أو تشجيعاً، بل على صيغة الإلزام، منه قوله تعالى: □ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ... □ (٢٢٧)، وإنما في حديثنا هنا عن الأمر لا نقصد فعل الأمر بعمومه؛ لأن ذلك من الموضوعات التي تدرج تحت الأساليب المعبرة عن القبول في القرآن الكريم والذي سيأتي الحديث عنها في الباب الثاني إن شاء الله، وإنما نقصد هنا لفظة (أمر) واشتقاقها في القرآن الكريم، فقد وردت بصيغ مختلفة منها الفعل الماضي (أمر): كقوله تعالى: □ ... إن الحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ... □ (٢٢٨)، فالعبادة له وحده سبحانه هي ما قبل به البارئ وأمر به، وكل ما خرج على مبدأ التوحيد هو خارج عن الرضا الإلهي.

ويخرج معنى (أمر) عن المعنى الحقيقي لها لتعبّر عن معانٍ مجازية كقوله تعالى: □ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُسْرِقِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا... □ (٢٢٩)، اختلف المفسرون في توجيه معنى (أمر) إلا أنهم اتفقوا على أنها لا تعني أمر الله بالفسق؛ لأن الله عز وجل قال وقوله الحق: □ ...إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ... □ (٢٣٠)، فقال القرطبي (ت ٦٧١ هـ) إنه يعني تهيات الأسباب للفسق فيكون ((من هلك هلك بإرادته فهو الذي يسبب الأسباب ويسوقها إلى غاياتها ليحقق القول السابق من الله تعالى)) (٢٣١).

وقال المهدوي يُعرف به إن الأمر أدى المعنى الحقيقي له ولكن بتقدير محذوف ف ((أمرنا من الأمر أي أمرناهم بالطاعة اعداراً وانذاراً وتخويفاً ووعيداً، ففسقوا، أي فخرجوا عن الطاعة عاصين لنا فحقّ عليها القول فوجب عليها الوعيد)) (٢٣٢).

ولا يختلف أبو السعود (ت ٩٥١ هـ) في توجيه معنى (أمر) في هذه الآية عن الآراء السابقة فيقول إن عدم التعرض للمأمور به ((إما لظهور أن المراد به الحق والخير، لأن الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه وإما لأن المراد وجد من الأمر كما يقال فلان يعطي ويمنع)) (٢٣٣)، فالترف كان سبباً للفسق، والذي أوصلهم إلى درجة الترف هو عطاء الله عز وجل لهم وإفاضته النعيم عليهم ((وتوفيرها على سبيل الإملاء والاستدراج وتقريبهم بذلك من

١. سورة الأعراف : ٢٩.
٢. سورة يوسف : ٤٠.
٣. سورة الإسراء : ١٦.
٤. سورة الأعراف : ٢٨.
٥. الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٣٢.
٦. المصدر نفسه : ١٠ / ٢٣٢.
٧. تفسير أبي السعود : ١٦٣ / ٥.

الفسق حتى يفسقوا)) (٢٣٤).

ويؤكد الألوسي جواز ((أن ينزل الفعل منزلة اللازم كما في يعطي ويمنع أي وجهنا الأمر ففسقوا فيها)) (٢٣٥)، ويعرض في تفسيره إلى رأي الزمخشري الذي يقول: ((إن الأصل أمرناهم بالفسق ففسقوا إلا أنه يمتنع إرادة الحقيقة للدليل فيحمل على المجاز إما بطريق الاستعارة التمثيلية بأن يشبه حالهم في تقلبهم في النعم مع عصياتهم وبطرهم بحال من أمر بذلك، أو بطريق الاستعارة التصريحية التبعية بأن يشبه إفاضة النعم المبطرة لهم وصبها عليهم بأمرهم بالفسق وبجامع الحمل عليه والتسبب له)) (٢٣٦).

ورفض الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) رأي المهدي القائل بوجود محذوف في الآية ((وآثر أن تقدير أمرناهم بالطاعة ففسقوا غير جائز لزعمة أنه حذف ما لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافه لأن قولهم أمرته فقام وأمرته ففعد لا يفهم منه إلا الأمر بالقيام والقعود ولو أردت خلاف ذلك كنت قد رمت من مخاطبك علم الغيب)) (٢٣٧).

وخروجاً من الإشكال الذي يؤدي إليه ظاهر الآية قدر بعضهم أن فيها تقديماً وتأخيراً مع دلالة الأمر على معناه الحقيقي فقالوا: ((والأصل إذا أمرنا مترفي قرية ففسقوا فيها أردنا إهلاكها فحق

عليها القول ونظيره على ما قيل قوله تعالى: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتُنْفِئَهُم مِّنْهُم

مَعَكَ... (٢٣٨)) (٢٣٩).

وإذا كانت لفظة (أمر) أثارت نقاشاً طويلاً بحثاً عن المعنى الذي أدته في هذا السياق فقد قرأها آخرون قراءة مختلفة تبعها عن ساحة هذا النقاش، فقد قرأها بعضهم (أمرنا) بالتشديد أي جعلناهم أمراء مسلمين، وقرأها آخرون (أمرنا) بالمد والتخفيف أي أكثرنا جابرتها وأمرأها (٢٤٠).

وجاءت (أمر) و (تأمر) بصيغة الفعل المضارع كما في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً... (٢٤١)، الأمر هنا حقيقي يوجب تنفيذ الأمر على وجه الإلزام، وهو تكليف شرعي لجماعة معينة صار فرضاً كفائياً، فمع أن الأمر موجهاً للجماعة إلا أن قيام أحدهم به يسقط عن البقية هذا التكليف.

وتتسع دلالة اللفظة داخل السياق القرآني لتوحي بمعانٍ تبتعد بعض الشيء عن الأصل الذي وضعت له في اللغة فلا تعني الأمر الواجب التنفيذ على وجه الإلزام وإنما تميل إلى دلالات آخر مثل التشجيع والنصيحة، كقوله تعالى: ...وَلَا مَرْهَبَ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ... (٢٤٢)، فأمر الشيطان هنا ليس أمراً حقيقياً لأنه لا يمتلك السلطة الكافية على ابن آدم ليوجه له الأمر وعلى الثاني الاستجابة

٨. تفسير الميزان : ٦٢ / ١٣ .

١. روح المعاني : ٤٣ / ١٥ .

٢. المصدر نفسه : ٤٣ / ١٥ .

٣. روح المعاني : ٤٣ / ١٥ ، وينظر تفسير الميزان : ٦٢ / ١٣ .

٤. سورة النساء : ١٠٢ .

٥. روح المعاني : ٤٥ / ١٥ .

٦. ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٢ / ١٠ ، وروح المعاني : ٤٤ / ١٥ .

٧. سورة البقرة : ٦٧ .

١. سورة النساء : ١١٩ .

الإجبارية، وإنما يحتمل المعنى أنه ترغيب ودعوة إلى ذلك الأمر بالوسائل التي يمتلكها الشيطان .
ومثله أيضاً قوله تعالى: □ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ... □ (٢٤٣)، و
(يأمرون) في هذه الآية أمرٌ بالمعنى المجازي فهو عبارة عن دعوتهم للبخل وتشجيعهم له فقد قيل
في سبب نزول هذه الآية إن أولئك كانوا ((يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في
ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون)) (٢٤٤)، أو أمرهم لا بالأقوال وإنما بواقع
الحال فيكون ((أمرهم الناس بالبخل إنما هو بسيرتهم الفاسدة وعملهم به سواء أمروا به لفظاً أو
سكتوا فإن هذه الطائفة لكونهم أولى ثروة ومال يتقرب إليهم الناس ويخضعون لهم لما في طباع
الناس من الطمع ففعلهم أمر وزاجر كقولهم)) (٢٤٥).

وأول آخرون البخل لا بالأموال وإنما بالعلم الذي كتبه اليهود ولم يبينوا للناس اسم خاتم
الأنبياء وصفاته (2) وقد رجح هذا الرأي الطبري بقوله: ((وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية
لأن الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل ولم يُبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمر
الناس بالبخل ديانة ولا تخلقاً بل ترى ذلك قبيحاً ويذم فاعله ولا يمتدح وإن هي تخلقت بالبخل
واستعملته في أنفسها فالسقاء والجود تعده من مكارم الأفعال وتحت عليه ولذلك قلنا إن بخلهم
الذي وصفهم الله به إنما كان بخلاً بالعلم)) (٢٤٦).

ولعل الذي يضعف رأي الطبري (ت ٣١٠ هـ) تكلمة الآية في قوله تعالى: □ ... وَيَكْتُمُونَ مَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ... □ (٢٤٧)، فقد بين سبحانه وتعالى كتمانهم للعلم الذي من عليهم به، فحرف
العطف (الواو) فصل معنى البخل عن معنى الكتمان ولو كانا بمعنى واحد لرُفعت الواو ليكون كتمان
العلم هو البخل الذي دلَّ عليه صدر الآية، فيصبح عجز الآية تفسيراً لصدرها، فدلَّ العطف على أنهم
قاموا بالبخل وقاموا بكتمان العلم .

ومن المتعارف عليه أن الأمر يدور بين اثنين أمر ومأمور، إلا أن التعبير القرآني يجمع الاثنين
في شخص واحد، فيجعل العقل أمراً للإنسان والآخر مطيعاً لأوامره كما في قوله تعالى: □ أَمْ
تَأْمُرُهُمْ أَخَانُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ □ (٢٤٨)، فأمر العقل هو أمر الإنسان نفسه لأنه هو الذي يوجه
نفسه الوجهة التي يبتغيها، والعقل وإن امتلك سلطة قيادة الإنسان إلا أنه ليس خارجاً عن ذاته
(وأمر الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إليه) (٢٤٩)، فهو وصول الإنسان إلى مرحلة تنفيذ الفكرة التي
تبلورت في ذهنه بعد الاقتناع بها، أي قبولها نفسياً ثم تجسيد ذلك القبول بالأعمال.

٢. سورة النساء : ٣٧ .
٣. جامع البيان : ٨٦ / ٥ .
٤. تفسير الميزان : ٣٧٨ / .
٥. جامع البيان : ٨٦ / ٥ .
٦. سورة النساء : ٣٧ .
١. سورة الطور : ٣٢ .
٢. تفسير أبي السعود : ١٥٠ / ٨ .

وقريب من ذلك قوله تعالى: □ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... □ (٢٥٠)، فالنفس هي الأخرى تأمر الإنسان، ولكنه هنا له الخيار بإطاعتها أو عصيانها - وهو ما يسمى بمجاهدة النفس - وليس كالعقل الذي إن أمر امتثل الإنسان - ونعني به الجوارح - لأوامره، و (أماراة) على وجه الكثرة لأنها صيغة مبالغة، فهي ما تنفك تأمر الإنسان بالسوء لأن ((النفس بطبعها تدعو إلى مشتبهاتها من السيئات على كثرتها وفورها فمن الجهل أن تبرأ من الميل إلى السوء)) (٢٥١)، وأمر النفس الإنسانية هو مجاز عن ميلها إلى الهوى.

وجاءت لفظة (أمر) بصيغة المبني للمجهول (٢٣) مرة (٢٥٢)، اشتركت بصفة واحدة هي أن فاعلها المجهول أي الأمر يعود على البارئ عز وجل كما يُشير بذلك السياق، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: □ ... قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ... □ (٢٥٣)، وقوله تعالى: □ ... قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ □ (٢٥٤).

ووردت اللفظة بصيغة اسم الفاعل مرة واحدة في القرآن الكريم ضمن الصفات التي عددها البارئ عز وجل للمؤمنين الذين وعدهم بالجنة في قوله تعالى: □ ... الرَّآكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ □ (٢٥٥). واستعمال صيغة (أمرون) للدلالة على ملازمتهم للأمر بالمعروف وهو نابع عن قبولهم الراسخ وقناعتهم القوية بهذا العمل، فهم لم يؤدوه مرة أو مرتين وإنما استمروا في أدائه حتى صار صفة لهم .

أما (يأمرون بالمعروف) التي لا تعني الملازمة، وإن كانت تحمل معنى الاستمرار في الأمر إلا إنها أدنى مستوى من (الأمرون بالمعروف) لذلك وعد الله عز وجل الأمرين بالمعروف (بأن لهم الجنة) (٢٥٦)، أما الذين (يأمرون بالمعروف) فقال عنهم: □ ... سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

□ (٢٥٧)، وفي هذا دليل على دقة الاستعمال القرآني للألفاظ فلكل استعمال دلالاته الخاصة به فـ (الأمرون) أعلى مرتبة من الذين (يأمرون) وعليه يكون جزاء الأول أوفر من جزاء الثاني، كما أن تحقق القبول النفسي والعملي للأمر بالمعروف أقوى في صيغة (الأمرون) منها في الذين (يأمرون).

ومن الجدير بالملاحظة أن الذي يقوم بتنفيذ الأمر تصح عليه صفة القبول - ولو كان ظاهرياً - فلو كان رافضاً لما أطاع الأوامر. فقولنا: أمرته فأتى بمعنى قبل الأمر فننفذه (٢٥٨)، فالقبول إذن تجسد عند طرفي الخطاب الأمر

٣. سورة يوسف : ٥٣.
٤. تفسير الميزان : ١١ / ٢١٦.
٥. ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٩٧ - ٩٨.
٦. سورة الأنعام : ١٤.
٧. سورة الصافات : ١٠٢.
٨. سورة التوبة : ١١٢.
١. سورة التوبة : ١١١.
٢. سورة التوبة : ٧١.
٣. لسان العرب مادة (أمر): ٢٦ / ٤.

والمأمور وهو قبول أقوى من القبول النفسي لأنه خرج إلى ميدان العمل وتجلّى بالأفعال وهو في الوقت نفسه قبولٌ مُعلنٌ ظاهرٌ للعيان .

❖ إي:

(إي) بكسر الهمزة وسكون الياء من حروف الإيجاب، والإيجاب يدخل في موضوع القبول، فهي أداة جواب تفيد الإثبات كسائر أخواتها من حروف الجواب، وهي: أَجَلٌ، وِإِذْنٌ، وِإِنْ، وِجَلٌّ، وِبَلَى، وِجَلٌّ، وِجَيْرٌ، وِنَعَمٌ .

وهي لفظة تتقدم القسم وتُستعمل لتصديق الخبر مثل: جاء زيدٌ، فيقال بعده: إي والله، ولإعلام المستفهم مثل: هل جاء زيدٌ؟ فيقال: إي وربّي، ولو عُدَّ الأمر مثل: أخبر زيداً، فيقال: إي والله. قال عنها اللغويون والمفسرون إنها بمعنى (نعم)، وقال بعضهم إنها بمعنى (بلى) ^(٢٥٩)، واتفقوا على أنها ((تُستعمل مع القسم خاصة، كما أن (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة)) ^(٢٦٠)، لذا قال بعضهم إنها (يمين) ^(٢٦١).

فهي إذن تحمل معنى (أجلٌ) و (نعم) و (بلى)، إلا أن (أجل) تختص بالخبر غالباً، مثل أن يقال لنا: قام زيدٌ، فنقول: أجلٌ، أما (نعم) فأكثر ما تستعمل بعد الاستفهام، فنقول: نعم، لمن سألنا: هل قام زيدٌ؟ أما (إي) فلا تأتي إلا قبل القسم، كقوله تعالى: وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ...

^(٢٦٢)، جاء في التهذيب إنها (يمين) ^(٢٦٣)، فهي مرتبطة بالقسم، وتختلف (بلى) عن أخواتها بكونها تأتي بعد النفي فتناقضه، كما في قوله تعالى: . أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى . ^(٢٦٤).

و(إي) أداة ضعيفة ((لأنها لا تفي بالجواب وحدها كسائر أدوات الجواب، بل تفتقر إلى قسم يؤكدها، وافتقارها يدل على ضعفها، وهذا الضعف لا يقتصر على معناها فحسب، بل يلحظ في لفظها أيضاً، فهي تتكون من الهمزة والياء، وكلاهما حرفان هوائيان)) ^(٢٦٥).

وقد وردت هذه اللفظة مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلُ إِي

وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَتُسَبِّحُ بِمُعْجِزِينَ ^(٢٦٦)، نلاحظ في هذه الآية بقاء لفظة (إي) في دائرة المعنى اللغوي؛ لأنها لا تمتلك أشعاعاً دلاليّاً يوصلها إلى حدود الاستعمال المجازي، فهي كما قيل أداة ضعيفة تحتاج إلى ما يسندها كما نلاحظ تظافر أنواع من التأكيد في هذه الآية، فمما منح لفظه (أي) وجوداً قوياً ودلالة بارزة فضلاً عن اقترانها بالقسم، مجيء لفظه (قُل) التي سبقتها للاهتمام بهذا الأمر ثم لحقتها جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) و(اللام المزحلقة)، هذا فضلاً عن معاضدة الجملة الاستفهامية لها والتي تصدرت هذه الآية، كل هذه التأكيدات توحى بأن موضوع الرسالة المحمدية ونزول القرآن الكريم من الأمور التي واجهت صعوبات وممانعة لدى الفكر السائد حينئذ، فمجيء ((أي) وربّي)) في هذا السياق للحديث عن هذا الموضوع له خصوصيته، فقد قيل ((إنّ هذه الكلمة عند العرب لا تأتي إلا في التأكيد على وقوع أمر خارج عن طاقة البشر مما تتحير فيه العقول، ولا تكاد

٤ . ينظر صحاح اللغة : ٢٢٧٧/٦، وتأويل مشكل القرآن : ٥٦٢ .

٥ . روح المعاني: ١٣٦ / ١١، وينظر الكشاف: ٢٤١/٢، و الجامع لأحكام القرآن: ٣٥١/٨، القاموس المحيط : ٣٠٣ / ٤ .

٦ . تهذيب اللغة: ٦٥٧ / ١٥، وينظر العين : ٤٤٠/٨ .

١ . سورة يونس : ٥٣ .

٢ . تهذيب اللغة : ٦٥٧ / ١٥، وينظر العين: ٤٤٠/٨ .

٣ . سورة الأعراف : ١٧٢ .

٤ . المعجم في فقه لغة القرآن : ٣٤٥/٤ .

٥ . سورة يونس : ٥٣ .

تقبله إلا بألوان من التأكيد، لما كان بعيداً عن الصواب))^(٢٦٧).

ويمكن أن يقال عن معانيها أنها تختص مع القسم بالإيجاب، كما تفيد التوكيد وتأتي للتصديق أيضاً.

❖ **فخر:**

الفخر والفخر والفخر: التمدح بالخصال والافتخار وعد القديم، ء وأصله يدل على عظم وقدم، ويقال تفاخر القوم فيما بينهم: إذا افتخر كل منهم بمفاخره، وشيء فآخر: جيد^(٢٦٨). والافتخار من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً عن طريق الأقوال، يهدف المتكلم من خلاله إلى تعظيم النفس أو إجلال شخص أو الإشارة إلى عظمة صفة أو عمل يفخر به.

وردت هذه اللفظة بصيغة الصفة المشبهة أربع مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: □ . إن الله

لَأُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ □^(٢٦٩)، ووردت بصيغة الفعل مرة واحدة، قال تعالى: □ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ... □^(٢٧٠)، ((والفخور كالدلول من يتصف بصفة الافتخار،

بحيث يكون من شأنه ذلك، والتفاخر: مداومة الافتخار... ولا ريب أن الإنسان يطلب بالطبع كمالاً ونيلاً إلى ما يفقده .. فلا بد أنه يطلب سعة في العيش المادي وتزايداً في زينته وقوة في أسبابه، حتى يتحصل له التفاخر بها على أقرانه من أهل الدنيا))^(٢٧١).

٦. المعجم في فقه لغة القرآن : ٣٤٥/٤ .

١. ينظر مقاييس اللغة (فخر): ٤٨٠/٤، لسان العرب : ٤٨ /٥، المصباح المنير: ٤٦٤/٢ .

٢. سورة لقمان : ١٨ .

٣. سورة الحديد : ٢٠ .

٤. التحقيق : ٤٠ /٩ .

المبحث الثالث القبول الفعلي أو الأفعال التي تجسد القبول

❖ أثر:

أثرَ بمعنى فضَّلَ، وآثرتُ فلاناً بكذا أوثره: إيثاراً، إذا فضَّلته، فأنا مؤثرٌ وهو مؤثرٌ، وفلان أثيرٌ عند فلان وذو أثرٍ، إذا كان خاصاً به أو من خُلصاته^(٢٧٢).

والإيثار: ((إرادة التفضيل لأحد الشيين على الآخر، ومثله الاختيار، ويقال آثرت له، وآثرت عليه، ضدّه، وأصل الإيثار: الأثر الجميل فيما يؤثر على غيره بمنزلة ماله أثرٌ جميل))^(٢٧٣)، واستأثر بالشيء، إذا اختاره لنفسه أو استبد به، والمآثر ((ما يروى من مكارم الإنسان))^(٢٧٤).

وعلى الرغم من أن الإيثار يفسر أحياناً بالاختيار فإن ثمة فرقاً دلاليّاً بين الكلمتين، فإن ((الإيثار - على ما قيل - هو الاختيار المقدم، والشاهد قوله تعالى: □ قَالُوا تَاللّٰهِ لَمَدَّ أَيْدِيَنَا إِلَيْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ □^(٢٧٥)، أي قدّم اختيارك علينا وذلك أنهم كانوا مختارين عند الله تعالى؛ لأنهم كانوا أنبياء))^(٢٧٦).

وتُظهر هذه اللفظة قبولاً نفسياً لدى الشخص المؤثر، إذ لولا ذلك القبول لما كان الإيثار، وهذا القبول الذي تبلور في النفس تجسّد بعد ذلك على شكل عمل يدخل في حيز الاختيار والتفضيل، كما يشير معنى الإيثار إلى إن هنالك في الحقيقة قبولاً لأمرين، إلا إن النفس تميل لأحدهما أكثر فيتحقق الإيثار.

١. ينظر تهذيب اللغة: ١٥ / ١٢٢، الجمهرة: ٣ / ٢٧٣، صحاح اللغة: ٢ / ٥٧٦.

٢. التبيان: ٣ / ٥٣٩، وينظر مجمع البيان: ٣ / ٢٥٩.

٣. المفردات: ٤.

٤. سورة يوسف: ٩١.

٥. الفروق اللغوية: ١٠١.

وقد جاء الفعل (آثر) في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا □ (٢٧٧)، ويبدو أن معنى (آثر) بقي دائراً على المعنى اللغوي، فهو يُشير إلى دلالة الاختيار والتفضيل فقد قيل في تفسيره ((أي قَدَمها على أمر دينه وأخراه)) (٢٧٨)؛ ولأن الاختيار وقع على أمر معنوي فقد أول المفسرون كيفية هذا الإيثار، فقالوا إنه يعني (آثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعد الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا وسعى لها، وترك العمل للآخرة)) (٢٧٩)، فمن آثر الحياة الدنيا فهو الذي توجه اهتمامه لها وعض النظر عن أمر آخرته وما يوصل إليها، ولذا يصح أن يقال في حقه بأنه ((اختار منافع الحياة الدنيا بارتكاب المعاصي وترك ما وجب عليه)) (٢٨٠)، وانه ((انهمك فيما متع به فيها، ولم يستعد للحياة الآخروية الأبدية بالإيمان والطاعة)) (٢٨١).

وعلى الرغم من أن (آثر) جاءت بصيغة الماضي فان وقوعها في أسلوب الشرط منحها دلالة زمنية مفتوحة، فكل من طغى وآثر الحياة الدنيا في كل زمان ومكان □ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى □ (٢٨٢).

وجاءت هذه اللفظة بصيغة الماضي في موضع آخر إلا أنها حملت دلالة الزمن الماضي هذه المرة في قوله تعالى: □ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ □ (٢٨٣)، ونلاحظ أن المفسرين متفقون تقريباً على أن معنى آثرَكَ (فضلَكَ) (٢٨٤)، لكن كيف آثر الله تعالى يوسف (عليه السلام) على أخوته، فقالوا: ((آثرَكَ بالعلم والحلم والفضل)) (٢٨٥)، أو ((بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين)) (٢٨٦)، أو ((بالجمال والكمال والجاه والمال)) (٢٨٧)، وغيرها من الصفات الحسنة، وأضيفت إلى تلك المعاني أمور أخرى أوحى بها سورة يوسف فيمكن أن تحل ((آثرَكَ علينا)) معنى ((الغلبة والسيطرة أيضاً، أي قد آثرَكَ وسلطَكَ الله علينا فارحماً)) (٢٨٨).

وجاء الفعل بصيغة المضارع في قوله تعالى: □ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا □ (٢٨٩)، وكما مرّ في تفسير الآية (٣٨) في سورة النازعات إن إيثار الحياة الدنيا يعني تفضيلها وتقديم أمرها - من خلال الاهتمام بها والانشغال بمنافعها والسعي لها - على أمر الآخرة، وتحمل (تؤثرون) صيغة الخطاب، ويبدو انه موجه إلى الناس عموماً - إلا فئة قليلة - ما فتئوا يعملون لأمر دنياهم، فهم في سعي دائم

٦. سورة النازعات: ٣٧، ٣٨.
٧. تفسير القرآن لابن كثير: ١٠/٧.
٨. جامع البيان: ٤٨/٣٠.
١. التبيان: ٢٦٤/١٠.
٢. تفسير أبي السعود: ٥/٢٣٥، وينظر روح المعاني: ٣٦/٣.
٣. سورة النازعات: ٣٩.
٤. سورة يوسف: ٩١.
٥. ينظر جامع البيان: ٥٥/٣، التبيان: ١٩/٦، مجمع البيان: ٢٦١/٣، الكشاف: ٣٤٢/٢، التفسير الكبير: ٢٠٤/١٨، الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٧/٩، روح المعاني: ٥٠/١٣.
٦. جامع البيان: ٥٥/٣.
٧. الكشاف: ٣٤٢/٢.
٨. روح البيان: ٣١٣/٤.
٩. المعجم في فقه لغة القرآن: ٢٨٣/١.
١٠. سورة الأعلى: ١٦.

لترتيب شؤون الحياة وكأنهم في غفلة عن حقيقة واقعة وهي الآخرة، فقال قتادة إن معنى الآية: ((فاختار الناس العاجلة، إلا من عصم الله))^(٢٩٠)، وإذا كان الناس يؤثرون الحياة الدنيا، فإن الواقع يشير إلى أن هذا الإيثار يختلف درجته من فرد لآخر، فمن الناس من يقدم أمر الدنيا في أوقات معينة إلا أنه لا يعرض عن الآخرة بشكل كامل، أو أن انشغاله بأمور الدنيا وسعيه لها يأخذ منه وقتاً وجهداً أكثر من تفكيره وتزوده للآخرة، فهو مؤثر للحياة الدنيا؛ لأنه لم يدرك أن □ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى □^(٢٩١)، ومن الناس - وهم الكفار - من باع آخرته بدنياه، فيمكن أن يكون الخطاب ((للكفرة، فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية، كما في قوله تعالى: □ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَمَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا... □^(٢٩٢)))^(٢٩٣).

ومجيء الفعل بصيغة المضارع إشارة إلى أن إثارة الحياة الدنيا واقع حال يعيشه المجتمع البشري في كل حين، والخطاب يبقى موجهاً للناس في كل العصور، حتى العصور التي سبقت الدعوة الإسلامية، والدليل على ذلك قوله تعالى: □ نَهَذَا لِي الصُّحُفِ الْأُولَى *صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى □^(٢٩٤).

وتبقى اللفظة قريبة من معاني الاختيار المقدم والتفضيل في قوله تعالى: □ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ... □^(٢٩٥)، وهو خطاب لفرعون أي ((لن نختارك))^(٢٩٦)، واختياره إشارة إلى اختيار دينه أو أتباعه وتكذيب موسى (عليه السلام)^(٢٩٧).

ويلاحظ في هذه الآية أن (السحرة) وقعوا بين أمرين إما أن يلتزموا بأتباعهم فرعون؛ لأنهم من حزبه وسلامتهم مقرونة بذلك الإلتباع، وأما أن يعتبروا بما رأوا من البيِّنات فيغيروا وجهة إيمانهم نحو الذي فطروهم، وقد قرروا وآثروا التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ليغفر لهم خطاياهم، فقالوا لفرعون (لن نؤترك) أي أنك لست المرجح في هذا الاختيار، فعذابك ينقضي □ ... وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى □^(٢٩٨)، وظهور أمرين في وقت واحد يجب اختيار أحدهما، وهو من مستلزمات الإيثار على أن يكون كلاهما مرشح للاختيار، أي أن هناك عقد موازنة ومفاضلة بين أمرين يتم من خلالهما ترجيح أحدهما.

ويأخذ (الإيثار) معنىً خاصاً عندما يتعلق أحد الأمرين المراد ترجيح أحدهما بالنفس، أي أن على المرء أن يختار تحقيق مصلحة ما إما لنفسه أو لغيره فيصبح ((الإيثار هو تقديم الغير على

١١. جامع البيان : ١٥٧ / ٣٠ .

١. سورة الأعلى : ١٧ .

٢. سورة يونس : ٧ .

٣. روح البيان : ٤١٠ / ١٠ .

٤. سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩ .

٥. سورة طه : ٧٢ .

٦. ينظر التبيان : ١٩٠ / ٧ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٥ / ١١ ، روح المعاني : ٢٣٢ / ١٦ .

٧. ينظر جامع البيان : ١٨٩ / ١٦ ، كنف الأسرار : ١٤٨ / ٦ ، البحر المحيط : ٢٦١ / ٦ .

٨. سورة طه : ٧٣ .

النفس وحظوظها الدنيوية ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يقال: أثرته بكذا، أي خصصته به، وفضلته))^(٢٩٩).

وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ ... وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ □^(٣٠٠)، بمعنى يفضلون ويقدمون المهاجرين على أنفسهم بأموالهم ومنزلهم^(٣٠١)، والإيثار على النفس أما أن ينشأ من خلق عالي أو من إيمان عميق بثواب الله عز وجل، فيمكن أن يصدر من إنسان يتحلى بالصفات الإنسانية الحقيقية وإن لم يكن له دين، ويكثر حصوله عند المؤمنين الذين راحوا يعملون من أجل رضا الخالق سبحانه وتعالى، فمساعدة الناس لاسيما المسلمين منهم، من الأمور التي يُثاب عليها الإنسان، ويزداد ذلك الثواب كلما كانت المساعدة أكبر وحاجة المقابل لها أشد، كما يزداد الثواب إذا كان المُعطي شيئاً أنت بحاجة إليه أيضاً، وهذا هو الإيثار، فقد يكون مساعدة مادية إلا إن المُعطي بحاجة إليها لكنه قدّم تنازلاً عنها من أجل توفيرها للمقابل، وهو أمر ممدوح بكلّ المقاييس، فالإنسانية تقدر وتحترم المؤثر، كما إن الديانات السماوية تحضُّ على مثل هذا العمل الذي يرفع من شأن الإنسانية روحياً .

فجاءت (يؤثرون) في سياق المدح؛ لأنه إيثار على النفس ولأن غايته رضا الله عزَّ وجل؛ ولأنهم (كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) والإيثار كما يعلمنا القرآن الكريم علاجٌ عملي لمرض نفسي وهو (الشُّح) فنجد تكملة هذه الآية قوله تعالى: □ ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ □^(٣٠٢).

و وردت هذه اللفظة بصيغة المبني للمجهول في قوله تعالى: □ فَقَالَ لَنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتِرُ

□^(٣٠٣)، وقد وجّه المفسرون معنى (يؤثر) إلى جهتين الأولى: ((أنه من قولهم: أثرت الحديث أثراً، إذا حدثت به عن قوم في آثارهم، أي بعدما ماتوا، هذا هو الأصل، ثم صار بمعنى الرواية عمن كان))^(٣٠٤)، وهذا المعنى لا يعيننا في هذا المقام، إنما يهمننا المعنى الآخر، وهو أنه سحرٌ ((يُختار ويرجح على غيره من السحر فيكون في الإيثار))^(٣٠٥)، فالقائل الذي جاءت الآية على لسانه في صدد الطعن بالقرآن الكريم فاختر أن يصفه بأنه سحر، إلا أنه لم يستطع أن يخفي إعجابه بهذا القرآن، فقال في وصفه بأنه ليس كباقي السحر، بل أنه سحرٌ مُفضّل على غيره أو هو ((سحرٌ تؤثره النفوس وتختاره لحلاوته فيها))^(٣٠٦).

يتبين مما تقدم أنّ الإيثار قريب من معنى التفضيل، ويمكن أن يكون مفعوله أمراً مادياً، كما يمكن أن يكون معنوياً، ويأتي ممدوحاً مرةً ومذموماً مرةً أخرى بحسب قيمة الأمر المفضل فإذا أثر

١. الجامع لأحكام القرآن : ٢٦ / ١٨ .

٢. سورة الحشر : ٩ .

٣. ينظر جامع البيان: ٤٢/٢٨، التبيان: ٥٦٥/٩، مجمع البيان: ٢٦٢/٥، التفسير الكبير: ٢٨٧/٢٩، الجامع لأحكام القرآن:

٢٦/١٨، روح المعاني: ٥٢/٢٨، الميزان: ٢٠٦/١٩ .

٤. سورة الحشر : ٩ .

٥. سورة المدثر : ٢٤ .

٦. التفسير الكبير : ٢٠١/٣٠ .

١. البحر المحيط : ٣٧٥/٨، التفسير الكبير: ٢٠١/٣٠، روح المعاني : ١٢٤/٢٩ .

٢. مجمع البيان: ٣٨٨ / ٥ .

الإنسان أمراً حسناً على آخر أقل منه أهمية أو عديم الأهمية فإنه إثثار ممدوح، أما إذا أثر العكس صار إثثاراً مذموماً كمن أثر الحياة الدنيا على الآخرة، أما الإيثارة على النفس فهو ممدوح دائماً إذا كان بقصد الخير .

❖ أَخَذَ:

٥٥. في اللغة .

أصل (الأخذ) في اللغة التناول^(٣٠٧)، فأخذت الشيء آخذه أخذاً: تناولته، وهو ((حَوَّزُ الشيء جَبِيئُهُ وَجَمْعُهُ))^(٣٠٨) أو هو ((حَوَّزُ الشيء وَتَحْصِيلُهُ))^(٣٠٩)، فهو ضد العطاء^(٣١٠)، والأخذ أيضاً ((القبض والإمساك))^(٣١١)، ومنه قيل للأسير: أخيد، و الأخيذة: المرأة تُسبى، والأخيذة: ما أعتصب من شيء فأخذه^(٣١٢).

وعلى الرغم من أن اللغويين فسروا الأخذ بالتناول فإنَّ أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥) فرق بين المعنيين فقال: ((والفرق بين الأخذ والتناول: أن التناول أخذ الشيء للنفس خاصة، ألا ترى أنك لا تقول: تناولت الشيء لزيد، كما تقول أخذته لزيد، فالأخذ أعم... وقيل التناول: أخذ القيل المقصود إليه، ولهذا لا يقال: تناولت كذا من غير قصدٍ إليه، ويقال: أخذته من غير قصد))^(٣١٣).

و(أخذ) من ألفاظ القبول؛ لأنَّ الأخذ عمل لا يصدر إلا من شخص قد تحقق قبول الأخذ في نفسه فشرع بهذا العمل، أي أنه جسّد القبول النفسي بعمل سلوكي، فمن رفض هدية أو فكرة لا يأخذها، وما يدل على ذلك أن أحد معاني الأخذ في القرآن الكريم هو القبول ف ((الأخذ يعني القبول، فذلك قوله: □... وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي □^(٣١٤)، يعني قبلتم على ذلكم عهدي...))^(٣١٥).

وتتمتع هذه اللفظة بمساحة دلالية واسعة، فهي تُفسر بحسب ما يسند إليها، أي أن السياق هو الذي يحدد المعنى الدقيق لها ((فمجرد ذكر الأخذ من الشيء لا يوضح نوعه إلا ببيان زائد))^(٣١٦).

وهي إن كانت تدور في حيز القبول إلا إن الاستعمال المجازي لها قد يُخرجها أحياناً إلى حيز الرفض، والجمل الآتية دليل على ذلك :

- أخذ الكتاب : تناوله .
- أخذ القربان : تقبله .
- أخذ بيد فلان : أعانه وساعده .
- أخذ فيه الشراب : أثر فيه .
- أخذ في العمل : بدأ به .
- أخذ فلان يفعل كذا : جعل .

٣. العين: ٤/ ٢٩٨، وصاح اللغة: ٥٥٩/٢، المحكم: ٥/ ١٤٢.

٤. المقاييس: ١/ ٦٨.

٥. المفردات: ١٢.

٦. ينظر المحكم: ٥/ ١٤٢، البيان: ٢/ ١٨٢.

٧. البحر المحيط: ١/ ١٨٧.

٨. ينظر المحكم: ٥/ ١٤٢، البحر المحيط: ١/ ١٨٧، تاج العروس: ٢/ ٥٥٢.

٩. الفروق اللغوية: ١١٣.

١. سورة آل عمران: ٨١.

٢. الأشباه والنظائر: ٢٥٠.

٣. الميزان: ٨/ ٣٠٦.

- أخذ عن فلان : تلقى عنه علماً .
 - أخذ الحديث : نقله ورواه .
 - أخذ أخذ فلان و مأخذه : سارَ على سيرته وتخلق بأخلاقه .
 - أخذ الشيء حذَه : استوفى ما ينبغي له .
 - أخذ نفسه بكذا : ألزمها .
 - أخذ مقعده ومضجعه : قعد ، نام .
 - أخذه بلسانه : تكلم فيه بمكروه .
 - أخذه الله من مأمنه : أهلكه .
 - أخذ فلاناً : حبسه، عاقبه، أسرَه، قهرَه، أمسكَ به .
 - أخذ فلاناً بذنبه : جازاه .
 - أخذ على يد فلان : منعه عما يريد أن يفعله .
 - أخذ على فمه : منعه من الكلام .
 - أخذ عليه الأرض : ضيق عليه سبلها .
 - أخذ فلاناً الدواء والعذاب : أنزل به .
 - أخذ عليه كذا : عدّه عليه وعابه^(٣١٧) .
- ويمكن أن نضيف لـ (أخذ) استعمالات آخر واردة على السنة العامة والخاصة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أخذه خارجاً : اصطحبه أو اقتاده .
 - أخذ الفكرة أو المبدأ : قبله أو تنبأه .
 - أخذ البيت أو الأرض أو البضاعة : اشتراه .
 - أخذ البلاد : فتحها أو ملكها .
 - أخذت الصدمة منه مأخذاً : أثرت فيه .
 - أخذ الشيء قسراً : اغتصبه .
 - أخذ عليه عهداً أو ميثاقاً : ألزمه به .
 - أخذ كلام والده : أطاعه، ونقذه .
 - أخذ المشورة أو النصيحة : عمل بها .
 - أخذت الدراسة من عمره : شغلت حيزاً .
 - أخذته الوظيفة والعمل منّا : شغلته .
 - أخذ المروعة من آبائه : ورثها .
 - أخذته الهيبة أو الخوف أو الفرح أو الأوهام أو الذكريات : سيطرت عليه ومثلها قوله تعالى:
- ... أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ □^(٣١٨) .
- أخذ البناء يأخذ شكله النهائي : يصبح قريباً من شكله النهائي .
 - أخذت النار البيت : أحرقتة .
 - أخذ البحر ولده : أغرقه .
 - أخذ من الشعر : قصّه .
 - أخذ الجانب الأيمن من الطريق : انحاز إليه أو اختاره .

والأصل في الفعل (أخذ) انه يتعدى إلى مفعوله بنفسه، لكنه أحياناً يتعدى بالباء كما في قوله

١. ينظر المصطلحات العسكرية : ٣٣ / ١ ، ومعجم الأغلاط : ٥ .

٢. سورة البقرة : ٢٠٦ .

تعالى: □ ... فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ □ (٣١٩). فبين الحالتين فرق دلالي نبه عليه الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) بقوله: ((لكن في الاستعمال تدقيق، وهو أن المأخوذ إن كان مقصوداً بالأخذ توجه الفعل نحوه فيتعدى إليه من غير حرف، وإن كان المقصود بالأخذ غير الشيء المأخوذ حساً تعدى إليه بحرف؛ لأنه لما لم يكن مقصوداً، فكأنه ليس هو المأخوذ، وكان الفعل لم يتعد إليه بنفسه، فذكر الحرف)) (٣٢٠)، وأورد أمثلة تثبت صحة قوله، كقوله تعالى: □ قَالَ خذْهَا وَكَأْتَخَفُ سَعِيدَهَا الْأُولَى □ (٣٢١). في العصا، □ وَكَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخْذَ الْأَلْوَابِ □ (٣٢٢)، وبوجود حرف الباء كقوله تعالى: □ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَكَأَبْرَأْسِي □ (٣٢٣)، وفي كلامنا كقولنا: خذ بيدي وأخذ الله بيدك، وقد ذكر العدناني إشارة سريعة إلى أن اللغويين ((يخطنون مَنْ يقول: أخذت بالكتاب)) (٣٢٤) إلا أنه لم يذكر السبب.

والإتخاذ افتعال من الأخذ، و((الإتخاذ: أخذ الشيء لأمر يستمر فيه، مثل الدار يتخذها مسكناً، والداية يتخذها قعدة)) (٣٢٥) أو ((هو اعتماد على الشيء لإعداده لأمر)) (٣٢٦)، و(اتخذ) فعل متعد، تارة يتعدى لمفعول واحد فيكون بمعنى (صنع وعمل) كما في قوله تعالى: □ مَثَلِ الْمَكْجُوتِ اتَّخَذَتْ سَيْئًا □ (٣٢٧)، وتارة يتعدى لاثنتين كما في قوله تعالى: □ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ □ (٣٢٨)، فيكون بمعنى (صير).

وتخرج (اتخذ) إلى معانٍ مجازية إلا أنها تبقى تدور في ميدان القبول؛ لأن الإتخاذ لا يكون إلا بعد قبول نفسي نتج عنه إصدار أمر لاتخاذ ذلك الشيء أو الأمر ((وأما الإتخاذ فهو الأخذ مع الدقة والتوجه، فيكون قريباً من الانتخاب...)) (٣٢٩).

وقد جاءت لفظة (أخذ) واشتقاقها في القرآن الكريم بكثرة وصلت إلى (٢٧٣) مرة، دارت معانيها بين الحقيقة والمجاز، فقد وردت (أخذ) بدلالاتها اللغوية وهي التناول، والتناول يكون في الأشياء المادية المحسوسة كما في قوله تعالى: □ ... وَيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ... □ (٣٣٠)، وقوله □ وَكَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخْذَ الْأَلْوَابِ □ (٣٣١)، ويمكن أن يدخل في هذا المعنى قوله تعالى:

١. سورة الرحمن : ٤١.
٢. التفسير الكبير: ١١٩ / ٢٩.
٣. سورة طه : ٢١.
٤. سورة الأعراف : ١٥٤.
٥. سورة طه : ٩٤.
٦. معجم الأغلاط : ٥.
٧. الفروق اللغوية : ١١٣. وينظر التبيان : ١٨٢ / ٢.
٨. جامع البيان : ٢٠٥ / ٢.
٩. سورة العنكبوت : ٤١.
١٠. سورة الجاثية : ٢٣.
١١. التحقيق : ٢٨ / ١.
١. سورة النساء : ١٠٢.
٢. سورة الأعراف : ١٥٤، وسورة التوبة: ١٠٣.

□ ... وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ □ (٣٣٢)، وان فسرت (أخذ) في هذه الآية بمعنى (قبض وأمسك) (٣٣٣)، إلا إنها لا تبتعد كثيراً عن دلالة التناول .

وإذا كان أخذ الأشياء المادية باليد فإن أخذ الأشياء المعنوية بالقلب، أو بالعقل كما في قوله تعالى: □ ... خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ □ (٣٣٤)، بمعنى كونوا جادين وحازمين في تنفيذ التعاليم السماوية، مع الحذر من أن يفوتكم شيء (٣٣٥)، فالأخذ في هذه الآية وشبهاتها يعني الالتزام بما جاء به الأنبياء من الأوامر والنواهي، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: □ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ □ (٣٣٦)، وقد فسر المصطفوي (الأخذ) هنا بالسمع (٣٣٧)، إلا إن سياق الآية يمنح اللفظة سعة دلالية أكبر من اقتصارها على السمع، فيمكن أن نقول إنها تعني (اسمع واستوعب ونفذ مع الالتزام) ما آتيتك .

كما يخرج معنى (الأخذ) للأشياء المعنوية إلى معنى القبول أو التقبل كما في قوله تعالى: □ ... قَالَ أَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا ... □ (٣٣٨)، أجمع المفسرون على أن معنى (أخذتم) قبلتم (٣٣٩)، أي قبلتم على ذلك عهدي، فأخذ العهد أو البيعة لا يكون عن طريق التناول باليد بل يحصل بقبول من رفع إليه العهد أو البيعة .

وهذا المعنى مستعمل في القرآن الكريم في أكثر من موضع مع اختلاف نوعية المفعول به إلا أنه يبقى معنوياً غالباً، فمن ذلك قوله تعالى: □ ... وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَدَلِ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا ... □ (٣٤٠)، أي لا يقبل منها ولو قدمت فدية أو جاءت بملء الأرض ذهباً (٣٤١).

وقد يكون المفعول به مادياً لفظاً معنوياً دلالةً فيبقى (الأخذ) يميل في معناه نحو المجاز، كما في قوله تعالى: □ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَبْدَأُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ... □ (٣٤٢)، اتفق المفسرون على أن (يأخذ) تعني (يتقبل) (٣٤٣)، ((فالأخذ هنا استعارة للقبول)) (٣٤٤)، ويترتب على ذلك معنى ضمني هو أنه سبحانه يثيب ويجازي عليها، فالصدقات بشكلها المادي يأخذها الفقراء والمساكين وغيرهم كما يأخذها النبي (2) كما أمره القرآن الكريم بقوله: □ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ... □ (٣٤٥)،

٣. سورة الأعراف : ١٥٠، و سورة التوبة: ١٠٣.

٤. ينظر التبيان : ٤ / ٥٨١، والميزان : ٨ / ٢٥٠.

٥. سورة البقرة : ٦٣.

٦. ينظر الميزان : ٨ / ٢٤٥.

٧. سورة الأعراف : ١٤٤.

٨. ينظر التحقيق : ١ / ٢٨.

٩. سورة آل عمران : ٨١.

١٠. ينظر جامع البيان: ٣ / ٣٣٤، والتبيان: ٢ / ٥١٥، مجمع البيان: ١ / ٤٧٨، والتفسير الكبير: ٨ / ١٢٨، روح المعاني: ٣ / ٢١٢.

١١. سورة الأنعام : ٧٠.

١٢. ينظر جامع البيان: ١ / ٢٣٣، الكشاف: ٢ / ٢٧، التفسير الكبير: ١٣ / ٢٨.

١. سورة التوبة : ١٠٤.

٢. ينظر البحر المحيط: ٥ / ٩٦، التبيان: ٥ / ٣٣٩، مجمع البيان: ٣ / ٦٨، الكشاف: ٢ / ٢١٣.

٣. روح المعاني : ١١ / ١٥.

٤. سورة التوبة : ١٠٣.

أما بشكلها المعنوي فإن الذي يأخذها حقيقة هو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه سبحانه أمر بإخراجها من الأموال، فهي مثل الطاعات يجوز فيها القبول والرفض، فإذا ما قبلت فذلك يعني استحقاق الثواب عليها.

ونلاحظ في الآية الكريمة قبولين (يُجِبُّ التَّوْبَةَ) و (وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ)، جاء في الأول (يقبل)، لأن التوبة أمرٌ معنوي شكلاً ومضموناً، فكل (أخذ) مفعوله أمر معنوي بلفظه ومعناه يخرج إلى معنى القبول، كما في قولنا: أخذ القربان أو العهد أو الفكرة أو النصيحة أو المشورة، فيجوز استبدال لفظة (أخذ) بـ (قبل) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: □ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ □ (٣٤٦)، فالعفو أمرٌ معنوي بلفظه ومعناه، لذا أصبح معنى (خُذْ) (اقبل) (٣٤٧)، أما إذا كان مفعول (أخذ) مادياً بشكله معنوياً بجوهره كالصدقات والهدية يصبح معناها (تقبل).

وننوه هنا إلى أن (أخذ) التي دارت معانيها الحقيقية والمجازية في دائرة القبول تستعمل في سياقات أخر تأخذ بمعانيها نحو الرفض كما في (أخذهُ بذنبه) أي عاقبه و □ وكذلك أخذُ مَرَبِكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْبَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ □ (٣٤٨)، أي عذبا، ومعاني (أخذ) الواردة في سياق الرفض كثيرة، تعطي معنى: حَبَسَ، وَعَذَّبَ، وَأَسْرَ، وغيرها من المعاني.

واستعمل القرآن الكريم لفظة (اتخذ) بمعناها الحقيقي المجازي، فالمعنى الحقيقي نجده في قوله تعالى: □ هُوَآءَ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً □ (٣٤٩).

فإذا كان الفعل (اتَّخَذُوا) في هذه الآية متعدياً لمفعول واحد فيعني (علموا)؛ لأن الإلهة أصنام هم نحتوها، وإذا كان متعدياً لمفعولين فيعني (صيروا)، والمفعول الثاني أما أن يكون مقدرًا أو أن يكون (من دونه) مفعولاً ثانياً (٣٥٠)، وهذا الكلام ينطبق على الآيات التي ذكرت (اتخاذ آلهة من دون الله) (٣٥١)، ورشح الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) القول الأول وهو أن (اتخذ) في هذه الآية ونظيراتها متعد إلى مفعول واحد (٣٥٢)، ومثلها قوله تعالى: □ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا □ (٣٥٣)، أي تعملون منها، أو تبنون في سهولها قصوراً (٣٥٤).

وابتعدت هذه اللفظة عن معناها الحقيقي لتدل على معانٍ مجازية يوحى بها السياق الذي وردت فيه، من ذلك مثلاً قوله تعالى: □ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

٥. سورة الأعراف: ١٩٩.
٦. ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦، البحر المحيط: ٤/٤٤٨، روح المعاني: ١٤٦/٩.
٧. سورة هود: ١٠٢.
٨. سورة الكهف: ١٥، وينظر سورة البقرة: ٥١، ١١٦، وسورة الأعراف: ١٤٨.
١. ينظر البحر المحيط: ١٠٦/٦، وروح المعاني: ٢١٩/١٥.
٢. ينظر سورة الأنبياء: ٢١، ٢٤، سورة مريم: ٨١.
٣. ينظر مجمع البيان: ١٠٩.
٤. سورة الأعراف: ٧٤، وينظر سورة الشعراء: ١٢٩.
٥. ينظر الكشاف: ٩٠/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩/٧، البحر المحيط: ٤/٣٢٩، روح المعاني: ١٦٣/٨.

حَينَفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبراهيمَ خَليلاً □ (٣٥٥)، فجاء الاتخاذ هنا (مجازاً عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله) (٣٥٦).

وجاءت بمعنى الاختيار لا من جهة الاصطفاء بل من جهة التكريم في قوله تعالى: □ . . . وَكَيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ □ (٣٥٧)، أي يكرم ناساً منكم بالشهادة (٣٥٨)، (يريد المستشهدين يوم أحد) (٣٥٩)، وفي ذلك ((فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلشُّهَدَاءِ، وَتَنْبِيهُ عَلَى حُبِّ اللهِ إِيَّاهُمْ ... وَلَا يُقَالُ اتَّخَذْتُ وَلَا اتَّخَذُ إِلَّا فِي مُصْطَفَى مُحِبُّوبٍ ... فَالِاتِّخَاذُ إِتْمَا هُوَ اقْتِنَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الْأَخْذِ، فَإِذَا قُلْتَ: اتَّخَذْتُ كَذَا فَمَعْنَاهُ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِي وَاخْتَرْتَهُ لَهَا)) (٣٦٠).

فالاتخاذ يصدر عن قبول نفسي واضح؛ لأنه يحمل معنى الاختيار عن قناعة، وإن تعددت معاني (اتخذ) إلا إنها تبقى تشعبات من أصل واحد، ويدل على ذلك قوله تعالى: □ إِنْ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا □ (٣٦١)، قيل إن ((اتخاذ السبيل عبارة عن الاشتغال بالطاعة، والاحتراز عن المعصية)) (٣٦٢)، إلا إن السياق يمنح اللفظة إيحاءً دلاليًا أكثر من ذلك، فلفظة (سبيل) التي جاءت نكرة توحى بوجود أكثر من طريق تؤدي إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا أمعنا النظر في هذه الآية نجد أن (اتخذ). تعدت إلى مفعول واحد، وكما قال اللغويون إنها بهذا تركيب تعني (صنعَ و عملَ)، فيمكن أن نقول إنها تحتل معنى أنشأ إلى ربه سبيلًا، أي توجه إلى الله سبحانه بطريقته الخاصة، بمعنى أن هذا السبيل من ابتداع الإنسان وإن لم يكن معروفاً عند غيره، ومما يعزز هذا الرأي مجيء (سبيل) نكرة، فلو عرّف السبيل، لم ينصرف الذهن إلى مثل هذا المعنى، وبقي محددًا بسبيل معروف لدى الجميع وهو (الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية) وقد يكون (الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية) ليس سبيلًا واحداً بل هو سبيل عدة، فيمكن للإنسان أن يتخذ ماشاء من هذه السبل المؤدية إلى رضا الله جلّ وعلا.

وقريب من ذلك قوله تعالى: □ . . . وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . . . □ (٣٦٣)، لا يتخذ (أي لا يتوجهون إليه ولا يسلكون سبيله أصلاً، لاستيلاء الشيطنة عليهم) (٣٦٤)، والذي يلاحظ هنا أن (سبيل الرشد) أمرٌ معنوي غير محسوس، لذا تكون الرؤية ليست بالعين الباصرة، فالذي يرى (سبيل الرشد) هي البصيرة الكامنة في النفس، وعليه يكون فاعل (اتخذ) هي النفس الإنسانية،

٦. سورة النساء: ١٢٥.

٧. الكشاف: ٥٦٩/١، وينظر المنار: ٤٣٩/٥.

٨. سورة آل عمران: ١٤٠.

٩. ينظر التبيان: ٦٠٢/٢، الكشاف: ٤٦٦/١، التفسير الكبير: ١٧/٩، روح المعاني: ٦٩/٤.

١٠. التبيان: ٦٠٢/٢، الكشاف: ٤٦٦/١.

١١. الروض الأنف: ١٩٣/٣.

١٢. سورة المزمل: ١٩.

١. التفسير الكبير: ١٨٥/٣٠.

٢. سورة الأعراف: ١٤٦.

٣. روح البيان: ٢٤٠/٣، وينظر روح المعاني: ٦١/٩.

بمعنى أنها عندما ترى وتُدرك أن هذا سبيل الرشيد، لا تسير باتجاهه، ولا تعتمد مساراً لها، ومما يدل على ذلك قول البروسوي ((لاستياء الشيطنة عليهم))، فالشيطنة مما تمتاز به بعض النفوس الإنسانية المريضة .

وتأتي (اتخذ) بمعنى (أطاع) في قوله تعالى: □ ... إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ □ (٣٦٥)، وان كانت (اتخذ) تحمل بين طياتها المعنى اللغوي (صير) إلا إن كيفية تصيرهم أولياء هي (أنهم أطاعوهم في كل ما يزينونه لهم من الفواحش والمنكرات، كأنهم ولوهم أمورهم من دون الله) (٣٦٦)، وكذلك قوله تعالى: □ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... □ (٣٦٧)، و(اتخذوهم أرباباً) لا تعني عبودهم وصلوا لهم، بل تعني كما قال الإمام الباقر (عليه السلام): ((إنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما أمر الله تعالى)) (٣٦٨)، فقد أطاعوهم كما تُطاع الأرباب في أوامرهم (٣٦٩).

وتهبط دلالة (اتخذ) إلى أدنى من مفهوم (الطاعة) في (اتخاذ الأولياء) في قوله تعالى: □ لَّا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... □ (٣٧٠)، ف (يتخذ) لا تعني (يطيع) وإنما تحمل معنى ((اللطف بهم في المعاشرة، وذلك لقرابة أو صداقة قبل الإسلام أو يد سابقة أو غير ذلك)) (٣٧١)، فهو التقرب إليهم والتأثر بهم أو ((الامتزاج الروحي بهم، بحيث يؤدي إلى مطاوعتهم والتأثر منهم في الأخلاق وسائر شؤون الحياة وتصرفهم في ذلك ... قوله (من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فإن فيه إيثاراً على حب المؤمنين، وإلقاء أزمة الحياة إليهم دون المؤمنين، وفيه الركون إليهم والاتصال بهم والانفصال عن المؤمنين)) (٣٧٢).

وتأخذ (اتخذ) معنى آخر في قوله تعالى: □ وَمَنْ الْأَعْرَابَ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا ... □ (٣٧٣)، أي يَعدّ ويعتقد ويزعم ويفرض أن الذي ينفقه أو (الإنفاق) في سبيل الله غرامة وخسران (٣٧٤).

وفضلاً عن ما ذكر من معاني (اتخذ) فإنها تأتي بمعنى (سلك) بالمعنى الحقيقي لها كما في قوله تعالى: □ ... وَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا □ (٣٧٥)، وبمعنى (جعل) في قوله تعالى: □ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ □ (٣٧٦)، وبمعنى (رضي) في قوله تعالى: □ ... إِلَهَ إِلَّا

٤. سورة الأعراف : ٣٠.

٥. المنار: ٣٧٦ / ٨.

٦. سورة التوبة: ٣١، وينظر: سورة آل عمران : ٦٤.

٧. التبيان : ٥ / ٢٤١.

٨. ينظر الكشاف: ١٨٥ / ٢، الميزان : ٢٤٥ / ٩.

١. سورة آل عمران : ٢٨.

٢. البحر المحيط : ٤٢٢ / ٢.

٣. الميزان : ١٥١ / ٣.

٤. سورة التوبة : ٩٨.

٥. ينظر غرائب القرآن: ٩ / ١١، روح المعاني: ٥ / ١١، الميزان: ٣١١ / ٩.

٦. سورة الكهف : ٦٣.

٧. سورة المجادلة : ١٦.

هُوَ فَاتَّخَذَهُ وَكَيلاً □ (٣٧٧)، وبمعنى (أرخت) في قوله تعالى: □ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً... □ (٣٧٨)، أي أرخت ستراً (٣٧٩).

نستنتج مما تقدم أن لفظة (اتخذ) التي تحمل معنيين أساسيين هما (صنع) و (صير) عند اندماجها في التركيب يضفي عليها السياق معاني تُبعدها أحياناً عن أصلها اللغوي، ويمكن أن نقول إنها تبقى قريبة من معانيها اللغوية عندما يكون مفعولها - في حالة التعدي إلى مفعول واحد - ومفعولها الثاني - في حالة التعدي إلى مفعولين - شيئاً مادياً، فقولنا: (اتخذت الجامعة مسكناً) تعني (صيرت) ولكنهما عندما يكونان أمراً معنوياً يخرج معنى (اتخذ) إلى معانٍ مجازية كما في قولنا: (اتخذت فلاناً صديقاً) أيضاً تعني (صيرت) إلا إن (اتخذ) تحمل دلالة إضافية لكون مفعولها الثاني (صديقاً) أمراً معنوياً، فيمكن أن نفسر كيفية (التصيير) بان الاتخاذ يعني (منحته منزلة الصديق) أو (اخترته ليكون صديقاً).

❖ بدل:

بدل وأبدل واستبدل: جعلُ شيء مكان آخر، لأن ((أبدلته بكذا إبدالاً: نحيثُ الأوّل وجعلت الثاني مكانه، وبدلّته تبديلاً بمعنى غيرت صورته تغييراً)) (٣٨٠).

ويمكن أن يكون تبديل الشيء أيضاً تغييره وإن لم تأت ببدل (٣٨١)، وثمة فرق بين الإبدال والتبديل وهو ((أن الأول يستعمل في مقام التنبيه على جهة الصدور والثاني في الدلالة على جهة الوقوع)) (٣٨٢).

وقد جاء الفعل (بدل) في قوله تعالى: □ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا... □ (٣٨٣)، □ ... بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ... □ (٣٨٤)، □ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ... □ (٣٨٥)، وقد ذكرت الآية الكريمة (المُبدل) والمُبدل منه وهما المفعولان الأول والثاني، لأنها من الأفعال التي تأخذ مفعولين، وإن حُذف أحدهما في بعض الأحيان كما في قوله تعالى: □ ... مَرَبَدَّلَ حُسْنًا... □ (٣٨٦)،

٨. سورة المزل: ٩.

٩. سورة مريم: ١٧.

١٠. ينظر الوجوه والنظائر (للدامغاني): ٢١.

١. المصباح المنير: ١/ ٣٩.

٢. ينظر مقاييس اللغة (بدل): ١/ ٢١٠، والصحاح (بدل): ٤/ ١٦٣٢.

٣. التحقيق: ١/ ٢٥٢.

٤. سورة إبراهيم: ٢٨.

٥. سورة الأعراف: ٩٥.

٦. سورة إبراهيم: ٤٨.

٧. سورة النمل: ١١.

□ عَلَى أَنْ يُبَدَلَ خَيْرًا مَتَّهُمْ ... □ (٣٨٧)، يلاحظ حذف المفعول الأول، ويمكن أن يحذف المفعول الثاني كما في قوله تعالى: □ ... قُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ... □ (٣٨٨)، □ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ... □ (٣٨٩)، وفي ذلك غاية بلاغية وهي إطلاق معنى التبديل.

كما جاء الفعل (تبدل) وهو من الصيغ التي تفيد دلالة المطاوعة فنقول (بدلته فتبدل) أي ((قبل التصريف والتبديل وطاوع وأخذ)) (٣٩٠)، ورد ذلك في قوله تعالى: □ ... وَمَنْ يَبْدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ... □ (٣٩١)، أي تكون نفسه مطاوعة للكفر وأفعاله، راضية عن انصراف حالة الإيمان التي كان يعيشها.

وهناك الاستبدال الذي يحمل معنى طلب البدلية، وهو شروع نفسي لتبديل شيء مكان آخر، ثم الإفصاح عن ذلك بطلب، قبل الشروع بالعمل نفسه، ورد ذلك في قوله تعالى: □ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا نَارَكُمْ مَكَّانًا نَرَوْجُ ... □ (٣٩٢)، ومما يزيد من دلالة الطلب النفسي كلمة (أردتم) فهي من القرآن التي تؤيد دوران الاستبدال في دائرة الرغبة النفسية.

❖ سجد:

سجد سجوداً: تطامن وكل شيء ذلّ: فقد سجد، وسجد الرجل: وضع جبهته بالأرض، ومن المجاز: شجر ساجد وسواجد وشجرة ساجدة: مائلة، والسفينة تسجد للرياح: تُطيعها وتميل بميلها، وجعل السجود عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات (٣٩٣). والسجود بتضمنه معنى الخضوع فهو من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً، لاسيما ذلك السجود الاختياري الذي يستحق الإنسان به الثواب، لأنه خضوع كامل وهو مما لا يجوز لغير الله سبحانه، ورد هذا الفعل ومشتقاته كثيراً في القرآن الكريم، قال تعالى: □ وَكَلِمَةً يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظَلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ □ (٣٩٤). ((ولسنا نعرف على وجه التحقيق والتحديد هيئة سجود الملائكة أو سجود المخلوقات الأخرى وما في السموات والأرض، وكلنا نعرف - يقيناً - أن السجود في هذه الآيات معناه الطاعة والخضوع لله عزّ وجلّ، وهذا المعنى مجازي متطور عن المعنى الأساسي وهو الانحناء والتطامن حتى يصل الوجه إلى الأرض)) (٣٩٥).

٨. سورة المعارج: ٤١.

٩. سورة يونس: ١٥.

١٠. سورة البقرة: ١٨١.

١١. التحقيق: ٢٥٢ / ١.

١٢. سورة البقرة: ١٠٨.

١. سورة النساء: ٢٠.

٢. ينظر مقاييس اللغة: ١٣٣/٣، المفردات: ٣٩٦، المصباح المنير: ٢٦٦ / ١.

٣. سورة الرعد: ١٥.

٤. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ١٩٤.

والسجود الذي يكون بالطوع والاختيار لا يصدر إلا من قبول حقيقي، والدليل على ذلك قوله تعالى: □ سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ □ (٣٩٦)، فامتناع إبليس ناتج عن رفض نفسي.

وهناك سجود بالكره والاضطرار من دون قصد طاعة، كما أن هناك سجوداً بالطبيعة التكوينية الذاتية ومن دون إرادة كما في سجود الجماد والنبات والحيوان (٣٩٧).
لذلك فإن حقيقة السجود ((عبارة عن الخضوع التام مع التسليم الكامل وأمانة هذا المفهوم قد تكون بالإظهار القولي، أو بالإظهار العملي كالسجدة الشرعية وغيرها، أو بخضوع القلب وتسليمه بحيث تظهر آثاره في الجوارح، أو بالانقياد والطاعة عن جريان الطبيعة والتكوين)) (٣٩٨).

❖ سعى :

سعى الرجل يسعى سعياً أي عداً، وكذلك إذا عمل وكسب، فالسعى هو المشي السريع وهو دون العدو، ويستعمل للجَدِّ في الأمر خيراً كان أو شراً، وأكثر ما يُستعمل السعي في الأفعال المحمودة (٣٩٩).

ومن سعى في شيء فقد جدَّ في طلبه، ولا يكون ذلك إلا نتيجة لقبول نفسي، فالسعي من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً للأمر الذي كان السعي من أجله .

وقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة بمفهومه العام الذي لا يحدد اتجاه أو نوع السعي، وهو مما لا يدخل في موضوع القبول، كما في قوله تعالى: □ وَأَنْ يُسَلِّمُوا لِلْإِنْسَانِ إِنَّهُ مَسَعَى □ (٤٠٠)، فالسعي هنا مطلق يشمل كل أنواع السعي في اكتساب الأعمال .

كما استعملها بمفهومها الدالّ على نوع السعي، قال تعالى: □ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً □ (٤٠١)، و (أراد) تشير إلى قبول نفسي، أما (سعى) فتدل على ظهور ذلك القبول على شكل عمل جاد من أجل تحصيل المراد .

ومثلما يوجد سعي في الخير، فإن هناك سعياً في مجال الشرّ، وهو يعكس قبول النفوس الشريرة للغايات المحققة من ذلك السعي، قال تعالى: □ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا... □ (٤٠٢).

❖ طوع :

طوع أصل يدل على الاصطحاب والانقياد، يقال طاعه يطوعه إذا انقاد معه ومضى لأمره، ويقال

٥. سورة الحجر: ٣٠ - ٣١..
٦. ينظر: التحقيق : ٦٢-٦٣.
٧. التحقيق : ٦٣ / ٥.
١. ينظر الصحاح: (سعى) : ٦ / ٢٣٧٧، المفردات: ٤١١، المصباح المنير: ٢٧٧/١.
٢. سورة النجم : ٣٩.
٣. سورة الإسراء : ١٩.
٤. سورة المائدة : ٣٣.

لمن وافق غيره فقد طأوعه، وقالوا لا تكون الطاعة إلا عن أمر كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول، والطوع نقيض الكره^(٤٠٣).

وأطاع من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً كبيراً، لأنها لا تحقق إلا بثلاثة قيود هي ((الرغبة، والخضوع، والعمل على طبق الأمر، وإذا فقدت الرغبة والتمايل يصدق الكره، سواء حصل خضوع أو عمل أم لا))^(٤٠٤).

استعمل القرآن الكريم هذا الفعل ومشتقاته كثيراً، فقد حث على طاعة الله تعالى، فجاء الفعل بصيغة الأمر، قال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ^(٤٠٥)، واقرنت طاعة الله بطاعة الرسول لأنه المبلغ للأوامر الإلهية قال تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ... ^(٤٠٦)، وطاعة الله عز وجل هي الغاية التي من أجلها نزلت رسالات السماء، وبها تتحقق السعادة الحقيقية للإنسان في الدارين، قال تعالى: ... وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ^(٤٠٧)، وقال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ^(٤٠٨).

وهناك طاعة للمخلوق من غير الرسل، منها محمودة كطاعة الزوج، قال تعالى: ... فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَائِبٌ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا... ^(٤٠٩)، ومنها مذمومة كطاعة الكافرين والمنافقين والمكذابين وكل من يبعد الإنسان عن طريق الحق، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَكَأ تَطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ... ^(٤١٠).

والتطوع هو (تفعل) ويدل على اختيار الفعل وتنفيذه عن رغبة نفسية، قال تعالى: ... وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ^(٤١١).

❖ عبد:

عبد تدل في الأصل على لين وذل، يقال الطريق المعبود وهو السلوك المذل، وعبدت الله أعبدته عبادة وهي الانقياد والخضوع، والفاعل عابد، والجمع عبَاد وعبْدَة، والعبد خلاف الحر، واستعبدت فلاناً: اتَّخَذْتَهُ عبداً^(٤١٢).

و (وعبد) من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً، لأنه يحمل دلالة الانقياد والخضوع، لاسيما إذا

٥. ينظر: مقاييس اللغة (طوع): ٣/ ٤٣١، لسان العرب: ٨/ ٢٤٠، المصباح المنير: ٢/ ٣٨٠.

٦. التحقيق: ٧/ ١٦٥.

١. سورة آل عمران: ٣٢.

٢. سورة النساء: ٨٠.

٣. سورة الفتح: ١٧.

٤. سورة الأحزاب: ٧١.

٥. سورة النساء: ٣٤.

٦. سورة الأحزاب: ١.

٧. سورة البقرة: ١٥٨.

٨. ينظر مقاييس اللغة (عبد): ٤/ ٢٠٥، المصباح المنير: ٢/ ٣٨٩.

كانت العبودية بالاختيار لا بالتكوين كما في قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٤١٣)،
ولا تكون عبودية بالجعل كما في قوله تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ... (٤١٤).

ورد في القرآن الكريم هذا اللفظ كثيراً لأن عبودية الخلق للخالق من الركائز الأساسية للوجود،
ف نجد استعمال صيغة الأمر شائعة وبخاصة في حث الأنبياء (عليهم السلام) لأقوامهم، لأن العبودية لله
سبحانه تعني القبول النفسي والعملي للتوجه نحو الحق، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَرَّبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤١٥)، ((وفي قبال العبودية: الاستكبار عن العبادة والكفر بها، فإنه يوجب
الانحراف عن مسير التكوين وبرنامج الخلق، وبذلك يُحرم عن إفاضة الخير وبسط الرحمة وشمول
الفضل والإحسان - إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٤١٦)) (٤١٧).

❖ **عز:**

العز: اللوم، والتعزير: التأديب، ولها معنى آخر فيقال: عزره: أعانه وقواه ونصره، والتعزير
في كلام العرب: التوقير، والتعزير: النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَالسَّيْفِ، وأصل التعزير: المنع والرد، فكأن من
نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه (٤١٨).

و (عزّر) التي تحمل دلالة التقوية والنصر والتعظيم، من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً، أما
تلك التي تحمل دلالة اللوم والتأديب فهي من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً عن طريق الأقوال .
لم يرد هذا الفعل في القرآن الكريم بمعنى اللوم والتأديب، وإنما ذكر ثلاث مرات يحمل دلالة
التعظيم والتقوية، قال تعالى: .. وَأَمْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ هُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا (٤١٩)،
والتعزير يُراد به ((الذّبُ عن حريم الله وحريم رسوله والدفاع عما يقال فيهما، وتقويتها بنشر
الحقائق وتبيين أحكام الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأمور وظائف عقلية
وشرعية ومن لوازم الإيمان ثم بعدها يلزم النصر والتوقير وإتباع الدين عملاً والإقراض)) (٤٢٠).

❖ **عطو:**

عطو أصل يدلّ على أخذ ومناولة، وعطا زيدٌ درهماً: تناوله، ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال
أعطيته درهماً، والعطاء اسم منه، والعطية: ما تُعطيه، والجمع العطايا، ورجل معطاء: كثير

٩. سورة الذاريات : ٥٦ .

١٠. سورة النحل : ٧٥ .

١. سورة آل عمران : ٥١ .

٢. سورة غافر : ٦٠ .

٣. التحقيق : ١٦ / ٨ .

٤. ينظر مقاييس اللغة (عز): ٣١١ / ٤، لسان العرب: ٥٦١ / ٤، المصباح المنير: ٤٠٧ / ٢ .

٥. سورة المائدة : ١٢ .

٦. التحقيق : ١٣١ / ٨ .

الإعطاء، ويقال: أعطى البعير: إذا انقاد ولم يستصعب^(٤٢١).
والعطاء يجب أن يكون صادراً من نفس راضية لأنه ((إبتاء شيء لشيء بمقتضى ما في النفس من عظمة أو التزام، من دون نظر إلى جهة تمليك أو غرض أو عوض أو غيرها))^(٤٢٢).

وردت هذه المادة ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم، ثمان منها عبرت عن عطاء الله عز وجل، وفيه تتجسد كل معاني القبول والرضا من المعطي تجاه الواصل إليه العطاء، قال تعالى: إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ □^(٤٢٣)، وقال تعالى: □ وَكَسُوفٌ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى □^(٤٢٤)، ((فهذه العطايا من جانب الله المتعال بمقتضى مقام عظمتة وسعة رحمته وبسط إفاضته))^(٤٢٥).

وقد يقال إن المعطي يكون مجبراً على العطاء، إلا أن الأصح هو قد يكون مجبراً على الالتزام أو التعهد بالعطاء، أما مرحلة التناول فيجب أن تكون عن رضا وإلا لا تسمى عطاء، قال تعالى: □ ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ □^(٤٢٦).

❖ عفو:

أصل العفو يدلّ على ترك الشيء، ومنه عفو الله عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه، وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه، وقالوا: عفا المنزل يعفو عفواً وُغُفواً وعفَاءً بالمد: درس، ومنه عفا الله عنك، أي محا ذنوبك، وهذا المعنى قريب من الترك وذلك أنه شيء يُترك فلا يُتعهد ولا ينزل فيخفى على مرور الأيام^(٤٢٧).

والعفو يصدر عن قبول نفسي، لأنه يحمل معنى التسامح ((فهو صرف النظر عن شيء في مورد يقتضي النظر والتوجه إليه، ومن مصاديقه صرف النظر عن الذنوب وعن الخطيئة، وعن العقاب، وعن العمل، وعن التكثير والضبط، وعن التوجه والاهتمام إليه، وعن التعلق به، وهكذا))^(٤٢٨).

ورد العفو في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، كان أكثره عفو الله عز وجل عن ذنوب العباد، وذلك لكثرة الذنوب والخطايا وسعة الرحمة الإلهية، قال تعالى: □ وَهُوَ الَّذِي يُبَدِّلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ

السَّيِّئَاتِ ... □^(٤٢٩)، كما أن العفو صفة محمودة حثت عليها الشريعة لأنها تجنح بالناس إلى

السلام، قال تعالى: □ ... فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ □^(٤٣٠)، والعفو والصفح والغفران وكظم الغيظ وقبول التوبة وتبديل السيئة بالحسنة كلها تصدر من مصدر واحد، وإن كانت هنالك

٧. ينظر مقاييس اللغة (عطو): ٤/ ٣٥٣، الصحاح: ٦/ ٢٤٣٠، المصباح المنير: ٢/ ٤١٧.

١. التحقيق: ٨/ ٢١٠.

٢. سورة الكوثر: ١.

٣. سورة الضحى: ٥.

٤. التحقيق: ٨/ ٢١١.

٥. سورة التوبة: ٢٩.

٦. مقاييس اللغة (عفو): ٤/ ٥٦، المصباح المنير: ٢/ ٤١٩.

٧. التحقيق: ٨/ ٢٢١ - ٢٢٢.

١. سورة الشورى: ٢٥.

٢. سورة المائدة: ١٣.

فروق دلالية بينها فالصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح^(٤٣١)، أما الغفران فيقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب^(٤٣٢).

❖ غفر:

أصل الغفر: الستر والتغطية، وكل شيء سترته فقد غفرته، وغفر الله غفراً وغفراناً: صرح عنه، والمغفرة أسم منه، واستغفرت الله: سألته المغفرة^(٤٣٣).

و (غفر) من الأفعال التي تجسد قبولاً نفسياً، لأن القائم بالعمل عنده تجاوب نفسي مع مَنْ وصله الغفران .

كثر استعمال هذا الفعل ومشتقاته في القرآن الكريم، وأكثره ما يعبر عن غفران الله سبحانه لذنوب العباد، فالغفران مما يحتاجه الإنسان لأنه خطأ، فارتكاب الذنوب مما يُبعد الإنسان عن خالقه ويتسبب في وجود نوع من أنواع الرفض فتأتي المغفرة التي توجد نوع من أنواع القبول لرجوع الإنسان إلى الساحة الإلهية .

دارت معاني الغفران في الآيات القرآنية حول دلالة الصفح والتجاوز عن الخطيئة، قال تعالى:

□ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ . □^(٤٣٤)، والغفور والعفار والغافر ((فمن أسماء الله عزَّ

وجل، وتختلف خصوصيات مفاهيمها باختلاف صيغها، فالغافر يدلّ على من يقوم به المغفرة، والعفار فيه مبالغة وكثرة، والغفور فيه دلالة على ثبوت في الاتصاف بالمغفرة، وكل منها يستعمل في مورد يناسبه ويقتضيه^(٤٣٥)).

٣. ينظر الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ١٣٤.

٤. المصدر نفسه: ١٥٠، وينظر: ١٥٥.

٥. ينظر مقاييس اللغة (غفر): ٤/ ٣٨٥، التهذيب: ٨/ ١٠٦، المصباح المنير: ٢/ ٤٤٩.

٦. سورة القصص: ١٦.

٧. التحقيق: ٧/ ٢٩٨.

الفصل الثاني

المبحث الأول

الرفض النفسي

أو الألفاظ التي تدل على الرفض النفسي

❖ **أذى:**

الأذى شعور نفسي يحدث للإنسان أو الحيوان عندما يصل إليه الضرر في نفسه أو جسمه أو إتباعه دنيوياً أو أخروياً^(٤٣٦).

والأذى: ((هو الشيء تتكرهه ولا تقرّ عليه، يقال أذيت فلاناً أوذيه، بعير إذ وناقاة أذية: إذا كان لا يقرّ في مكانه من غير وجع وكأته يأذى بمكانه))^(٤٣٧)، والأذى الشر الخفيف فإن زاد فهو ضرر. ثم استعملت العرب الأذى على الشيء الذي يسبب الأذى فقالوا: ((الأذى: ما تأذيت به))^(٤٣٨)، فانتقل المعنى من الشعور إلى الشيء الذي يوجد ذلك الشعور، وقد تنبه الراجب الأصفهاني على ذلك فقال عن قوله تعالى: **وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى... ^(٤٣٩) قال الراجب: ((فسمي أذى باعتبار الشرع وباعتبار الطب))^(٤٤٠).**

تأذى من ألفاظ الرفض النفسي؛ لأنّ التأذي هو ((الحالة الحاصلة من وصول المكروه واختياره، وكذلك الأذى مصدر كالتعب))^(٤٤١)، فالعاقل دائماً يرفض أن يتعرض للأذى.

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في قوله تعالى: **... أَذَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَ... ^(٤٤٢)،**

أي لا يصل إليهنّ ما يكرهنه، وقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ^(٤٤٣)، أي يتسببون بالتأذي والتكره من خلال أفعالهم التي لا ترضي البارئ عزّ وجل.**

❖ **أسف:**

أسف أسفاً: ((حزن وتلهّف، فهو أسفٌ، وأسفٌ مثل غضبٍ وزناً ومعنى، ويعدّى بالهمزة أسفته))^(٤٤٤).

والأسف يجمع بين الحزن والغضب، يقول الراجب: ((الأسف الحزن والغضب معاً، وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد، وحقيقته ثوران القلب دم شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على منّ

١. ينظر: المفردات: ٧١.

٢. مقاييس اللغة: (أذى) ٧٨/١، وينظر: تاج العروس: ١٤٨ / ١٩.

٣. لسان العرب: ٢٧ / ١٤.

٤. سورة البقرة: ٢٢٢.

٥. المفردات: ٧٢.

٦. التحقيق: ٧٢ / ١.

٧. سورة الأحزاب: ٥٩.

٨. سورة الأحزاب: ٥٧.

٩. المصباح المنير: ١٥ / ١.

دَوْتَهُ انْتَشَرَ فَصَارَ غَضِبًا، وَمَتَى كَانَ عَلَى مَنْ فَوْقَهُ انْقِبُضَ فَصَارَ حُزْنًا))^(٤٤٥).

يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): الأسف أشد الحزن، والأسيف والأسوف: السريع الحزن الرقيق^(٤٤٦).

وعلى الرغم من جمع الحزن والغضب في دلالة (الأسف) عند كثير من اللغويين فإن صاحب التحقيق يعترض على ذلك بقوله: ((إن الأصل في الكلمة هو التلهف والحزن عند فوت شيء، وأما الغضب غيره، فمما يفهم بالقرائن، ومن المعاني المجازية لها))^(٤٤٧)، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: □ ... مَرَجَّ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا... □^(٤٤٨)، يقول عن هذه الآية الكريمة: ((وذكر هذه الكلمة بعد الكلمة غضبان يدل على التقابل بينهما وعدم دلالة مادة الأسف على معنى الغضب))^(٤٤٩).

و(الأسف) بدلالاتها على الحزن على شيء فانت، أو بمعناها المجازي الدال على الغضب بسبب أمرها، فهي من ألفاظ الرفض؛ لأن المتأسف رافض للحالة التي يراها، وقد جاءت في قوله تعالى: □ وَوَكَّلِي عَلَيْهِمْ وَقَالَ يَا أَسْنَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ... □^(٤٥٠)، فيعقوب (عليه السلام) يعبر عن حزنه الشديد وتلهفه على فقدان ولده، وفي ذلك دلالة واضحة على رفضه الشديد لتلك الحالة، ونجد ذلك أيضاً في قوله تعالى: □ فَلَمَّا بَاخَعُ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا □^(٤٥١)، وفي ذلك إشارة إلى رفض رسول الله (2) لحالة الكفار من خلال تأسفه على عدم إيمانهم بما جاء به.

وُسَبِّبَ الْأَسْفَ لِلخَالِقِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: □ فَلَمَّا أَسَفْنَا اسْتَمْتَنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

□^(٤٥٢)، أي أوجب طغيان فرعون وأتباعه التأسف منا، ((وأما أن الأسف كيف يُنسب إلى مقام الرب: فهو كالغضب، فيطلق عليه تعالى باعتبار آثاره ونتائجه المترتبة))^(٤٥٣).

❖ الأسي:

وقريب من معنى الأسف (الأسي)؛ لأنه يحمل دلالة الحزن والتلهف على ما فات يقال: (أسيتُ على الشيء أس أسي: حزنت عليه)^(٤٥٤)، فالأسي يشترك مع الأسف في (دلالاته على الحزن وفي (إتباع الفات بالغم)^(٤٥٥)، ولكن ثمة فرق بين دلالتيهما ((فالظاهر أن الأسف كان عبارة عن التلهف المستتبع للحزن، والأسي عبارة عن الحزن المستتبع للتلهف))^(٤٥٦).

١. المفردات: ٧٥.
٢. ينظر: الصحاح: ٤ / ١٣٣٠.
٣. التحقيق: ٩٥ / ١.
٤. سورة الأعراف: ١٥٠.
٥. التحقيق: ٩٥ / ١.
٦. سورة يوسف: ٨٤.
٧. سورة الكهف: ٦.
٨. سورة الزخرف: ٥٥.
٩. التحقيق: ٩٦ / ١.
١. مقاييس اللغة: (أسي): ١ / ١٠٦.
٢. المفردات: ٧٧.
٣. التحقيق: ١٠٠ / ١.

فهي إذن من ألفاظ الرفض؛ لأن من يأس على شيء فهو رافض لذلك الحال، ولو كان راضياً قانعاً لما انتابه حزن عليه.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: □ ... فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ □ (٤٥٧)، وفي قوله تعالى:

□ لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَكَانَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ... □ (٤٥٨)، أي لا تحزنوا ولا تلهفوا على الفاتت .

ويبدو من استعمال الأسف والأسى أن الأسف قريب من التلهف والأسى قريب من الحزن، والأسف كثير ما يعبر عنه بالأقوال أو الأفعال، أما الأسى فكثيراً ما يبقى كامناً في النفس.

❖ بغض:

البغض خلاف الحب، وهو ((نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه)) (٤٥٩)، ويقال أبغضته إِبْغَاضاً فهو مُبْغِضٌ، والبغضة والبغضاء: شدة البغض (٤٦٠)، كما يُقال عَمِنَ قال بينهما كراهية ((بينهما مَبْغِضَةٌ، وما رأيتُ أشدَّ تباغضاً منهما، ولم يزا مَبْغِضَيْنِ)) (٤٦١).

والبغض في حقيقته رفض شديد من جهة النفس الإنسانية، بل هو أعلى درجات الرفض النفسي؛ لذلك لا تستطيع النفس كتمانها غالباً، فيظهر للعيان من خلال الأفعال، الناتجة عنه، التي يُعبر عنها بالعداوة؛ لذلك نجد (العداوة والبغضاء) متلازمين في كثير من الأحيان؛ لأن الأول هو النتيجة الطبيعية للثاني، والدليل على ذلك أن أربعاً من خمس آيات وردت فيها كلمة (البغضاء) سبقتها كلمة (العداوة) في القرآن الكريم. ورد ذلك في قوله تعالى: □ ... وَالْقِيَامَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... □ (٤٦٢).

وكذلك في قوله تعالى: □ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ... □ (٤٦٣).

وعلى الرغم من أن البغضاء شعور يختلج في النفس فإن انعكاساته تظهر لتفصح عنه، ولا يقتصر على الأفعال العدائية التي تترجمه، بل يمكن أن يظهر من خلال الكلام، فالعبارات تحمل بين طياتها مشاعر المتكلم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: □ ... قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ □ (٤٦٤).

❖ جَنَفٌ:

أصل الجَنَفُ هو المَيْلُ، ((يقال: جَنَفَ إِذَا عَدَلَ وَجَار... وَرَجُلٌ أَجْنَفٌ إِذَا كَانَ فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ، وَيُقَالُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الطُّوْلِ وَالْإِنْحِنَاءِ وَيُقَالُ: تَجَانَفَ عَنْ كَذَا إِذَا مَالَ)) (٤٦٥)، ثم استعمل الجنف للميل

٤. سورة المائدة : ٢٦ .

٥. سورة الحديد : ٢٣ .

٦. المفردات : ١٣٦ .

٧. ينظر: المصباح المنير: ٥٦ / ١ .

٨. أساس البلاغة: (بغض).

٩. سورة المائدة : ٦٤ ، وكذلك المائدة : ١٤ ، وسورة الممتحنة : ٤ .

١. سورة المائدة : ٩١ .

٢. سورة آل عمران: ١١٨ .

٣. مقاييس اللغة: (جَنَفٌ) ٤٨٦ / ١ .

عن الاعتدال في السلوك فقالوا: ((جَنَفَ فِي الوصِيَّةِ وَجَنَفَ عَلَيْنَا فِي الحُكْمِ))^(٤٦٦)، فيتسع للدلالة على الميل في الحكم والخصومة والقول وغيرها^(٤٦٧).

وبذلك تكون هذه اللفظة داخلة في موضوع الرفض بعد أن عبرت عن الميل النفسي عن الحق، جاء ذلك في قوله تعالى: □ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ ... □^(٤٦٨)، ومن القرائن التي تمنح (جَنَفًا) أصالة الدلالة على الميل عن الحق، عَطَفَهَا عَلَى كلمة (إِثْمًا) التي تعضد من دلالة الانحراف والخروج عن جادة الحق.

ووردت مرة ثانية في قوله تعالى: □ ... فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ ... □^(٤٦٩)، والآية الكريمة ترفع الحرج عمّن اضطرّ إلى أكل المَيْتَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ المَحْرَمَاتِ عَلَى شرط ألا يكون ذلك باباً لميل النفس إلى الإثم؛ لأنّ الشريعة تسمح للإنسان بجسده أن يقترب من المأكل المحرم، ولا تسمح لروحه أو نفسه أن تطمئن لحالة الاضطرار فتميل إلى الحق.

❖ هزن:

الحُزْنُ خلاف السرور، وَحَزَنَ الرَّجُلُ فَهُوَ حَزَنٌ وَحَزِينٌ، ويتعدى في لغة قريش بالحركة، فيقال: حَزَنَنِي الأمر يحزُنُنِي، وأجازوا أَحْزَنَنِي، والحَزْنُ ما غلظ من الأرض، ويجمع بينهما خشونة الشيء وشدة فيه؛ لأنّ الحُزْنَ^(٤٧٠) ((حالة انقباض مخصوص في القلب، كما أن السرور حالة انبساط وبمناسبة مفهوم الانقباض، يطلق على ما غلظ من الأرض وانقبض))^(٤٧١).
فالحزن لا ينتاب الإنسان إلا عندما يمرّ بحالة مرفوضة نفسياً، كما أن الحزن فعل نفسي لكن له علامات تعبر عنه كانبساط الوجه أو البكاء أو أن يفصح الحزين عن أحزانه بالكلام.

قال تعالى: □ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ... □^(٤٧٢)، ففراق الطفل لأمه مما تأباه نفسها ويصعب التجاوب معه وقال تعالى على لسان النبي يعقوب (عليه السلام): □ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ... □^(٤٧٣)، كما جاء في الذكر الحكيم (الحَزْنُ) بالتحريك، وهو مصدر يدلّ بهينته على الحركة والاستمرار قال تعالى: □ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... □^(٤٧٤)، أي الحُزْنَ المستمر .

❖ حسد:

حَسَدٌ يَحْسُدُ حَسَدًا، وهو من الأفعال التي تتعدى إلى المفعول الثاني بنفسها وبالحرف فتقول:

٤. اساس البلاغة: (جنف).
٥. ينظر: لسان العرب، ٣٣ / ٩.
٦. سورة البقرة: ١٨٢.
٧. سورة المائدة: ٣.
٨. ينظر: مقاييس اللغة: (حَزَن) ٥٤ / ٢، الصحاح: ٢٠٩٨ / ٥، المصباح المنير: ١٣٤ / ١.
٩. التحقيق: ٢ / ٢٤٥.
١. سورة القصص: ١٣.
٢. سورة يوسف: ١٣.
٣. سورة فاطر: ٣٤.

حسدته على النعمة وحسدته النعمة: إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه^(٤٧٥)، فهو رفض نفسي لوجود النعمة عند المحسود، وهو فعل نفسي لا تظهر إلا آثاره، وهو بذلك يختلف عن الغبط وهو أن يتمنى أن يكون له مثلها من غير أن تزول عنه.

والحاسد مذموم؛ لأنه مريض القلب يحملُ شراً للناس، لذا علمنا القرآن الكريم أن نعوذُ بالله من شره، قال تعالى: □ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ □^(٤٧٦)؛ لأنه ((ينازع الله سبحانه تعالى في إعطائه وتدبيره، ولا يرض بفعل الله المتعال))^(٤٧٧).

والحسد يكون على النعم المادية كما في قوله تعالى: □ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ... □^(٤٧٨)، كما يكون على النعم المعنوية كالإيمان كما في قوله تعالى: □ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَأَمَّا حَسَدًا... □^(٤٧٩).

❖ خوف:

أصل الخوف يدل على الدُعر والفرع، يقال خِفَتِ الشَّيْءُ خَوْفًا وَمَخَافَةً وَخِيفَةً، والخوف غم يلحق لتوقع المكروه، أما الحزن فهو غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار، والخشية أشد من الخوف وهي تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، والفرق بين الخوف والرهبة: أن الرهبة طول الخوف واستمراره، والفرق بين الخوف والفرع: أن الفرع مفاجأة الخوف عند هجوم أمر، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل^(٤٨٠).

والخوف رفض نفسي لحالة متوقعة الحدوث، فإذا ما حدثت نتج الحزن، لذلك نجد ارتباط الخوف والحزن في كثير من الآيات الكريمات كما في قوله تعالى: □ ...فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ □^(٤٨١)، والخائف متوقع ضرر سيصل إليه، قال تعالى: □ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ... □^(٤٨٢).

والأمن يقابل الخوف دلالياً، قال تعالى: □ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَكَا تَخَفُ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ □^(٤٨٣)، وتقترب من الخوف ألقاظ كالحذر والرهبة والفرع ((ويعتبر في الخوف: توقع ضرر مشكوك والظن بوقوعه، وإذا أراد التوقي منه: فيقال في هذا المقام الحذر، وإذا أدام الخوف واستمر: فهو الرهب، وإذا

٤. ينظر: التهذيب: ٤/ ٢٨٠، والمصباح المنير: ١/ ١٣٥.

٥. سورة الفلق: ١- ٥.

٦. التحقيق: ٢/ ٢٥٠.

٧. سورة النساء: ٥٤.

٨. سورة البقرة: ١٠٩.

٩. ينظر مقاييس اللغة (خوف): ٢/ ٢٣٠.

١٠. سورة البقرة: ٣٨.

١١. سورة القصص: ١٨.

١٢. سورة القصص: ٣١، وكذلك سورة النور: ٥٥، سورة قريش: ٤.

حصل الخوف وأثره مفاجأة ولم يتحمل به وانزعج قلبه: فهو الفرع))^(٤٨٤)، قال تعالى: □ إذ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَرَّجَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحَفْ... □^(٤٨٥)، والفرع ((انقباض ونفار يعرض الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع وقيل هو الخوف الشديد))^(٤٨٦)، كما أن هنالك تقارباً دلاليّاً بين الخوف والخشية، قال تعالى: □ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ □^(٤٨٧)، والخشية وإن كانت خوفاً فهي خوف خاصّ لأنها ((حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيئته وخوف الحجب عنه وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب))^(٤٨٨).

والخوف من الله تعالى يعني الخوف من عقوبته، وهذا ما أمر به ويثيب عليه، قال تعالى: □ وَلَكِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ □^(٤٨٩)، والخوف من عذاب الله خوف إيجابي يُربي النفس الإنسانية ويوجهها الوجه الصحيحة في الحياة، قال تعالى: □ ... فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدَ □^(٤٩٠). ويقابل ذلك خوف سلبي وهو الخوف من الشيطان قال تعالى: □ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □^(٤٩١).

والفرع مرتبة من مراتب الخوف، لأن أصل الفرع: الدُعر، والفرع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المُخيف، وهو من جنس الجزع^(٤٩٢). والفارق الدلالي بين الخوف والفرع أن الفرع: ((هو خوف شديد مع اضطراب ودهشة عند عروض مكروه عظيم مفاجأة))^(٤٩٣). ويُعد الحزن من لواحق الفرع وآثاره، قال تعالى: □ لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ... □^(٤٩٤).

❖ ريب:

أصل (ريب) يدل على شكّ، أو شكّ وخوف، ورابني الشيء يريبني، إذا جعلني شاكاً، فأنا مرتاب والاسم الريبية، ويقال رابني إذا علمت منه الريبية، وأرابني: إذا ظننت ذلك به، وريب الدهر: صروفه^(٤٩٥).

٥. التحقيق: ١٦١ / ٣.
٦. سورة ص: ٢٢.
٧. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ٩١.
٨. سورة الرعد: ٢١.
٩. المصدر السابق: ٩١.
١٠. سورة الرحمن: ٤٦.
١١. سورة ق: ٤٥.
١. سورة آل عمران: ١٧٥.
٢. ينظر مقاييس اللغة (فرع): ٥٠١ / ٤، لسان العرب: ٢٥١ / ٨، المفردات: ٦٣٥.
٣. التحقيق: ٨٨ - ٨٩.
٤. سورة الأنبياء: ١٠٣.
٥. ينظر مقاييس اللغة (ريب): ٤٦٣ / ٢، الجمهرة: ٢٨٠ / ١، المصباح المنير: ٢٤٧ / ١.

وفرق أبو هلال بين الشك والارتياب بقوله: ((إن الارتياب شك مع تهمة، والشاهد أنك تقول إنني شكّ اليوم في المطر، ولا يجوز أن تقول إنني مرتاب بفلان: إذا شككت في أمره واتهمته))^(٤٩٦).
 والمرتاب مَنْ دخل في نفسه رفض التصديق بشيء ((وهو من أفعال العباد وفي جريان أعمالهم وأفكارهم فقط، لا فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله))^(٤٩٧)، قال تعالى: □ ... وَأَمْرًا تَأْتَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَسْـَٔدُونَ □^(٤٩٨)، وارتياب القلوب شك في الأفكار.
 ورفض التصديق مانع بين المرء وجوهر الإيمان لأن ((الرَّيْبَ والارتياب أكبر مانع وأشدّ حاجب بين الإنسان والسير إلى كماله وسعادته، فيلزم له الجدّ والاجتهاد في تحصيل العلم واليقين، ورفع التوهم والشك في مسيره وجريان برنامج حياته، وفي مستقبل أمورهِ الروحانية وعالم الآخرة، وأن يكون على بصيرة ونور في مبدئه ومنتهاه))^(٤٩٩).

❖ سَامٌ:

سِيمُ الشَّيْءِ وَسِيمٌ مِنْهُ، وَسُمِّتُ مِنْهُ أَسَامٌ سَامًا وَسَامَةٌ: بمعنى ضجرته وملثته، والسامة: الملالة مما يكثر لبثه، فعلاً كان أو انفعالاً^(٥٠٠).
 والسام رفض نفسي للاستمرار بعمل بسبب طول مدته، وكل ما ترفضه النفس لا يطلع عليه الآخرون إلا من خلال التعبير عنه بالأقوال أو ظهور آثاره بالأفعال، فالملالة: تضيق القلب، والضجر: تألم، والسام: مفهوم مركب من الملل والضجر، وكلاهما كامن في النفس.

ورد هذا الفعل ثلاث مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: □ ... وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ

كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ... □^(٥٠١)، فكثرة الدين وكتابة عقودها توجد السام من هذا العمل، مما يؤدي أحياناً إلى ترك المكاتبه، وهذا ما تحذر الآية الكريمة منه .

وقال تعالى: □ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ... □^(٥٠٢)، أي ((لا يمل ولا ينضجر إذا كان في طلب ما يلائم روحه وفي طريق تحصيل ما هو خير له))^(٥٠٣)، وهو في ذلك لا ينتابه رفض نفسي للاستمرار بهذا العمل وإن طالته مدته واستمر الانشغال به، لأنه مما يلائم النفس لا مما يزعجها.

❖ سَخَطٌ:

السَّخَطُ والسُّخْطُ: خلاف الرِّضَى، وسَخِطَ أي غضب، فهو ساخط، وأسَخَطَه أي أغضبَه، ويتعدى بنفسه وبالْحَرْفِ، فيقال: سَخِطْتَهُ وسَخِطْتَ عَلَيْهِ^(٥٠٤).
 وثمة فرق بين الغضب والسخط: ((أن الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، ولا يقال سَخِطَ الْحَاجِبُ عَلَى الْأَمِيرِ، والسخط

٦. الفروق اللغوية: ٨٠.

٧. التحقيق: ٤ / ٣٠٥.

٨. سورة التوبة: ٤٥.

٩. التحقيق: ٤ / ٣٠٥.

١. ينظر لسان العرب: ١٢ / ٢٨٠، المفردات: ٤٣٨، المصباح المنير: ١ / ٣٠٠.

٢. سورة البقرة: ٢٨٢.

٣. سورة فصلت: ٤٩.

٤. التحقيق: ١٠ / ٥.

٥. ينظر الصحاح (سخط): ٣ / ١١٣٠، المصباح المنير: ١ / ٢٦٩.

إذا عدّيته بنفسه فهو خلاف الرضا، يقال رضيه وسخطه، وإذا عدّيته بـ (على) فهو بمعنى الغضب، تقول سخط الله عليه إذا أراد عقابه^(٥٠٥).
والسخط إذا دلّ على ما يقابل الرضا فهو رفض صريح، وإذا دلّ على الغضب فانه يعبر عن رفض نفسي شديد لأن الغاضب رافض للشيء الذي أثار غضبه.

وردت هذه اللفظة أربع مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: □ . . . لَبَسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ

سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . . . □^(٥٠٦)، وسخط الله تعالى يقع على المخلوقات لأن ((جريان نظام العالم لا بدّ وأن يكون على وفق ميله وإرادته ومحبته ورضاه: فالسلوك على خلاف رضاه سلوك على خلاف مسير النظام في العالم، ولا بدّ من سقوطه ومحكوميته وخسرانه))^(٥٠٧)، فسخطه سبحانه يعبر عن رفض إلهي شديد، □ كَمَنْ بَاءَ سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ □ هو الاتجاه المعاكس لـ □ أَفَمَنْ اتَّبَعَ مَرْضَاوَانَ اللَّهِ . . . □^(٥٠٨)، والسخط ناتج عن كراهة أي رفض نفسي ومولد للغضب، ((وأما مفهوم إرادة العقاب فهو مرتبة شديدة من السخط وتكشف بالقرائن اللفظية، كاستعماله بـ (على) الدال على الاستعلاء))^(٥٠٩).

❖ سوء:

سَاءَ الشَّيْءُ يَسُوءُ فَهُوَ سَيِّءٌ: إذا قُبِحَ، والسُّوءُ: الاسم الجامع للآفات والداء، ويقال: أساء زيد في فعله، وفعلٌ سوءاً، والاسم السُّوءَى على فُعْلَى، وهو رجل سَوَّءٍ، وعمل سَوَّءٍ، والسَّيئةُ خلافُ الحسنَةِ^(٥١٠).

والفعل (سَاءَ) المتعدي يدخل في دائرة الرفض فقولنا: (سَاءَهُ الأمر) تشير إلى وجود رفض نفسي لأن مفهوم المساءة يتحقق في ضمن معنى الإحزان، أي ما يقابل السرور.

ورد هذا الفعل بهذه الدلالة ثلاث مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن

أَشْيَاءَ إِن بُدِّعَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ . . . □^(٥١١)، فالمساءة ما يقابل المسرّة، وفيه يتحقق ضيق نفسي.

قال تعالى: □ إِنْ تَسَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ . . . □^(٥١٢)، و (تَسُؤْهُمْ) تعبير عن رفض نفسي، لم

يظهر إلا من خلال الإخبار عنه لأنه شعور يكمن في النفس ولا يُعرف إلا من خلال الإخبار عنه أو التعبير عنه بالأقوال، أو ظهور أفعال تدلّ على وجوده .

❖ شح:

شَحَّ الأصل فيه المنع، ثم يكون منعاً مع حرص، والشَّحُّ: البُخل مع حرص، وقيل البخل بالمال والشَّحُّ بالمال والمعروف والفرق بين الشَّحِّ والبُخل: أن الشَّحَّ الحرص على منع الخير، ويقال زُنْدٌ شَحَّاحٌ إذا لم يور ناراً، كأنه حريص على منع ذلك، والبُخل منع الحق، فلا يقال لمن يؤدي حقوق

٦. الفروق: ١٠٦.

١. سورة المائدة: ٨٠.

٢. التحقيق: ٩٥ / ٥.

٣. سورة آل عمران: ١٦٢ .

٤. التحقيق: ٩٥ / ٥.

٥. ينظر مقاييس اللغة (سوء): ١١٣ / ٣، الصحاح (سوا): ٥٦ / ١، المصباح المنير: ٢٩٨ / ١.

٦. سورة المائدة: ١٠١.

٧. سورة آل عمران: ١٢٠، وينظر سورة التوبة: ٥٠.

الله تعالى بخيلاً^(٥١٣).

والشح رفض نفسي لأنه يعني ((البخل الشديد الراسخ في القلب))^(٥١٤)، ولذا كثيراً ما يُعبر بالشح عن بخل النفس ورفضها للعطاء المادي والمعنوي .

نجد ذلك في آيات القرآن الكريم التي ذكرت هذه الصفة في بعض النفوس الإنسانية، فقد وردت خمس مرات، قال تعالى: □ . . . وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ □^(٥١٥)، أي ((الذي يُصان عن الشح المكنون في نفسه: هو المُفْلِح. وهذه الصفة إذا رسخت وثبتت في القلب وغلبت على القوى: تمنع النفس عن مطلق عمل الخير قولاً وفعلاً، بل تمنع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وتربية الناس و هدايتهم وإرشادهم، والإنفاق والإحسان والإعانة بأي صورة يمكنه والخدمة لهم))^(٥١٦).

ولذلك قيل الشح اللوم وان تكون النفس حريصة على المنع ولهذا أضيفت هذه الصفة للنفس قال تعالى: □ . . . وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ . . . □^(٥١٧)، ((وقيل الشح إفراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الأعراض يقال هو شحيح بمودتك أي حريص بدوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة))^(٥١٨).

والشح إذا استقر في النفس ولد فيها رفضاً للعطاء بكل أبعاده، وهو رفض شديد، لا تظهر إلا آثاره على شكل سلوك يعبر عن بخل، وحرص، ومنع للمعروف.

❖ شك:

الشك: الارتياب، وهو خلاف اليقين، ويُستعمل لازماً ومتعدياً بالحرف، فيقال شك الأمرُ يشك شكاً: إذا التبس، وشككت فيه، وهو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه أو رجح أحدهما على الآخر^(٥١٩).

والشك رفض نفسي لقبول عقيدة أو حكم، ولا يظهر الرفض النفسي إلا من خلال الإخبار عنه أو التعبير عنه .

استعمل القرآن الكريم لفظة (شك) بصيغة المصدر فقط خمس عشرة مرة، وفي كل المواضع سبقها حرف الجر (في) وفي أغلبها إخبار عن الشك كما في قوله تعالى: □ . . . وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ

١. ينظر مقاييس اللغة (شح): ١٧٨ / ٣، لسان العرب: ٢ / ٤٩٥، الفروق اللغوية: ١٤٤، المصباح: ١ / ٣٠٦.

٢. التحقيق: ٢٥ / ٦.

٣. سورة الحشر: ٩، وكذلك سورة التغابن: ١٦.

٤. التحقيق: ٢٥ / ٦.

٥. سورة النساء: ١٢٨.

٦. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ٤٢.

١. ينظر مقاييس اللغة (شك): ١٧٣ / ٣، المفردات: ٤٦١، المصباح المنير: ١ / ٣٢٠.

مُرِبٍ □ (٥٢٠)، أو تعبير عن وجود الشك في نفس المتكلم أو المتكلمين كما في قوله تعالى:

□ . . . وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِبٍ □ (٥٢١).

وعلى الرغم من التقارب الدلالي بين الشك والريب فإن ثمة فارق بينهما لأن ((الشك هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء وأما الريب فهو شك مع تهمة)) (٥٢٢).

والشك الوارد في القرآن الكريم هو شك الناس بالله ورأسله وتعاليمه وأحكامه، ولا يخفى أن وجود هذا الشك ((هو المانع للفرد عن الوصول إلى أي خير وكمال، سواء كان في المعارف الإلهية أو في مراحل السلوك وتهذيب النفس أو في الأحكام والوظائف الشرعية أو في الآداب العرفية: فإن حقيقة القاطعية والجد هي الإقدام والعمل والمجاهدة والحركة، كما أن الشك هو التوقف والتحير والسكون والاختلاف)) (٥٢٣).

والشك رفض ناتج عن غفلة وجهل إذا كان مانعاً عن الحقائق، وقولهم: □ . . . وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا

تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِبٍ □ (٥٢٤)، يعني إننا نرفض ما تدعوننا إليه بسبب عدم اقتناعنا بصحة ما تدعوننا إليه.

❖ شَمَز:

الشَّمَز: نفور النفس من الشيء تكرهه، واشمأز الرجل اشمنزازاً: انقبض، وقيل: دُعر من الشيء وهو المذعور، وقيل: اشمأزت، أي اقمشعت (٥٢٥).

والاشمنزاز رفض نفسي محله القلب لأنه ((انقباض مما لا يلائم بالشدة. ومن آثاره: النفور، الكراهة، الاقمشعار، الدُعر)) (٥٢٦).

جاءت هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: □ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ

قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ □ (٥٢٧)، والاشمنزاز: صادر عن إباء

شديد من نفوس كان ((برنامج معاشهم هو التعلق بالأسباب المادية والوسائل الطبيعية والأمور الدنيوية، وإنهم متوغلون في الشهوات النفسانية واللذات المحسوسة، وليس لهم من قول أو عمل أو رأي إلا فيما يتعلق بالحياة الدنيا)) (٥٢٨).

واشمنزاز القلوب أمر لا تُدرکه الحواس، بانته حقيقتته من خلال الإخبار عنه من لدن خبير

٢. سورة هود: ١١٠.

٣. سورة هود: ٦٢.

٤. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ١١٢٠.

٥. التحقيق: ١٢٨ / ٦.

٦. سورة هود: ٦٢.

١. ينظر الصحاح (شمز): ٣ / ٨٨١، التهذيب: ١١ / ٣٠٦.

٢. التحقيق: ١٣٨ / ٦.

٣. سورة الزمر: ٤٥.

٤. التحقيق: ١٣٩ / ٦.

بصير.

❖ شناً:

شناً يدل على البغضة والتجنب للشيء، وشننته أشنؤه: أبغضته، وشننته: تقدرته بغضاً له، والشانئ: المبغض^(٥٢٩).

وشناً رفض نفسي لأنها تقترب دلاليًا من بغض وكره واستنقذ وتجنب، فهو من أفعال القلوب لا تظهر إلا آثاره، ويُعرف أيضاً من خلال الإخبار بوجوده أو التعبير عنه.

استعمل القرآن الكريم هذه المادة ثلاث مرات، قال تعالى: □ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ

صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ... □^(٥٣٠)، وشنان قوم، أي بغضهم ((وفي التعبير بالصيغة (فعلان محرّكة) دلالة على الجريان كالحققان والجولان))^(٥٣١).

وقال تعالى: □ إِنْ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ □^(٥٣٢)، وشانئك أي مبغضك والذي يتجنب صحبتك ولا يحب سعة في أهلك.

❖ غضب:

غضب أصل يدل على شدة وقوة، والغضب اشتداد السخط، وقال غضب يغضب غضباً، وهو غضبانٌ وغضوبٌ^(٥٣٣).

والغضب فعل ناتج عن رفض نفسي للأمر الذي أثار الغضب، فهو حالة مقابلة للحلم وسكون النفس.

استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ بصيغ مختلفة، قال تعالى: □ ... وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَكَفَرَهُ .. □^(٥٣٤)، وفي ذلك إشارة إلى أن الخالق يغضب على الذين انتهجوا غير سبيل الحق

وعملوا بما لا يرضيه سبحانه، والغضب إذا كان شديداً ومستمراً ينتج عنه عقوبة على المغضوب

عليه، قال تعالى: □ ... فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ .. □^(٥٣٥)، وقد تهدأ ثورة الغضب في

النفس فلا يترتب على ذلك عقوبة، قال تعالى: □ وَكَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ

٥. ينظر مقاييس اللغة (شناً): ٣/ ٢١٧، التهذيب: ١١/ ٤٢١، المفردات: ٤٦٥، المصباح المنير: ١/ ٣٢٤.

٦. سورة المائدة: ٢.

٧. التحقيق: ٦/ ١٥١.

٨. سورة الكوثر: ٣.

٩. ينظر مقاييس اللغة (غضب): ٤/ ٤٢٨، المصباح المنير: ٢/ ٤٤٨.

١٠. سورة النساء: ٩٣.

١١. سورة الأنفال: ١٦.

الألواح .. □ (٥٣٦)، فالغضب تعبير صريح عن الرفض الشديد للفعل الصادر من المغضوب عليه، وإذا كان الغاضب ذا سلطة على المقابل سيوجه إليه نوع من أنواع العقوبة كلامية أو فعلية، إلا إذا تغلب على غضبه لسبب ما فألغى قرار العقوبة بقرار العفو، قال تعالى: □ ... وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ □ (٥٣٧).

والغضب وإن كان سلوكاً انفعالياً، إلا أنه يمكن أن يظهر على شكل أقوال تحمل الشدة والحدة، وإذا ما خرج الغضب عن الاعتدال ((يوجب تعدياً وحرَجاً وشتماً وضرباً وقتالاً كذلك في الحق وعلى الحق: يوجب آثاراً مقتضية)) (٥٣٨).

المبحث الثاني

الرفض القولي

أو الألفاظ التي تدل على الرفض القولي

❖ جادل:

الجدال هو إدامة الجدل وهو ((استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام)) (٥٣٩)، فهو كلام كثير بين طرفين اشتدت الخصومة بينهم لذلك قيل ((جادله أي خاصمه، مُجادلة وجدالاً، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة)) (٥٤٠)، وقد اتفق أهل اللغة على أن الجدل ناتج عن خصومة .

ولكن صاحب التحقيق يرى أن التطور الدلالي هو الذي أوجد ترابطاً وثيقاً بين الجدل والخصومة؛ لأن الأصل الواحد في هذه المادة ((هو الاستحكام في امتداد، سواء كان بطريق الفتل أو غيره، وسواء كان في الكلام أو في غيره، وسواء كان عن حق أو باطل وزور، وسواء كان في نفسه أو بمخاصمة ومقابلة، والمجادلة والجدال على مقتضى صيغة المفاعلة تدلّ على إدامة الجدل،

٥. سورة الأعراف: ١٥٤.

٦. سورة الشورى: ٣٧.

٧. التحقيق: ٧ / ٢٨٤.

١. مقاييس اللغة (جدل): ٤٣٤ / ١.

٢. الصحاح: ٤ / ١٦٥٣، وينظر المصباح المنير: ١ / ٩٣.

وتطلق في الغالب على تحكيم الكلام وإدامته في مقام الخصومة والغلبة على الطرف المقابل حتى يمنع عن ظهور الحق))^(٥٤١)، فالأصل اللغوي لهذه المادة من ((جَدَلْتُ الحبل: أي أحكمت فتله .. وجدلت البناء: أحكمته ... فكان المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدل: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة))^(٥٤٢).

والمتتبع لهذه اللفظة في الآيات الكريمت يلاحظ أن دلالة الجدل تُشير إلى وجود خلاف بين المتجادلين - في أقل تقدير - إن لم تكن بينهم خصومة، وفي كل الأحوال يُعد الجدل من الأفعال التي تعكس رفضاً قوياً لما يُظهره الطرف الآخر من قول أو عمل، ويتحمل السياق مسؤولية تحديد درجة الرفض .

ويكون الجدل مذموماً إذا صدر عن تعصب أو جهل، فمثال ما صدر عن تعصب، قوله تعالى:

□ ... وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ... □^(٥٤٣) ، وما صدر عن جهل كما في قوله تعالى: □ وَمَنْ

النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... □^(٥٤٤)، ويكون ممدوحاً إذا صدر عن علم وأدى إلى نتائج طيبة

كما في قوله تعالى: □ ... وَجَادَلْتُمْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ ... □^(٥٤٥).

❖ ذم:

الذم خلاف الحمد، وذميم ومذموم، أي غير محمود، وذمٌّ يذمُّ ذمّاً: وهو اللوم في الإساءة ومنه التذمُّ، ويُسمى العهد ذمّاماً: لأن الإنسان يُذمُّ على إضاعته منه^(٥٤٦).

والذم قول ناتج عن رفض نفسي، فهو مرتبة شديدة من اللوم، وكل مذموم مرفوض .

لم يأت هذا اللفظ بصيغته الفعلية في القرآن الكريم، بل جاء بصيغة اسم المفعول ثلاث مرات،

قال تعالى: □ ... أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لِنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ □^(٥٤٧)، وقال تعالى: □ مَنْ كَانَ

يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَذْحُوماً □^(٥٤٨)، أي ((يُذمُّ عليه

ويلام من جهة سوابقه وأعماله السيئة، ويُبعد عن مقام الرحمة على سبيل الإهانة))^(٥٤٩)، والآية

الكريمة تُظهر شدة الرفض الإلهي لنموذج الإنسان الذي (يُريد العاجلة) فقوله تعالى: (جعلنا له

جهنم) إشارة إلى الرفض من خلال أسلوب الترهيب، ثم قوله: (يصلها مذموماً) ترهيب أكبر، لأن

الإهانة عن طريق الذم تكون أشد وقعاً من التعذيب الجسدي، وجاءت كلمة (مدحورا) لتزيد من شدة

الترهيب .

❖ زجر:

٣. التحقيق: ٧٦ / ٢.

٤. المفردات: ١٨٩ - ١٩٠.

٥. سورة غافر: ٥، وكذلك سورة الكهف: ٥٦، وسورة غافر: ٤، سورة الشورى: ٣٥، وغيرها.

١. سورة الحج: ٣، وكذلك سورة الحج: ٨، وسورة لقمان: ٢٠، وسورة غافر: ٣٥، ٥٦، وغيرها.

٢. سورة النحل: ١٢٥، وكذلك سورة العنكبوت: ٤٦.

٣. ينظر مقاييس اللغة (ذم): ٣٤٥ / ٢، التهذيب: ٤١٥ / ١٤، المصباح المنير: ٢١٠ / ١.

٤. سورة القلم: ٤٩.

٥. سورة الأسراء: ١٨.

٦. التحقيق: ٣٥٧ / ٣.

زجر: كلمة تدلّ على الانتهاز، يقال زجرته زجراً: منعته، والزجر: طرد بصوت، ومن المجاز: زجر الراعي الغنم: صاح بها، وكررت على سمعه المواعظ والزواجر، وكفى بالقرآن زاجراً^(٥٥٠)، ((والزاجر: واعظ في قلب المؤمن، وهو النور المقذوف فيه، الداعي له إلى الحق))^(٥٥١).

والزجر من الأفعال القولية التي تعبر عن رفض الزاجر لعمل المزجور لأنه يدل على ((المنع عن عمل بواسطة الكلام والبيان، أي كلام مبين يمنع فاعل عمل عن عمله))^(٥٥٢).

قال تعالى: □ وكذّبوا ما فيه مُزْدَجِرٌ □^(٥٥٣)، أي جاء المكذبين من الأمم الماضية ما فيه ((واعظ لهم عن التمادي في الكفر والضلال))^(٥٥٤)، و((طرد ومنع عن ارتكاب المآثم))^(٥٥٥).

وقال تعالى: □ كذّبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبداً وقالوا مجنوناً وزدجراً □^(٥٥٦)، وأزدجر فعل مبني للمجهول من الماضي، أي ((ازدجره الناس ووقع في مورد زجرهم، فهم يزجرونه في أعماله وسلوكه))^(٥٥٧).

وقال تعالى: ٧ □ أنذا كنا عظماً نخرية * قالوا تلك إذا كبراً خاسرة * فإنما هي نرجرة واحدة * فإذا هم

بالساهرة □^(٥٥٨)، والزجرة هي المعبر عن الرفض لأن ((الزجر هو الكلام المشعر بالمنع، وهذا المعنى يشمل الصيحة الشديدة والخطاب ذا حدة وشدة في مقام إيجاد تحوّل وانقلاب))^(٥٥٩).

❖ عتب:

عتب عليه عتياً: لامه في تسخط، فهو عاتب، وأصل العتب بعض الصعوبة من كلام أو غيره، والعتب: الموجدة، تقول عتب فلان على فلان عتياً ومعتبة: إذا وجد عليه، والعتبي: أسم على فُعلَى، يوضع موضع الإعتاب، وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب^(٥٦٠).

و(عتب) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً عن طريق الأقوال لأنه ((توجيه قول إلى شخص بعنوان لوم وذم على ما صدر منه، بالشدة والغلظة))^(٥٦١).

وردت هذه اللفظة خمس مرات في القرآن الكريم، مرة بصيغة (يُستعتبون) ومرة بصيغة اسم

المفعول (المعتبين)، قال تعالى: □ ... وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ □^(٥٦٢)، والاستعتاب بالنسبة

٧. ينظر مقاييس اللغة: ٣ / ٤٧، المفردات: ٢٨٠، المصباح المنير: ١٧٨.

٨. التعريفات: ٦٧.

٩. التحقيق: ٤ / ٣٢٧.

١. سورة القمر: ٤.

٢. صفوة التفاسير: ٣ / ٢٨٤.

٣. المفردات: ٣١٠.

٤. سورة القمر: ٩.

٥. التحقيق: ٤ / ٣٢٨.

٦. سورة النازعات: ١١ - ١٤.

٧. التحقيق: ٤ / ٣٢٩.

٨. ينظر مقاييس اللغة (عتب): ٤ / ٢٢٥، التهذيب: ٢٧٧، ٢، المصباح المنير: ٢ / ٣٩١.

٩. التحقيق: ٨ / ٢٥.

١٠. سورة فصلت: ٢٤.

إلى النفس ((هو جعل النفس في مورد لوم على عمله، وطلبه من نفسه أن يلومه عليه، وهذا المعنى مرجعه إلى الرجوع والتوبة والتنبه وكونه مريضاً، وأما طلب العتاب من الغير: فهو من لوازم التنبه والرجوع في نفسه))^(٥٦٣).

المبحث الثالث

الأفعال التي تجسد الرفض

❖ **أبي:**

الإباء بالكسر: من أبي يأبى أي امتنع و ((أبى الشيء يأباه إباءً وإبائةً: كرهه))^(٥٦٤)، والإباء: شدة الامتناع، ((فكل إباءٍ امتناع وليس كل امتناع إباءً))^(٥٦٥).

وعلى الرغم من تفسير معنى (أبى) بـ (كره) عند بعض اللغويين، فإن أبا هلال العسكري يضع فرقا بين المعنيين، فيقول: ((الإباء هو أن يمتنع، وقد يكره الشيء من لا يقدر على إباته، وقد

١١. التحقيق: ٢٥ / ٨ .

١. لسان العرب مادة (أب): ٤ / ١٤، وينظر القاموس المحيط مادة (أبى): ٤ / ٢٩٨ .

٢. المفردات: ٥٨ .

رأيانهم يقولون للملك: أبيتَ اللعنَ، ولا يعنون أنك تكره اللعن لأن اللعن يكرهه كل أحد، وإنما يريدون أنك ممتنع من أن تلعن وتشتتم لما تأتي من جميل الأفعال، وقال تعالى: □ ... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَمَّ نَوْمَهُ ...

□ (٥٦٦)، أي يمتنع من ذلك، ولو كان الله يأبى المعاصي كما يكرهها لم تكن معصية ولا عاصي (٥٦٧).

وأيد هذا الكلام الطوسي بقوله: ((وليس الإباء بمعنى الكراهة، لأن العرب تمتدح بأنها تأبى الضيم ولا تمتدح في كراهة الضيم، وإنما المدح في المنع)) (٥٦٨).

ولهذا جمع المتأخرون بين المعنيين بقولهم: ((أبى الشيء يأباه ويأبئ به وإبءاً: امتنع عن كراهة له وعدم رضاه به)) (٥٦٩).

وأخذت هذه اللفظة دلالة جديدة في القرآن الكريم وبخاصة عند ورودها في مواطن إباء الأوامر الإلهية، يقول الخليل: ((أبى فلان يأبى إباءً، أي ترك الطاعة ومال إلى المعصية، قال تعالى عز وجل: □ ... فَكَذَّبَ وَأَبَى □ (٥٧٠)) (٥٧١).

وفسر بعضهم (أبى) بـ (ترك) يقول الخليل: ((كل من ترك أمراً وردّه فقد أبى)) (٥٧٢)، وقال الطوسي: ((الإباء والامتناع والترك بمعنى واحد)) (٥٧٣).

ونعتقد بأن (أبى) تجمع في حقيقتها كل معاني الامتناع والكراهة والترك المتعمد، فتفسيرها بواحد من هذه المعاني لا يعطيها حقها لأنها مشتملة على الكل .

وتتجلى كل هذه المعاني في الفعل (أبى) الوارد في قوله تعالى: □ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ □ (٥٧٤)، فلفظة (أبى) تحمل كل معاني الامتناع والكراهة والترك المتعمد للفعل فهو رفض شديد يجسده عدم الاستجابة للأمر مع وجود القدرة على الاستجابة، وقد شرح هذا الفخر الرازي بقوله: ((إن الله تعالى لما استثنى إبليس من الساجدين فكان يجوز أن يظن أنه كان معذوراً في ترك السجود، فبين تعالى أنه لم يسجد مع القدرة وزوال العذر بقوله (أبى) لأن الإباء هو الامتناع مع الاختيار، أما من لم يكن قادراً على الفعل فلا يقال له: إنه أبى)) (٥٧٥).

وركز بعض المفسرين على المعنى اللغوي لهذه اللفظة فقالوا إنها تعني: ((امتنع من فعل ما أمر به)) (٥٧٦)، أو ((امتنع وأنف من السجود لآدم)) (٥٧٧).

٣. سورة التوبة: ٣٢.
٤. الفروق اللغوية: ١٠٤.
٥. التبيان: ١/ ١٤٨.
٦. معجم الألفاظ، مجمع اللغة: ٥/١.
٧. سورة طه: ٥٦.
٨. العين: ٤١٨/٨، وينظر الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٢١١.
١. العين: ٤١٨/٨.
٢. التبيان: ١/ ١٤٨.
٣. سورة البقرة: ٣٤.
٤. التفسير الكبير: ٢/ ٢٣٥.
٥. الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥.
٦. البحر المحيط: ١/ ١٥٣.

وقال تعالى: □ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا... □ (٥٧٨).

وإذا كان الفعل (أبى) يحمل معنى الرفض دائماً فإن الفخر الرازي يوضح لنا الفرق الدلالي بين أبى في آية السجود وأبى في هذه الآية، وهو بذلك يستعين بالسياق وما يحمله من قرائن مادية ومعنوية في توجيه المعنى، يقول: ((لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: □ ... أبى أن

يَكُونَنَّ مَعَ السَّاجِدِينَ □ (٥٧٩)، من وجهين:

أحدهما: أن هناك السجود كان فرضاً، وهاهنا الأمانة كانت عرضاً.
وثانيهما: أن الإباء كان هناك استكباراً، وهاهنا استصغاراً، استصغرن أنفسهن بدليل قوله:

□ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا □ (((٥٨٠).

ولأن الذي يأبى يجب أن يمتلك مواصفات معينة تميزه عن الممتنع والتارك وغيره لذلك قيل: ((يتضمن (الإباء) قوة في اتخاذ الموقف لا يتضمنها الترك والامتناع، ولذلك استعملها القرآن الكريم... في الموارد التي يحتاج اتخاذ القرار فيها إلى قوة كبيرة، من مثل إباء إبليس السجود لآدم، وإباء أكثر الناس إلا الكفر، وإباء حمل الأمانة من قبل السماوات والأرض، وإباء قلوب المنافقين الإيمان، وإباء الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فالساق فيها جميعاً سياق تحدٍ، سياق دالّ على أن المتحدي لم يستطع أن يصل إلى ما وصل إليه إلا بقوة هائلة يمتلكها أو يتوهم أنه يمتلكها، ولذا ارتبط بـ (استكبر) مرة، وبـ (إلا) المفيدة للحصر والقصر أخرى، وبـ (التكذيب) ثالثة، وهكذا في المواضع الأخرى، وعلى هذا تتكون عندنا معادلة دلالية لغوية هي:

□ (أبى = ترك + امتنع + رفض + قوة ذاتية تؤدي إلى اتخاذ الموقف + قناعة كاملة تتغلغل في المتخذ للموقف) □ (٥٨١).

❖ ترك:

الترك في اللغة هو التخلية عن الشيء (٥٨٢)، والترك عند العرب (تخليف الشيء في المكان الذي هو فيه والانصراف عنه) (٥٨٣).

وتأتي (ترك) بمعنى (رفض)، وهذا ما أشار إليه الراغب الأصفهاني بقوله: ((ترك الشيء: رَفَضَهُ قِصْداً وَاخْتِياراً أَوْ قَهراً وَاضْطِراراً، فَمِنَ الْأَوَّلِ: □ وَتَرَكَنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ... □ (٥٨٤)، وَمِنَ الثَّانِي: □ كَدُّ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ... □ (٥٨٥)، وَمِنْهُ تَرَكَتُ فَلَانَ لَمَّا يُخَلِّفُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ)) (٥٨٦).

٧. سورة الأحزاب: ٧٢.

٨. سورة الحجر: ٣١.

١. التفسير الكبير: ٢٥ / ٢٣٥.

٢. المعجم في لغة القرآن الكريم: ١ / ١٨٩ - ١٩٠.

٣. ينظر لسان العرب مادة (ترك): ١٠ / ٤٠٥، ومقاييس اللغة: ١ / ٣٤٥.

٤. الفروق اللغوية: ٩١.

٥. سورة الكهف: ٩٩.

٦. سورة الدخان: ٢٥.

٧. المفردات: ١٦٦.

وأصل الترك في اللغة هو مغادرة الشيء ومفارقتة، ثم تطورت دلالاتها عندما استعملت في ترك الأشياء المعنوية، ومن خلال هذا التطور امتلكت في إحدى معانيها معنى الرفض، وقد أشار الفيومي إلى هذا التطور بقوله: ((تركت المنزل تركاً: رحلتُ عنه، وتركتُ الرجل: فارقتُه، ثم استعير للإسقاط في المعاني، ف قيل: ترك حقه، إذا أسقطه، وترك ركعة من الصلاة: لم يأت بها...)) (٥٨٧)

وبهذا اختلف معنى (ترك) باختلاف السياق الواردة منه، وإن كان منبثقاً من ((التخليّة والانصراف)): ((يقال: ترك فلاناً أو مذهب فلان: إذا صد عنه وانصرف، ويقال: ترك فلان مالا، أي مات عنه وخلفه من بعده، ويقال: قطع الشجر وترك النخل مثلاً: أي خلاه على حاله فأبقاه...)) (٥٨٨)

وعليه ستكون هنالك معانٍ لـ (ترك) غير داخلة في موضوع الرفض، كما في قوله تعالى:

□ **وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثَاقَ بَيْتِنَا لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ** □ (٥٨٩)، فتركنا هنا تعني أبقينا (٥٩٠).

وتتركز معاني الرفض في (ترك) عندما تتعلق بفكر أو مذهب أو عقيدة، فالتارك لها - لاسيما إن كان قاصداً - فهو رافض على وجه الإجمال، يتجلى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى على لسان النبي يوسف (عليه السلام): □ ... إني تركتُ ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون □ (٥٩١)، فقد قال عنها المفسرون إنها تعني: ((إني رفضتُ ملة أولئك)) (٥٩٢)، أو ((إني برئت من ملة من لا يصدق بالله...)) (٥٩٣).

وقريب من ذلك قوله تعالى: □ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ**

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ □ (٥٩٤)، و (ترك) هنا تشير إلى ابتعاد معنوي وليس ابتعاداً مادياً للأصنام التي يعبدونها (٥٩٥).

ويأتي أحياناً الترك نتيجة للرفض، ويكون المتروك هنا شخصاً أو جماعة صدر عنهم فعلٌ غير مرضٍ فتركوا، كما في قوله تعالى: □ **مَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ □ (٥٩٦)، يبين لنا الإمام الرضا (عليه السلام) حقيقة الترك الوارد في هذه الآية بقوله: ((إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن

٨. المصباح المنير: ١ / ٧٤.

١. معجم الألفاظ، مجمع اللغة: ١ / ١٥٥.

٢. سورة العنكبوت: ٣٥. وكذلك ينظر سورة القمر: ١٥.

٣. الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ١٢٦.

٤. سورة يوسف: ٣٧.

٥. الكشاف: ٢ / ٣٢٠.

٦. جامع البيان: ١٢ / ٢١٧.

٧. سورة هود: ٨٧.

٨. ينظر: سورة هود: ٥٣.

٩. سورة البقرة: ١٧.

الكفر والضلالة فمنعهم المعاونة واللطف، وخلا بينهم وبين اختيارهم))^(٥٩٧)، فتكون (تركهم) بمعنى تخلى عنهم بعدم مد يد العون والمساعدة بسبب أعمالهم المرفوضة .

ومنع الزمخشري هذا اللفظ معنىً جديداً في هذا السياق فقال: إن (ترك) تعطي معنى عندما تأخذ مفعولاً واحداً، وتعطي معنىً آخر، عندما تتعدى لمفعولين، يقول: ((ترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد ... فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى (صير) فيجري مجرى أفعال القلوب ومنه قوله

تعالى: **﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾**)^(٥٩٨)، وقد أيدَّ بعض المفسرين هذا الرأي فقال إن الترك بمعنى

الجعل، إلا إن آخرين رفضوا هذا التوجيه وأبقوا لـ (ترك) معناها الأصلي، يقول السيد الطباطبائي

في تفسير قوله تعالى: **﴿ وَتَرَكَنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾** ... **﴿ ﴾**^(٥٩٩)، يقول: ((إن الترك في

الآية بمعناه المتبادر منه، وهو خلاف الأخذ، ولا موجب لما ذكره بعضهم: أن الترك بمعنى الجعل، وهو من الأضداد))^(٦٠٠).

يتبين مما تقدم إن تحديد الدلالة الدقيقة لـ (ترك) مقرون بالسياق، فهو الذي يرسم ملامحها

الدلالية لأنها تأتي أحياناً بمعنى (تخليف الميت إرثاً) كقوله تعالى: **﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ**

وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ ... **﴿ ﴾**^(٦٠١)، وتأتي أحياناً بمعنى (إبقاء شيء) كقوله تعالى: **﴿ وَكَلِمَاتٍ لِّتُؤَاخِذَ بِهِ الْوَالِدَانِ**

وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ ... **﴿ ﴾**^(٦٠٢)، وأحياناً تأتي بمعنى (عدم المواخذه) كقوله تعالى:

﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْكَ سُدًى ﴾^(٦٠٣)، وتأتي أحياناً بمعنى رفض عمل أو شيء أو شخص كقوله

تعالى: **﴿ وَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكَتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى**

مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُ الَّذِينَ نَزَعْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ ﴾ ... **﴿ ﴾**^(٦٠٤)^(٦٠٥)، وهي بذلك تُضمَّن معنى

الرفض في بعض الأحيان، وتبتعد عن هذا السياق أحياناً أخرى.

❖ **جَنِبَ**

من أفعال الرفض الاجتناب وهو من ((جَنِبَ الشَّيْءَ وَتَجَنَّبَهُ وَجَانِبَهُ وَاجْتَنَبَهُ بَعْدَ عَنِّهِ))

^(٦٠٦)، و ((تجنبه غيره إذا منعه إياه))^(٦٠٧).

(واجتنب) تحمل معنى الرفض صراحة، لأن اجتناب الشيء لا يكون إلا بالابتعاد عنه وعمّا

١٠. البرهان، البحراني: ٦٥ / ١، وينظر التبيان: ٩٥ / ٧.

١. الكشاف: ٢٠١ / ١.

٢. سورة الكهف: ٩٩.

٣. الميزان: ٢٦٦ / ١٣.

٤. سورة النساء: ٧.

٥. سورة فاطر: ٤٥.

٦. سورة القيامة: ٣٦.

٧. سورة الأنعام: ٩٤.

٨. ينظر المعجم في فقه لغة القرآن الكريم: ٧٥٧ / ٧.

٩. لسان العرب مادة (جنب): ٢٧٨ / ١.

١٠. جامع البيان: ٨٠ / ٥.

يُقَرَّب إليه ابتعاداً مقصوداً، فهو من الأفعال التي تُجسد رفضاً نفسياً.

و (اجتنب) أقوى من (ترك) في دلالتها على الابتعاد عن الشيء، لأن أصل الترك لا يكون إلا بعد مقارنة أما الاجتناب فهو محاولة عدم الاقتراب ابتداءً .

وقد جاء هذا الفعل في القرآن الكريم بصيغته الثلاثة الماضي والمضارع والأمر، إلا إن السياق يحمل دائماً حثاً على اجتناب ما أمرت الشريعة اجتنابه من الأمور التي تشكل خطراً على مسيرة الإنسان في حياته الدنيا وفي الآخرة مثل: الكبائر^(٢٠٨)، وعبادة الأصنام^(٢٠٩)، والطاغوت^(٢١٠)، والخمر^(٢١١)، والإثم والفواحش^(٢١٢)، والنار^(٢١٣)، وغيرها.

قال تعالى: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا . . . ^(٢١٤)، ف (اجتنبوا) ((عبارة عن تركهم

إياه))^(٢١٥)، وقوله تعالى: . . . مَرَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ^(٢١٦)، ((وذلك أبلغ من قولهم: اتركوه))^(٢١٧)، لأن المجانبية تعني ((كونوا في جانب غير جانبه))^(٢١٨)، أي ابتعدوا عنه وعن مسبباته قدر ما تستطيعون.

والاجتناب في حقيقته ابتعاد معنوي، وإن كان الابتعاد المادي أحد مقدماته، و (اجتنبوا) في القرآن الكريم تحقق معنى النهي، بل تكون دلالتها أقوى من (لا) الناهية، التي يعمل السياق أحياناً على أضعافها فيحول دلالتها من (التحريم) إلى (النصيحة)، أما (اجتنبوا) فإنها تأتي لغرض (التحريم) دائماً.

❖ جحد

جَحَدَ جحوداً وجحداً، والجحود: ((نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه))^(٢١٩)، فهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد بصحته، فهو الإنكار مع العلم^(٢٢٠)، ويؤيد هذا قوله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ . . . ^(٢٢١).

١. ينظر سورة النساء: ٣١، وسورة الشورى: ٣٧ .
٢. ينظر سورة ابراهيم: ٣٥، وسورة الحج: ٣٠ .
٣. ينظر سورة النحل: ٣٦، وسورة الزمر: ١٧ .
٤. ينظر سورة المائدة: ٩٠ .
٥. ينظر سورة الشورى: ٣٧، وسورة النجم: ٣٢ .
٦. ينظر سورة الليل: ١٧ .
٧. سورة الزمر: ١٧ .
٨. المفردات: ٢٠٦ .
٩. سورة المائدة: ٩٠ .
١٠. المفردات: ٢٠٦ .
١١. معاني القرآن، النحاس: ٣٠٤ / ١ .
١. المفردات: ١٨٧ .
٢. لسان العرب مادة (جحد): ١٠٦ / ٣، ومقاييس اللغة: ١ / ٢٦٤ .
٣. سورة النمل: ١٤ .

فالجحود من أفعال الرفض، لأن الجاحد يُظهر رفضاً قوياً، ولا يُظهر التجاوب المطلوب وإن كان قلبه مُخالفاً لظاهره، فيقال: ((رجل جَحِدٌ: شحيح قليل الخير يُظهر الفقر، وأرض جَحْدَةٌ: قليلة النبت))^(٦٢٢)، فالمنتظر من الجاحد غير ذلك، لكن رفضه للمعروف أو للحق يجعله في هذا الموضع. وقد جاء هذا الفعل في القرآن الكريم يصف الكفار، لأنهم جحدوا بآيات الله، كما في قوله تعالى: □ وَتِلْكَ آيَاتُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ... □^(٦٢٣)، وذلك يعني أنهم ((أنكروا آياته في الأنفس والأفانق الدالة على وحدانيته))^(٦٢٤)، وإذا فسر (الجحد) بـ (الإنكار) فإن ثمة فارقاً دلاليّاً بينهما وإن اقتربا في المعنى لأن ((الجحد أخص من الإنكار وذلك لأن الجحد إنكار الشيء الظاهر، والشاهد قوله تعالى: □... بآياتنا يجحدون □^(٦٢٥)، فجعل الجحد ما تدل عليه الآيات ولا يكون إلا ظاهراً، وقال تعالى: □ يَمُرُّونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُكِّرُونَ بِهَا... □^(٦٢٦)، فجعل الإنكار للنعمة لأن النعمة قد تكون خافية، ويجوز أن يقال الجحد هو إنكار الشيء مع العلم به))^(٦٢٧).

ويلاحظ في القرآن الكريم ذكر لبعض مقدمات الجحود أو الأسباب المؤدية إليه، كما أن هنالك ذكراً لبعض الأخلاق أو السلوك الناتج عنه، فمن الأخلاق التي تقود إلى جحود الحق الظلم والتكبر، قال تعالى: □ وَجَحْدُوا بِهَا وَاسْتَيْفَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا... □^(٦٢٨)، ومن أسبابه الغدر والكفر، في قوله تعالى: □... وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ □^(٦٢٩)، ومن نتائج الجحود بآيات الله، العصيان وارتكاب المعاصي، قال تعالى: □ وَتِلْكَ آيَاتُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ... □^(٦٣٠). ومن الجدير بالملاحظة أن مقدمات الجحود ونتائجها كلها أفعال داخلية في دائرة الرفض، والجحود في القرآن الكريم واقع على آيات الله غالباً، ومرة واحدة وقع على نعمة الله^(٦٣١)، وبذلك يكون الجحود ((من مراتب الكفر، بل الجحود بمعناه العام يشمل جميع مراتب الكفر: من الجحود بالله تعالى، وبالرسالة، والوصاية، والقيامة، والآيات والنعم الإلهية))^(٦٣٢).

❖ بخل:

بَخِلَ بَخْلاً وَبُخْلاً مِنْ بَابِ تَعَبَ وَقُرْبَ ((والبخل في الشرع منع الواجب، وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده، و (أبخلته) بالالف وجدته بخيلاً))^(٦٣٣). والبخل من الأفعال الدالة على الرفض فهو رفض الإعطاء لأن البخل ((إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال بَخِلَ فهو باخل، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالرحيم

٤. المفردات: ١٧٨.

٥. سورة هود: ٥٩.

٦. صفوة التفاسير: ٢٢ / ٢.

٧. سورة فصلت: ١٥.

٨. سورة النحل: ٨٣.

٩. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ٢٨ - ٢٩.

١٠. سورة النمل: ١٤.

١١. سورة لقمان: ٣٢.

١٢. سورة هود: ٥٩.

١. ينظر سورة النحل: ٧١.

٢. التحقيق: ٦٨ / ٥.

٣. المصباح المنير: ٣٨ / ١.

من الراحم))^(٦٣٤)، وبخل يتعدى بـ (على) إذا ضُمنَ معنى شح، وبـ (عن) إذا ضمن معنى أمسك^(٦٣٥).

والبخل في أصله مستقره النفس، لكنه يتجسد بالأفعال من خلال المنع، لأن ((الأصل الواحد في المادة: هو التمني بأن لا يُعطى أحد شيئاً سواه))^(٦٣٦).

وقد فرق الفخر الرازي بين شعور النفس بالبخل والمنع المترتب على ذلك الشعور لقوله: ((البخل: هو نفس المنع، والشح: الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع))^(٦٣٧).

وقد جاءت في قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ... ^(٦٣٨)، أي أمسكوا ومنعوا إعطاء ما عندهم من فضل الله.

وإذا اشتد البخل عند الإنسان تمنى أن تعدم حالة البخل في المجتمع وهذا ما قال عنه الراغب بأنه

((بخل بقتيات غيره، وهو أكثر ذمًا))^(٦٣٩)، ورد ذلك في قوله تعالى: الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

بِالْبُخْلِ... ^(٦٤٠)، أي يأمرهم بغيرهم بترك الإنفاق^(٦٤١).

والبُخل من الأخلاق المرفوضة شرعاً و عرفاً، وقد أوضح الشرع رفضه لهذا الخلق من خلال

بيان عاقبته، قال تعالى: ... وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَن نَّفْسِهِ... ^(٦٤٢)، لأن من نتائج البخل أن

((يُمسِك عن نفسه ويمنع عن إدامة فضل الله تعالى عليه))^(٦٤٣)، وكذلك في قوله تعالى:

... سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ... ^(٦٤٤).

وهذه عاقبة البُخل في الآخرة بعدما بينت الآية السابقة عاقبته في الدنيا، فالآية الكريمة تصوّر تحول النعم الإلهية في الدنيا إلى نقمة وعذاب في الآخرة بعد تقصير أصحابها في أداء حقها.

❖ بطش:

البطش هو الأخذ بعنف^(٦٤٥)، أو ((أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة))^(٦٤٦)، وقد اعترض

المصطفوي على تقيد البطش بالأخذ فقال: إن البطش ((هو عمل بسطوة وقهر، بأخذ أو بغيره... فالبطش هو العمل بالقهر والصولة والشدة، ومفهومه أعم من الأخذ))^(٦٤٧).

ويصدر البطش من الخالق سبحانه ولا يكون في ذلك ظلم لأنه لا يكون إلا في مورد المقتضي

٤. المفردات: ١٠٩.

٥. ينظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: ٨٩ / ٤.

٦. التحقيق: ٢٤٤ / ١.

٧. التفسير الكبير: ٢٩ / ٢٨٨.

٨. سورة التوبة: ٧٦.

٩. المفردات: ١٠٩.

١٠. سورة النساء: ٣٧.

١١. ينظر صفوة التفسير: ٣ / ٢٧٥.

١. سورة محمد: ٣٨.

٢. التحقيق: ٢٤٥ / ١.

٣. سورة آل عمران: ١٨٠.

٤. ينظر الصحاح: ٣ / ٩٩٦، المصباح المنير: ١ / ٥١.

٥. مقاييس اللغة (بطش): ١ / ٢٦٢.

٦. التحقيق: ٣١٢ - ٣١٣.

له، وإن وقع فلا رادَّ له لأنه كما وصفه سبحانه في قوله تعالى: □ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (٦٤٨).

كما يصدر البطش من المخلوق ويقترن بالظلم غالباً، والدليل على ذلك قوله تعالى: □ وَإِذَا

بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ □ (٦٤٩).

والبطش لا يكون إلا من رفض؛ لأن الفاعل له وقع في نفسه رفضٌ شديد للمفعول، فاستعمل سطوته وقوته بعمل يحمل معاني العنف لردع الذين بطش بهم .

❖ جزع:

الجزع ضد الصبر، ((جزع يجزع جزعاً فهو جازعٌ وجزعٌ وجزعٌ وجزوعٌ، والجزوع ضد الصبور على الشر)) (٦٥٠)، وأصل الجزع الانقطاع فمن جزع وادياً قطعه إلى الجانب الآخر (٦٥١)، ((والجزع: أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام والجزع هو: حزنٌ يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصل الجزع: قطع الحبل من نصفه)) (٦٥٢).

وبين أصل الدلالة وتطورها رابط يتجلى في محافظة (الجزع) على معنى (القطع) لأنه عندما أطلق على ما يخالف الصبر لأنه عبارة عن ((قطع امتداد السكون وحالة الطمأنينة والصبر، حتى يظهر ما يخالف السكون وينقطع حالة الممتد تقديراً)) (٦٥٣). والجزع لا يصدر إلا من رافض للحالة التي وصل إليها، إلى الحد الذي تظهر علامات الرفض عليه من خلال حالة الأثر والاضطراب التي تنتابه.

جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرتين، الأولى بصيغة الفعل في قوله تعالى: □ ... سَوَاءٌ

عَلَيْكَ أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا ... □ (٦٥٤)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الجزع والصبر ضدان قائمان في موضوع التقابل الدلالي.

وجاءت بصيغة الاسم عندما وقعت حالاً في قوله تعالى: □ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعاً □ (٦٥٥)، ومن طبيعة الإنسان رفضه النفسي لـ (الشر) بكل صورته، إلا أنه مأمور بالصبر، لكنه أحياناً ((يقطع امتداد جريان طمأنينته وثباته وصبره، ويظهر من نفسه الجزع، فالجزع ما يُقطع به الثبات والصبر)) (٦٥٦).

❖ جفا:

جفا يجفو جفاءً: ارتفع، ويقال: جفا السرجُ عن ظهر الفرس ((من ذلك جفوت الرجل أجفوه، وهو ظاهر الجفوة أي الجفاء ... وكذلك كل شيء إذا لم يلزم شيئاً، يقال جفا عنه يجفو، والجفاء

٧. سورة البروج: ١٢.

٨. سورة الشعراء: ١٣٠.

١. لسان العرب: ٤٧ / ٨.

٢. ينظر لسان العرب: ٤٨ / ٨، ومقاييس اللغة (جزع): ٤٥٣ / ١، والمصباح المنير: ٩٩ / ١.

٣. المفردات: ١٩٤ - ١٩٥.

٤. التحقيق: ٩٦ / ٢.

٥. سورة ابراهيم: ٢١.

٦. سورة المعارج: ١٩ - ٢٠.

٧. التحقيق: ٩٧ / ٢.

خِلاف البرِّ، والجُفَاء: ما نفاه السَّيْلُ، ومنه اشتقاق الجُفَاء))^(٦٥٧)، وتجاوَى جَنَّبَهُ عن الفراش أي نبا^(٦٥٨)، وأصل الجُفَاء ((ما يرمي به الوادي أو القدر من الغناء إلى جوانبه، يقال: أجفأت القدرُ زبدها: ألقته، إجفاءً، وأجفأت الأرض: صارت كالجُفَاء في ذهاب خيرها))^(٦٥٩).
 و(جفا) من الأفعال التي تصوّر رفضاً لحالة الاستقرار التي يقرّها العُرف، كاستقرار السّرج على ظهر الفرس، واستقرار النائم في فراشه، واستقرار الزبد في أعالي السَّيْل، واستقرار الإنسان على حالة التواصل والبر مع الذين ينتظرون منه ذلك.

جاءت هذه المادة بصيغة الفعلية في القرآن الكريم، في قوله تعالى: □ تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... □^(٦٦٠)، وكأن (جنوبهم) ترفض الاستقرار على الفراش فترتفع وتنبو وتنحى عنه ((والتعبير بصيغة تفاعل: للإشارة إلى إدامة النبوة والتنحي في ليالي السنة))^(٦٦١)، لأن صيغة (تتفاعل) تحمل دلالة تكرار الفعل واستمراره.

وبذلك يمكن أن نقول إن (الجفاء) هو الابتعاد عن شيء أو عن حالة يقتضي الأصل البقاء معها، وهو بذلك يقترب بعض الشيء من (الظلم) إلا ان هنالك ثمة فرقاً بين الاثنين لأن ((الجفاء أمر عديمي خاصّ يستلزم وقوع الظلم، بخلاف الظلم فإنه أمر وجودي))^(٦٦٢).

❖ جمع:

يُقال جَمَعَ الفرسُ، فهو فرسٌ جَمُوحٌ، ((وجَمَعَتِ المرأةُ من زوجها: وهو خروجها من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها... والجَمُوحُ من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده... وجَمَحَ: أي أسرع))^(٦٦٣)، وأصله ((في الفرس إذا غلب فارسه بنشاطه في مروره وجريانه، وذلك أبلغ من النشاط والمرح))^(٦٦٤).

وتبقى (جمع) تعني خروج عن دائرة الطاعة من غير إذن، وهي من نتائج الرفض النفسي للبقاء، ومن انعكاساته السلوكية المُجسّدة له، وتحمل في مدلولاتها إتباع الهوى، والإسراع في تنفيذ الخلاص ممن له السلطة والقدرة على الجامح.

جاء هذا الفعل مرة واحدة في الذكر الحكيم في قوله تعالى: □ ... لَوْلَا إِلَيْهِ وَهْمٌ يَجْمَحُونَ □^(٦٦٥)، ((أي يخرجون عن الجماعة ويميلون عن الحق ويسرعون إلى جانب أهوائهم النفسانية))^(٦٦٦).
 ويبدو أن (جمع) في أصلها كانت للفرس، ثم توسعت دلالتها لتُطلق على ((من يخرج عن طاعة مَنْ بيده أمره من ربّ أو مولى أو زوج أو ولي))^(٦٦٧).

❖ جنب:

لـ (جنب) معنيان أحدهما الناحية والآخر البُعد، والذي يهمننا في هذا المقام المعنى الثاني، الذي

٨. مقاييس اللغة (جفو): ١ / ٤٦٥، وينظر المصباح المنير: ١ / ١٠٤.
١. ينظر الصحاح: ٢٣٠٣ / ٦، ولسان العرب: ١٤ / ١٤٧.
٢. المفردات: ١٩٧ - ١٩٨.
٣. سورة السجدة: ١٦.
٤. التحقيق: ١٠٨ / ٢.
٥. نفسه: ١٠٨ / ٢.
٦. الصحاح: ٣٦٠ / ١، وينظر مقاييس اللغة (جمع): ١ / ٤٧٦.
٧. المفردات: ٢٠١.
٨. سورة التوبة: ٥٧.
٩. التحقيق: ١٢٤ / ٢.
١٠. التحقيق: ١٢٤ / ٢.

يشير إلى الابتعاد النفسي الذي يُخلف الابتعاد الجسدي، فيقال: ((جانبه وتجاوبه وتجنبه واجتنابه: كله بمعنى))^(٦٦٨)، ومنها رجلٌ أجنبيّ، والجار الجنب: جارك من قوم آخرين.

و(جانب) و(اجتنب) من الأفعال التي تُجسد رفضاً نفسياً شديداً لما وقع الاجتناب عليه، ولا يتحقق بمجرد الابتعاد المادي، بل لابد من الانصراف النفسي ومتعلقاته، فلا ينظر الشيء الذي اجتنبه ولا يفكر فيه ولا يمر بطريقه، فلا يقال جانبه وتجنبه وتجاوبه واجتنبه إلا إذا ((صرفه عن نفسه ونحاه))^(٦٦٩).

وردت في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم (عليه السلام): □ . . . وأجئني وبنيَّ أن نعبد الأصنام

□^(٦٧٠)، ودعاؤه عليه السلام بطلب البعد عن عبادة الأصنام فيه إشارة إلى أنه يطلب الابتعاد النفسي وهو أصعب من البعد المادي؛ لأن توجيه النفس الإنسانية إلى سبل النجاة لا يكون إلا بتوفيق منه سبحانه.

ونلاحظ في القرآن الكريم حثاً مركزاً على (اجتناب الكبائر)، لأنها لا تُجتنب إلا برفض النفس لها، والعمل على الابتعاد عن كل ما يمتُّ لها بصلة من قريب أو بعيد، من ذلك قوله تعالى:

□ . . . مَرِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبْهُ . . . □^(٦٧١)، وقوله: □ إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُهْوُونَ عَنْهُ . . .

□^(٦٧٢).

❖ حَبْسٌ:

الحبس: المنع، وهو ضد التخلية^(٦٧٣)، فيقال: ((حَبَسْتَهُ بمعنى وقفته، فهو حَبِيسٌ . . . ويُستعمل الحَبِيسُ في كل موقف واحد أو جماعة))^(٦٧٤). فالحبسُ رفض الفاعل تخلية سبيل المحبوس، سواء كان المحبوس مادياً كالإنسان والحيوان وغيرهما، أو كان معنوياً كحبس النفس، أو حبس الأفكار، ذلك لأن ((حقيقة هذه الكلمة: هي التوقيف في مكان أو على منظور وبرنامج معين حتى لا يتعداه))^(٦٧٥).

وقد وردت مرتين في الذكر الحكيم، الأولى في قوله تعالى: □ تَحْسِبُونَهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ . . . □^(٦٧٦)، ويقصد بهما الشاهدين على الوصية أي توقفونهما من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس، تحبسونهما وتحلفونهما بالله^(٦٧٧)، والثانية في قوله تعالى: □ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ

٢. الصحاح: ١ / ١٠١.

٣. التحقيق: ٢ / ١٣٤.

٤. سورة إبراهيم: ٣٥.

٥. سورة المائدة: ٩٠.

٦. سورة النساء: ٣١.

٧. الصحاح: ٣ / ٩١٥.

٨. المصباح المنير: ١ / ١١٨.

١. التحقيق: ٢ / ١٨٣.

٢. سورة المائدة: ١٠٦.

٣. ينظر تفسير أبي السعود: ٢ / ٦٦، صفوة التفاسير: ١ / ٢٧٠.

مَعْدُودَةٌ لَيَقُولَنَّ مَا يَخْسُهُ □ (٦٧٨)، أي: ليقولن استهزاء ما يمنعه من النزول (٦٧٩)، أي ما يحبسه عنا (٦٨٠)، وإطلاق الحبس على العذاب تعبير مجازي لأنه يُدفع ويُمْنَع و ((الدفع والمنع يدلان على الردّ والكفّ في جهة واحدة وفي مسير واحد، بخلاف الحبس فهو التوقيف والتحديد من جهات)) (٦٨١).

❖ حِبْطُ:

حِبْطُ عمله حَبْطاً وَحُبُوطاً: بطل ثوابه، أو فَسَدَ وَهَدَرَ، وأحبطه الله: أبطله (٦٨٢)، ويقال: ((أحبطتُ العملَ والدَّمَّ بالألف أهدرتَه)) (٦٨٣)، وأصل الحَبْطِ ((من الحَبَطِ، وهو أن تُكثِر الدابة أكلًا حتى ينتفخ بطنها)) (٦٨٤).

والفعل (أحبط) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً أيضاً، لأن القائم بالفعل يكون رافضاً للعمل لذلك يحبطه، أما (حبط) فهي داخلة في موضوع الرفض من جهة أن المتكلم يذم نتائج العمل من خلال الوصف السيئ له، (وسنتناول هذا في الفصل الرابع إن شاء الله).

وقد جاء الفعل (أحبط) ثلاث مرات بصيغة الماضي و (سيحبط) مرة واحدة، وفي كل الأحوال كان الفاعل هو البارئ عز وجل، لأنه سبحانه إليه مرجع الأعمال وهو الذي يثيب عليها، قال تعالى:

□... أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ... □ (٦٨٥)، وقال تعالى: □... نَیْضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحِبِّطُ أَعْمَالَهُمْ □ (٦٨٦).

((أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو السقوط مع المحو، كما أن الحطّ والحثّ معناهما السقوط المطلق، والبطلان ما كان على خلاف شرائط الصحة وخصوصياتها وهو في مقابل الحقّ، والهدر ما لم يكن له نتيجة ولا عائدة، والفساد ما يكون فاقداً لشرط الصحة حتى يفسد)) (٦٨٧).

❖ حَجَبُ:

حَجَبَهُ حَجَباً: منعه (٦٨٨)، ((ومنه قيل للستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة، وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول، والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين، وقد استعمل في المعاني فقيل العجز حجاباً بين الإنسان ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربّه)) (٦٨٩).

و(حجب) من ألفاظ الرفض لأن الحاجب يقوم بالمنع، فهو رافض لتلاقي شينين أو أثرهما، ويمكن للحاجب أن يكون مادياً أو معنوياً كما يمكن للمحجوب كذلك.

-
٤. سورة هود: ٨.
 ٥. صفوة التفاسير: ٨/٢.
 ٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٩.
 ٧. التحقيق: ١٨٤/٢.
 ٨. ينظر الصحاح: ١١١٨/٣.
 ٩. المصباح المنير: ١١٨/١.
 ١٠. المفردات: ٢١٦.
 ١١. سورة الأحزاب: ١٩.
 ١٢. سورة محمد: ٣٢.
 ١. التحقيق: ١٨٤-١٨٥/٢.
 ٢. ينظر الصحاح: ١٠٧/١، ومقاييس اللغة (حجب): ١٤٣/٢، والمفردات: ٢١٩.
 ٣. المصباح المنير: ١٢١/١.

وقد ورد لفظ (حجاب) سبع مرات في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: □ ... وَمِنْ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَكَ

حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ □ (٦٩٠)، والحجاب عبارة عن ((فواصل وموانع وفروق من جهة العقائد والأخلاق والأعمال)) (٦٩١).

وجاءت بصيغة أسم المفعول في قوله تعالى: □ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ □ (٦٩٢)، أي

ليرتدع هؤلاء المكذوبون عن غيهم وخلالهم فهم في الآخرة محجوبون عن رؤية المولى جلّ وعلا (٦٩٣)، ((والتعبير بصيغة المفعول مسنداً إليهم: للإشارة إلى أن الحجاب لهم وعليهم ومنهم، فهم المحجوبون عن الله المتعال والمحرومون عن لذة المناجاة، ومعنى المحجوبية: أن يكون العبد محروماً عن التوجه القلبي والخشوع والخشية وأن ينقطع عن إدراك نوره وعن الارتباط)) (٦٩٤).

❖ **حجر:**

حَجَرَ عَلَيْهِ حَجْرًا: منعه التصرف (٦٩٥)، لأن أصله ((المنع والإحاطة على الشيء، ويقال حَجَرَ الحاكم على السفية حَجْرًا، وذلك منعه إياه من التصرف في ماله، والعقل يسمى حَجْرًا لأنه يمنع عن إتيان مالا ينبغي ... والحجر معروف، وأحسب أن الباب كله محمول عليه ومأخوذ منه لشدته وصلابته ... وكان الرجل يلقي الرجل يخافه في الأشهر الحرم فيقول: حَجْرًا أي حراماً، ومعناه حرام عليك أن تنالني بمكروه، فإذا كان يوم القيامة رأى المشركون ملائكة العذاب فيقولون حَجْرًا محجوراً)) (٦٩٦)، ودلالة الحجر على المنع متأتية من ((التحجير، أن يجعل حول المكان حجارة، يقال: حَجَرْتُهُ حَجْرًا، فهو محجور، وحَجَرْتُهُ تحجيراً فهو مُحَجَّرٌ، وسمي ما أحيط به الحجارة حَجْرًا)) (٦٩٧).

وبذلك تكون (حجر) في أصلها اللغوي من ألفاظ الرفض، لأن هنالك منعاً عن شيء والمنع ناتج دائماً عن رفض، والحجر على الإنسان لا يكون إلا بدافع الرفض الشديد، لأن الحاجر لم يكتف بالكلام تعبيراً عن رفضه، بل قام بتصرف عملي منع المحجور من التصرف.

يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: ((وعندي أن الفعل (حجر) بمعنى: منع ونهى وكّد بعد استعارة كلمة (الحجر) للعقل، والله أعلم)) (٦٩٨).

أما المعاني الثانوية لهذه اللفظة كدلالاتها على القرابة (لأنها نمار يحمى ويحفظ)، ودلالاتها على الفرس الأنثى (لأنها تصان وتضنّ بها)، ودلالاتها على الحزن (الصدر والناحية)، فهذه لا تدخل في

٤. سورة فصلت: ٥، كما في سورة الأعراف: ٤٦، وسورة الأحزاب: ٥٣، وسورة ص: ٣٢، وسورة الشورى: ٥١، وسورة الإسراء: ٤٥، وسورة مريم: ١٧.
٥. التحقيق: ١٩٦ / ٢.
٦. سورة المطففين: ١٥.
٧. صفوة التفاسير: ١٦١ / ٢.
٨. التحقيق: ١٩٦ / ٢.
١. ينظر المصباح المنير: ١٢١ / ١.
٢. مقاييس اللغة (حجر): ١٣٨ / ٢.
٣. المفردات: ٢٢٠.
٤. من بديع لغة التنزيل: ٣٠٩.

موضوع الرفض .

قال تعالى: □ ... نَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا □ (٦٩٩)، أي تقول الملائكة لهم: حرام ومحرم عليكم الجنة والبشرى والغفران (٧٠٠)، والتقدير ((كن ممنوعاً محدوداً وحافظاً محفوظاً، لا يصل منك ضرر وشر إلينا، أو اجعل بيننا وبينه حجراً محجوراً) (٧٠١) .

وقال تعالى: □ ... وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحَجْرًا مَّحْجُورًا □ (٧٠٢)، أي: منعاً من وصول أحدهما إلى الآخر وامتزاجه به (٧٠٣)، البرزخ هو الحاجز، و (حجراً محجوراً) دلالة على شدة الحفظ لعوانده وخيراته، ومنعاً عن مضارّه، كما يشير إلى كونه محدوداً لأن المحجور متصف بالمحدودية.

❖ حجز:

الحجز هو الحول أو الفصل بين الشيئين (٧٠٤)، ((وذلك قولهم حجزت بين الرجلين، وذلك أن يمنع كل واحد منهما من صاحبه)) (٧٠٥)، وسميت الحجاز حجازاً لأنها حجزت بين نجد والسراة أو وثهامة (٧٠٦)، والمحاجزة الممانعة (٧٠٧).

و (حجز) من أفاظ الرفض لأنها متضمنة للمنع والحجز قريب معناه من الحجر والحجب، والأصل الواحد فيه: هو الفاصل المانع بين الشيئين، وليس بمعنى المانع المطلق ولا بمعنى الفاصل المطلق .

ولم ترد هذه اللفظة بصيغة الفعلية في القرآن الكريم، وإنما جاءت بصيغة اسم فاعل في المرتين التي وردت فيهما، قال تعالى: □ أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا مِرْوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ... □ (٧٠٨)، فالحاجز هو الفاصل المانع من اتصال البحرين لنلا يُفسد ماء البحار المياه العذبة (٧٠٩).

وقال تعالى: □ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مَكَرُ مَنْ أَحَدَ عَنْهُ حَاجِزِينَ □ (٧١٠)، والآية الكريمة في صدد الترهيب، توضح نزول العذاب الذي لا يمكن لأحد أن يكون حاجزاً بينه وبين من نزل العذاب له.

فالحجر يكون محيطاً بالمحجور، والحجز يكون فاصلاً مانعاً، والمنع يمكن أن يكون من غير

٥. سورة الفرقان: ٢٢.

٦. ينظر صفوة التفاسير: ٣٦٠/٢.

٧. التحقيق: ٢٠٢/٢.

٨. سورة الفرقان: ٥٣.

٩. التفسير الكبير: ١٠١/٢٤.

١. ينظر المفردات: ٢٢١.

٢. مقاييس اللغة (حجز): ١٣٩/٢.

٣. ينظر مقاييس اللغة: ١٣٨/٢، المصباح المنير: ١/١٢٢، الاشتقاق: ٥١٤-٥١٥.

٤. ينظر الصحاح: ٨٧٢/٣.

٥. سورة النمل: ٦١.

٦. ينظر صفوة التفاسير: ٤٥١/٢.

٧. سورة الحاقة: ٤٦-٤٧.

حاجز، فهناك فرق دقيق بين الدلالات .

❖ حدّ:

الحد الحاجز والمانع، وهذا أمر حدّد: مَنع حرام، والمحادّة: المخالفة ومنع ما يجب عليك^(٧١١)، وفلان محدود إذا كان ممنوعاً وسَمي الحديد حديداً لامتناعه وصلابته وشدّته، وحدّ العاصي سَمي حدّاً لأنه يمنعه عن المعاودة^(٧١٢)، ومنه الحدود الشرعية، لأنها تمنع من الإقدام^(٧١٣)، ((والحدود جمع حدّ وهو في اللغة: المنع وفي الشرع: هي عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله تعالى))^(٧١٤).

والحد مصطلح من مصطلحات الفقه الإسلامي، وهو عقوبة أشدّ من التعزير، وهذا المصطلح لم يكن معروفاً في الشعر الجاهلي بل هو مما شرعه القرآن الكريم^(٧١٥).

وبهذه المعاني تدخل هذه اللفظة في موضوع الرفض ما دام هناك حاجز مانع عن شيء ما، وإن كان المصطفوي قد أرجع أصل هذه المادة إلى الحدة والشدّة، لا إلى المنع والحجز فيقول: ((فظهر أن ترجمة المادة بالمنع والغضب والانتهاج والحاجز والحرمة والمخالفة والطرف وغيرها: كلها على خلاف التحقيق، وأنها معاني مجازية ومن لوازم الأصل أو مصاديقه))^(٧١٦).

وقد جاءت هذه اللفظة بصيغة الفعل (حادّ) و (يُحادِد) و (يُحادُون) في القرآن الكريم، قال تعالى:

□... وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... □^(٧١٧)، أي لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله،

وذلك لأن من أحبّ أحداً امتنع أن يحبّ عدوه^(٧١٨)، وقال تعالى: □ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ يُحَادِدِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ... □^(٧١٩)، ((أي من يعمل عملاً حاداً وبالشدّة والخشونة في قبال وظائفه الإلهية))^(٧٢٠).

وجاءت لفظة (حدود) اثنتا عشرة مرة في القرآن الكريم، و(حدوده) مرة واحدة، وفي كل المواضع أضيفت إلى لفظ الجلالة، وفي ذلك إشارة إلى إن الحدود، وبخاصة حدود الله أمور يجب تقديس الالتزام بها وعدم مجاوزتها لأن تجاوزها يعني العبور إلى الممنوع، وهذا مرفوض شرعاً وعرفاً، والدليل على ذلك قوله تعالى: □... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا... □^(٧٢١)، فالنهي عن

الاقتراب دليل على أنها من المحظورات، وكذلك الحثّ على الحفاظ عليها^(٧٢٢)، والتهديد لمن يتعداها^(٧٢٣)، ((ولا يخفى أن الحدود منصرفة إلى الأحكام التي فيها إلزام، واجبة أو محرمة، وهذه

٨. الصحاح (حدد): ٤٦٣ / ٢.

٩. مقاييس اللغة: ٣ / ٢.

١٠. المصباح المنير: ١ / ١٢٥.

١١. التعريفات: ٥١.

١. ينظر التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: ٤٠٠.

٢. التحقيق: ٢ / ٢٠٩ - ٢١٠.

٣. سورة المجادلة: ٢٢.

٤. ينظر التفسير الكبير: ٢٩ / ٢٧٦.

٥. سورة التوبة: ٦٣.

٦. التحقيق: ٢ / ٢١٠.

٧. سورة البقرة: ١٨٧.

٨. كذلك سورة التوبة: ١١٢.

٩. كذلك سورة الطلاق: ١، وسورة النساء: ١٤.

بمناسبة مفهوم الحدة^(٧٢٤)، وقد سميت الأحكام حدوداً لأنها تحجز بين الحق والباطل و (حدود الله) أوامر الله وزواجره، وأحكامه التي شرعها^(٧٢٥).

❖ حارب:

الحَرْبُ في أصلها تعني السَّلْبُ ((يقال حَرَبْتُهُ ماله، وقد حُرِبَ ماله، أي سَلِبَهُ حَرْباً))^(٧٢٦)، والحرب: المقاتلة والمنازلة^(٧٢٧)، ((وأنا حربٌ لمن حاربني أي عدو، وتحاربوا واحتربوا وحاربوا: بمعنى، ... وحرب الرجل (بالكسر) أشدّ غضبه ... وحربته: أغضبتة))^(٧٢٨)، بعد ذلك استعملت في شيء من توسع المعنى فصارت الحَرْبُ: ضد السَّلْمِ^(٧٢٩).

يلاحظ أن هنالك خلافاً بين المُتَحَارِبِينَ، كما أن هنالك حدة في التعامل بينهما، وما ذلك إلا من نتائج الرفض النفسي، فما أن تزول مسببات ذلك الرفض ويحل الوفاق بينهما حتى تضع الحرب أوزارها بعد ميل إلى الصلح الذي لا يولد إلا من تجاوب مع الطرف الآخر، وبهذا المنظور يكون هذا الفعل من الأفعال المُجسّدة لرفض نفسي.

وإذا كان من المتعارف أن تقوم الحرب بين الناس، فإن القرآن الكريم يُطلعنا على حرب معنوية لا تُدركها الحواس تلك محاربة الإنسان لله عز وجل، قال تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرّاً وَكَفْراً وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمْرَاصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ^(٧٣٠)، وقال تعالى: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ^(٧٣١)، فمحاربة الله تعالى ليست حرباً بالمقاييس المادية إنما هي مخالفة لأوامره سبحانه واقترافاً لنواهيه، فبذلك يصبحون أعداءً له سبحانه، وتُشير صيغة (يحاربون) إلى استمرار العمل.

كذلك هنالك حرب من الله كما بيّنه قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ^(٧٣٢)، لا يخفى أن في ذلك تخويفاً للمخالفين لأن (حرب من الله) يعني أنه سبحانه رافض لهم جملة وتفصيلاً، فقرر محاربتهم لإهلاكهم أو إصلاح اعوجاجهم، ((وتنكير الحرب إشارة إلى التعظيم))^(٧٣٣).

❖ حرف:

حَرْفٌ (بالتشديد) غَيْرٌ، وحرفته أي عدلت به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته^(٧٣٤).

١٠. التحقيق: ٢ / ٢١٠.

١١. ينظر صفوة التفاسير: ١ / ١٢١، ١٢٣.

١. مقاييس اللغة (حرب): ٢ / ٤٨.

٢. المصباح المنير: ١ / ١٢٧.

٣. الصحاح: ١ / ١٠٨.

٤. ينظر الاشتقاق: ٧٥.

٥. سورة التوبة: ١٠٧.

٦. سورة المائدة: ٣٣.

٧. سورة البقرة: ٢٧٩.

٨. التحقيق: ٢ / ٢١٦.

١. مقاييس اللغة (حرف): ٢ / ٤٢، والمصباح المنير: ١ / ١٣٠.

ولا يكون التحريف إلا من رافض للحالة التي عمد إليها بالتغيير، فحاول إخراج الشيء عن موضعه واعتداله لأن حرّفته تعني ((أخرجته عن موضعه واعتداله ونحيّته إلى جهة الحرّف وهو الطرف للشيء))^(٧٣٥).

ولم يرد هذا الفعل في القرآن الكريم إلا مضارعاً ومفعوله (الكلم أو كلام) قال تعالى: □ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ... □^(٧٣٦)، وهذا الفعل يجسّد رفضاً نفسياً؛ لأنهم ((يَجْعَلُونَ الكلمات وأجمل خارجة عما وضّعت لها وفيها يضعونها في أطراف تلك المواضع، وهذا التحريف إما من جهة المعنى فيكون المراد من المواضع المصاديق، أو من جهة الظاهر والمكان والمحل لها فيكون المراد تغيير محالها إلى أطراف تلك المواضع، وأما تبديل الكلمة بكلمة أخرى: فليس بتحريف))^(٧٣٧).

قال تعالى: □ ... سَمِعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ... □^(٧٣٨)، والتحريف للكلام لا يقع إلا بعد استقراره وثباته لفظاً ومعنى فيأخذ موضعه، فيبدأ التحريف الذي يعدل به عن المواضع إلى الأطراف، وبهذا يفترق عن التبديل والتغيير لأن ذلك يصعب في الكلام الذي انتشر بنسخ متعددة.

❖ **هرم:**

حُرْمُ الشَّيْءِ حُرْمًا وَحَرَمًا: امتنع فعله، والحُرْمَةُ: ما لا يحلّ انتهاكه، والحرام ضد الحلال وهو الممنوع منه، والبيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام: أي لا يحلّ انتهاكه، وأحرم الرجل بالحجّ، لأنه يحرم عليه ما كان حلالاً من الصيد والنساء وغير ذلك، والمحروم الذي حُرْمُ الخَيْرِ حَرَمَاتًا^(٧٣٩).

والتحريم لا يصدر إلا من شدة رفض للشيء المحرّم، فيأتي التحريم ليُعبّر عن إيجاد المانع القوي قبل صدور الفعل من المحرّم عليه، وهذا ما يُفرّقه عن المنع، ((فمعنى حرمة الربّيا ممنوعية ظهوره ووجوده... وأما المنع: فهو ناظر إلى بعد الظهور والوجود، يقال: منع عن مشيه وتحصيله أو كلامه إذا وُجد المقتضى لها وإن لم تكن متحققة، وأما الردّ: فهو المنع بعد الجريان والعمل))^(٧٤٠).

أما كيف يتحقق التحريم، فقد أوضح ذلك الراغب بقوله: (الحرام: الممنوع منه، إمّا بتسخير إلهي، وإمّا بشري، وإمّا بمنع قهري، وإمّا بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع، أو من جهة مَنْ يرسم أمره، فقوله تعالى: □ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ... □^(٧٤١)، فذلك تحريمٌ بتسخير...، وقوله

٢. التحقيق: ٢/ ٢٣٢.

٣. سورة النساء: ٤٦.

٤. التحقيق: ٢/ ٢٣٣.

٥. سورة البقرة: ٧٥.

٦. مقاييس اللغة (حرم): ٤٥/٢، والمصباح المنير: ١٣١/١، والتهذيب: ٤٦/٥.

٧. التحقيق: ٢/ ٢٣٨.

١. سورة القصص: ١٢.

تعالى: □ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً... □ (٧٤٢)، وقيل: بل كان حراماً عليهم من جهة القهر لا بالتسخير الإلهي، وقوله تعالى: □ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ... □ (٧٤٣)، فهذا من جهة القهر بالمنع، ... وقوله تعالى: □ ... وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أَشْرَارٌ تُفَادُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ... □ (٧٤٤)، فهذا كان محرماً عليهم بحكم شرعهم... □ (٧٤٥).

ويبدو أن التحريم في الأصل هو المنع من جهة الشرع، ثم توسع في دلالاته ليشمل المنع من جهة العقل أو من جهة البشر وفي ذلك تشبيهه لتحريم الشريعة إشارة إلى شدة المنع، والمتتبع للفعل (حَرَّمَ) في القرآن الكريم، يجد انه ورد سبعاً وثلاثين مرة بصيغة الفعل ((الماضي المبني للمعلوم والمبني للمجهول والمضارع)) المُحَرَّمُ فيها هو الخالق سبحانه وتعالى وهذا هو الأصل في التحريم، باستثناء ثماني آيات بينت أن التحريم يمكن أن يصدر عن البشر.

التحريم الإلهي قوله تعالى: □ ... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... □ (٧٤٦)، وقوله تعالى: □ قُلْ

تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ... □ (٧٤٧)، ومثال التحريم البشري قوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... □ (٧٤٨).

وتعد هذه اللفظة من أهم الألفاظ التي تُشير إلى الرفض الإلهي للأعمال، ولذا كانت موضع اهتمام المسلمين بصورة عامة والفقهاء بصورة خاصة، لأن الحلال والحرام مواضع القبول والرفض الإلهي، و واجب على كل مسلم أن يتعلم ويبحث عما يرضي الله عز وجل وما لا يرضيه.

❖ حصر:

حصره يحصره حصراً: ضيق عليه وأحاط به، وحصره العدو أي أحاطوا به ومنعوه من المضي لأمره، وحصره العدو في منزله: حبسه، وأحصره المرض: منعه من السفر، وحاصرته محاصرة وحصاراً، فأصل حصر هو الجمع والحبس والمنع (٧٤٩).

وبهذه الدلالات تكون (حصر) من ألفاظ الرفض لأنها متضمنة معنى المنع، وإن كانت في الأصل تحمل دلالة المحدودية والضيق سواء كان الفعل لازماً (حَصِرَ) بكسر الصاد أو متعدياً (حَصَرَ) بفتح الصاد يقال: ((حَصَرَ صدره أي ضاق من جهة محدوديته، فهو حَصِرَ، وحصره أي ضيقه وحده، فهو حَصِيرٌ وحَصُورٌ، ويقال حاصرته إذا دام في تضيقه وحده، وأحصره إذا كان النظر إلى جهة (الصدر)) (٧٥٠).

-
٢. سورة المائدة: ٢٦.
 ٣. سورة المائدة: ٧٢.
 ٤. سورة البقرة: ٨٥.
 ٥. المفردات: ٢٢٩ - ٢٣٠.
 ٦. سورة البقرة: ٢٧٥.
 ٧. سورة الأنعام: ١٥١.
 ٨. سورة التحريم: ١، وكذلك في سورة الأعراف: ٣٢، وسورة الأنعام: ١٤٠، وسورة المائدة: ٨٧، وسورة التوبة: ٢٩، ٣٧، وغيرها.
 ١. الصحاح: ٢ / ٦٣٠، ومقاييس اللغة: ٢ / ٧٢، والمصباح المنير: ١ / ١٣٨.
 ٢. التحقيق: ٢ / ٢٧١.

وقد جاء هذا الفعل لازماً في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: □ ... أَوْجِأَوْوَكُمْ حَصْرَتْ

صُدُّوهُمْ أَنْ يَقَاتُلُوكُمْ ... □ (٧٥١)، وأدى دلالة الضيق، كما جاء بصيغة الصفة المشبهة في قوله

تعالى: □ ... أَنْ اللَّهَ يَشْرِكُ بِحَبِي مُصَدَّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ... □ (٧٥٢)، وقد اختلف

اللغويون والمفسرون في الفعل الذي اشتقت منه هذه الصفة، فمنهم من قال انه مشتق من الفعل اللازم ومنهم من أرجعه إلى الفعل المتعدي ((فقال قوم هو فعول بمعنى مفعول كأنه حَصِرَ أي حُبِسَ، وقال آخرون: هو الذي يأبى النساء كأنه أَحَجَمَ هو عنهن)) (٧٥٣)، والأرجح القول الثاني؛ لأنه لو كان محبوساً عن الشهوات لما استحق المدح، ولكنه قام بذلك عن طريق مجاهدة النفس وحبسها عن الهوى والشهوة النفسانية، فنال مكانة عند الخالق عز وجل .

❖ حَظَرٌ:

حظرت الشيء أحظره حَظَرًا: منعه، ويقال لما حُظِرَ به على الغنم وغيرها من الشجر ليمنعها ويحفظها: حَظِيرَةٌ، والحَظَرُ: الحجر وهو خلاف الإباحة، والمحظور: المحرّم، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك، وكل شيء حُزِرَ بين شيئين فهو حِظَارٌ وحِجَارٌ (٧٥٤).

و (حظر) من ألفاظ الرفض لأنها متضمنة معنى المنع والحجر، ((والفرق بينها وبين المنع والجمع والحدّ، أن المنع هو إيجاد المانع عن سريان شيء وجريانه وحركته عن خارج، والحدّ قريب منه، والنظر في الجميع إلى الأفراد في مقابل الفرق، فيعتبر في الحظر كلا الجهتين من المحدودية والممنوعية)) (٧٥٥).

وردت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم، الأولى بصيغة اسم المفعول في قوله تعالى: □ ... وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا □ (٧٥٦)، أي ما كان ممنوعاً من مانع خارجي، أي ما كان محظوراً على الفاجر أو البرّ أو غيره، وما كان محبوساً ممنوعاً عن أحد (٧٥٧)، والثانية في قوله تعالى: □ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المَحْتَضِرِ □ (٧٥٨)، والمحتظر اسم فاعل من الفعل (احتضر) وهو من يريد أن يوجد حَظَرًا وحَظِيرَةً، والحَظِيرَةُ هي المحيط المحدود الممنوع، وقرئ (المَحْتَضِر) على انه اسم مفعول فيكون ((اسم للحَظِيرَةَ، والمعنى كهشيم المكان الذي يُحْتَضِر فيه الهشيم، وهو ما يبس من الحَظَرَات وتكسّر، أي بادوا وهلكوا فصاروا كيبس الشجر إذا تحطم)) (٧٥٩).

❖ حَمِي:

٣. سورة النساء: ٩٠.
٤. سورة آل عمران: ٣٩.
٥. مقاييس اللغة: ٧٣ / ٢، وينظر: صفوة التفاسير: ١ / ١٩٩.
٦. مقاييس اللغة: ٨٠ / ٢، الصحاح: ٦٣٤ / ٢، التهذيب: ٤٥٤ / ٤، المصباح المنير: ١ / ١٤١.
١. التحقيق: ٢٨٩ / ٢.
٢. سورة الاسراء: ٢٠.
٣. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦ / ٤٦٣.
٤. سورة القمر: ٣١.
٥. التهذيب: ٤٥٤ / ٤.

يقال حَمَيْتُ المكانَ من الناسِ حَمِيًّا وَحَمِيَّةً: مَنَعْتُهُ عَنْهُمْ، والحماية اسمٌ منه، وأحميئُهُ بالألف جعلته حَمِيًّا، وهذا شيءٌ حميٌّ على فِعْلٍ: محظور لا يقرب، ولفلان حَمِيًّا لا يقرب، واحتمي الرجل من كذا: اتقاه، وحميته أن يفعل كذا: إذا منعه، وحمي عليه إذا غضب^(٧٦٠).
و (حمي) من أفاظ الرفض؛ لأن القائم بالفعل رافض وصول الشيء إلى المحمي، ومنه سُميت (الحمية) وهي التعصب في الدفاع والتأنف الشديد؛ لأنها تشكل مانعاً معنوياً للشيء، وقد جاءت في قوله تعالى: □ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ... □^(٧٦١)، فإن تأنفهم الشديد وترفعهم عن الدين صار مانعاً لقبولهم له وتجاوبهم معه .

وجاءت في قوله تعالى: □ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ... □^(٧٦٢)، أي ما جعل الله هذه الأنعام محرمة ممنوعة من الاستفادة وإنما جعلوها محرمة من عند أنفسهم .
أما الحمي بمعنى الحرارة، في قولهم حَمِيَ التنور حمياً وأحميت الحديد في النار فهو مُحَمِيٌّ، فيقال أن هذا أصل الاستعمال لهذه اللفظة، وإن كان هذا المعنى غير داخل في موضوع الرفض، ثم تطورت ليطلق على صاحب الحمية وعلى الغاضب وعلى من يقف مانعاً عن الشيء؛ لأنه ممتلك للحرارة والعطوفة الباطنية للطاقتها ولينتها^(٧٦٣).

❖ حال:

حال النهر بيننا حيلولة: حَجَزَ وَمَنَعَ الاتصال...، والمحال: الباطل غير الممكن الوقوع، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا^(٧٦٤).
وبوجود المانع تصبح (حال) من الأفعال الدالة على الرفض؛ لأن الحائل رافض للاتصال.
وقد جاء ذلك في قوله تعالى: □ ... وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ □^(٧٦٥)، أي صار الموج مانعاً لتلاقيهما، وإن كان الموج لا يملك إرادة المنع والرفض لكنه ليس فاعلاً حقيقياً؛ لأن الإرادة لله سبحانه والموج مجرد وسيلة لتحقيق هذه الإرادة لتجري الأمور بمسبباتها كما اقتضت الحكمة الإلهية.

وجاء الفعل مضارعاً دالاً على استمرار الحدث بفاعله الحقيقي في قوله تعالى: □ ... أَنْزَلَ اللَّهُ

يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ... □^(٧٦٦)، والمعنى هنا إيجاد حاجز معنوي بين المرء وقلبه، وهذا من تجليات قدرة الله عز وجل، لأن كل شيء في هذا الوجود مرتبط بمشيئته سبحانه فما لا يوافق مشيئته سبحانه لا يكون، وهذا يتطلب إيجاد مانع بين ما يريده المخلوق وما لا يوافق المشيئة الإلهية، ((ويمكن أن يكون الفعل هنا متعدياً، أي إن الله يوجد حالة مخصوصة ويحوّل حالة إلى حالة مغايرة فيما بين المرء وقلبه، كما أن الحيلة يائياً بمعنى تحويل الفكر والعمل وتغيير حالة إلى أخرى))^(٧٦٧).

٦. الصباح: ٦/ ٢٣١٩، المصباح المنير: ١/ ١٥٣.

٧. سورة الفتح: ٢٦.

٨. سورة المائدة: ١٠٣.

١. ينظر: التحقيق: ٢/ ٣٣٧.

٢. المفردات: ٢٢٦، المصباح المنير: ١/ ١٥٧.

٣. سورة هود: ٤٣.

٤. سورة الأنفال: ٢٤.

٥. التحقيق: ٢/ ٣٧٢.

وجاء الفعل مبنياً للمجهول في قوله تعالى: □ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ... □ (٧٦٨)، أي إيجاد حالة تجعلهم لا يتمكنون من بلوغ ما يشتهون، ((فالفعل لا يدل على المنع بل على تغيير الحالة وإيجادها، والمنع من آثار تلك الحالة وليس من مصاديق الحقيقة)) (٧٦٩).

❖ **حيد:**

حاد عن الشيء يحيد: مال عنه وعدل أو تنحى وبعُد، والحيد ما شخَص من الجبل واعوج، وكل ضلع شديد الاعوجاج حيد، وكذلك من العظم، والرجل يحيد عن الشيء إذا صد عنه خوفاً وأنفة (٧٧٠).

وقيل: ((إن الأصل الواحد فيها هو الميل والاعوجاج عن الاستقامة في نفسه من دون تجانب وتباعد، كاعوجاج في رأس الجبل، أو في الضلع أو في العظم، أو كانصراف وإعراض عن عقيدة أو فكر، أو إدبار وتولي عن أمر وتركه)) (٧٧١).

فمن حاد عن شيء فقد رفضته نفسه، ويبين ذلك قوله تعالى: □ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ □ (٧٧٢)، والحيد يظهر بعدم تقبلهم لفكرة البعث فلا يتهيئون للموت، وهذا ناتج عن الرفض النفسي لهذه الحقيقة.

❖ **حيف:**

حاف يحيف حيفاً: جار وظلم، لأن الحيف: الجور والظلم، وقد حاف عليه أي جار، وأصل الفعل حاف عليه يحيف إذا مال، وقيل: تحوَّفت الشيء أخذته من حافته، وتخوفته بالخاء بمعناه، والحيف: الميل في الحكم (٧٧٣).

وقد رجح المصطفوي أن يكون أصل الحيف ((هو الميل والخروج عن الاعتدال)) (٧٧٤)، ثم تطور ليطلق على الجور والظلم والميل في الحكم. وهو من ألفاظ الرفض لأن الحيف لا يكون إلا نتيجة لرفض نفسي لمن وقع الحيف عليه.

ورد هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ رَبُّنَا أَمْرٌ يَخَافُونَ

أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَرْسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ □ (٧٧٥).

وهناك تقارب دلالي بين الحيف والظلم لكن ((الحيف أطف من الظلم، وأنسب بأن لا ينسب إلى الله المتعال، فإنه إذا نفي الحيف والميل والخروج عن العدل، فنفي الجور يكون بطريق أولى)) (٧٧٦)، فهو سبحانه لا يحيف لأنه العدل بعينه، لكنهم هم الظالمون الذين يتجاوزون عن العدل

٦. سورة سبأ: ٥٤.

٧. التحقيق: ٣٧٣ / ٢.

١. ينظر: الصحاح: ٤٦٧ / ٢، والتهذيب: ١٨٩ / ٥، والمصباح المنير: ١٥٨ / ١.

٢. التحقيق: ٣٨٠ / ٢.

٣. سورة ق: ١٩.

٤. ينظر: مقاييس اللغة (حيف): ١٢٥ / ٢، الصحاح: ١٣٤٧ / ٤، التهذيب: ٢٦٣ / ٥، المصباح المنير: ١٥٩ / ١.

٥. التحقيق: ٣٨٦ / ٢.

٦. سورة النور: ٥٠.

٧. التحقيق: ٣٨٧ / ٢.

والحق ويتعدون إلى حقوق غيرهم .

❖ ختم:

أصل (خَتَمَ) هو بلوغ آخر الشيء، ويقال خَتَمْتُ العمل، وخَتَمْتُ القرآن: بلغت آخره، والختم أيضاً هو الطبع على الشيء، والختم على القلب أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه طبع، والختم: المنع، يقال فلان ختم عليك بابه إذا أَعْرَضَ عَنْكَ^(٧٧٧).

و (ختم) في أصلها اللغوي لا تحمل دلالة الرفض، لكن (ختم على) تحمل دلالات الرفض لأن هذا الفعل يجسد رفضاً نفسياً شديداً، وهي متقاربة دلاليًا مع (طبع) لأن ((مفهوم الطبع: هو قريب من التثبيت، وهو متحد مصداقاً بالختم لا مفهوماً، واتحادهما مصداقاً أوجب الالتباس، ولاسيما إذا استعمل بحرف على، يقال خَتَمَ عَلَيْهِ وَطَبَعَ عَلَيْهِ))^(٧٧٨).

جاء هذا الفعل في القرآن الكريم واقعاً تأثيره على (القلب) بالدرجة الأولى وعلى (السمع) بالدرجة الثانية وعلى (الأفواه) بالدرجة الثالثة، من ذلك قوله تعالى: □ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ... □^(٧٧٩)، أي ((طبع على قلوبهم فلا يدخل فيها نور ولا يشرق فيها إيمان وذلك أن القلوب إذا كثرت عليها الذنوب طمست نور البصيرة فيها، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر

عنها مخلص))^(٧٨٠)، وقوله: □ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى

قُلُوبِكُمْ... □^(٧٨١)، وقال تعالى: □ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ... □^(٧٨٢)، أي نختم على أفواه الكفار ختماً يمنعها عن الكلام^(٧٨٣).

ويبقى التطور الدلالي مستمداً معانيه من الجذور اللغوية، فالختم الذي يعني إتمام الجزء الآخر من الشيء يبقى يشع في دلالة الكلمة ف ((المراد هنا حيث استعمل بحرف على: الوصول إلى الغاية والبلوغ إلى المنتهى في قبال القلوب والسمع والأفواه، وعلى ضررها، فينتج قطع الرحمة واللفظ والتوجه من جانب الله عز وجل عنهم، وطبع قلوبهم وسمعهم وأفواههم بحيث لا يدخل فيها شيء من الفيوضات الرحمانية، ولا يخرج منها شيء))^(٧٨٤).

❖ خدع:

خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا أَي خَتَلَهُ وَأَرَادَ بِهِ الْمَكْرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، وَالْخُدْعَةُ: مَا يُخْدَعُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَالْإِخْدَاعُ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْخَزَانَةُ الْمَخْدَعُ، وَخَدَعَهُ فِي الشِّرَاءِ أَوْ الْبَيْعِ إِذَا أَظْهَرَ لَهُ خِلَافَ مَا أَبْطَنَ فَضَّرَّهُ فِي مَالِهِ^(٧٨٥).

١. ينظر: مقاييس اللغة: ٢/٢٤٥، الصحاح: ٥/١٩٠٨، لسان العرب (ختم): ٢/١٦٣.

٢. التحقيق: ٣/٢٦ - ٢٧.

٣. سورة البقرة: ٧.

٤. صفوة التفاسير: ١/٣٣.

٥. سورة الانعام: ٤٦، وكذلك الجاثية: ٢٣، والشورى: ٢٤.

٦. سورة يس: ٦٥.

٧. ينظر: جامع البيان: ٢٣/٢٤.

٨. التحقيق: ٣/٢٨.

١. ينظر: مقاييس اللغة (خدع): ٢/١٦١، الصحاح: ٣/١٢٠١، الفروق اللغوية: ٢١٤.

فأصل الخدع ((هو إخفاء ما من شأنه أن يكون ظاهراً ومعلومًا في مورد الإضرار أو منع الخير، وصيغة خادعته فتخادع: تدلّ على إدامة الخدع))^(٧٨٦).

وبذلك يكون الفعل (خدع) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً لإظهار الحقيقة على صورتها، أو إيجاد حالة مانعة بين المخدوع وبين الحقيقة التي أخفاها الخادع.

جاء هذا اللفظ بصيغة الفعل المضارع واسم الفاعل في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ وإن

يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ... □^(٧٨٧)، أي بأن يُخَفُوا بعض أمورهم ويستروا عنك آراءهم وأفكارهم الخبيثة.

ومثلما يستطيع الإنسان أن يخدع المقابل، يمكن أن يخدع نفسه كأن يُصدق بالمحال أو يسعى لتحقيق المستحيل، قال تعالى: □... وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ □^(٧٨٨).

ويُطلعنا القرآن الكريم على حقيقة لا تُدرکها الحواس، ويُخبرنا بأن المخلوق يمكن أن يتجرأ على الخالق سبحانه من خلال النفاق، قال تعالى: □ إِنْ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ... □^(٧٨٩)، ويكون ذلك ((بإظهار الإيمان والطاعة والعبودية والامتثال مع استبطان الكفر والخلاف والنفاق... وأما قوله تعالى: (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) معناه: أنه تعالى يختم على قلبه ويحجبه عن مشاهدة آياته وشواهد ربوبيته ومظاهر عظمتة ومجالي جلاله وجماله ويُخفي عنه ما فيه خيره وهدايته وسعادته))^(٧٩٠).

❖ خذل:

أصل (خذل) يدل على ترك الشيء والقعود عنه، خذلته وخذلتُ عنه: إذا تركتُ نصرتَه وإعانتَه وتأخرتُ عنه، والاسم الخذلان وهو ترك المعونة، وتخادلتُ رجلاه: ضعفتا، وخذلان الله تعالى للعبد ألا يعصمه من السيئة فيقع فيها^(٧٩١).

والفعل (خذل) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً؛ لأن الخاذل يمتنع عن تقديم المعونة المنتظرة منه، ولولا هذا الرفض لما حصل الخذلان.

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات، الأولى بصيغة فعل مضارع، والثانية صفة

مشبهة، والثالثة اسم مفعول، قال تعالى: □... وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ

بَعْدِهِ... □^(٧٩٢)، وبلا شك في أن النصر الإلهي هو أقوى مراتب النصر، بل هو النصر الحقيقي، فإذا

ما انقطع وصول هذا النصر إلى المخلوق فليس هنالك ثمة نصر يمكن أن يقوم مقامه، والآية

٢. التحقيق: ٣/ ٣٣.

٣. سورة الانفال: ٦٢.

٤. سورة البقرة: ٩.

٥. سورة النساء: ١٤٢.

٦. التحقيق: ٣/ ٣٤.

١. ينظر: مقاييس اللغة (خذل): ١٦٥/٢، التهذيب: ٣٢٣/٧، المصباح المنير: ١/ ١٦٥ - ١٦٦.

٢. سورة آل عمران: ١٦٠.

الكرامة درسٌ إلهي في توجيه العبد للاستعانة بالله وحده فمن توكل على الله فهو حسبه، ومن استعان بغير الله تعرض لانقطاع اللطف والتأييد والتوفيق الإلهي وهذا هو الخذلان .

وقال تعالى: □ ... وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا □ (٧٩٣)، فالشيطان للإنسان عدو مبين، والعدو يحمل كل معاني الرفض لمن يعاديه، فمن الطبيعي أن يكون شأنه ((خذل العبد وإضلاله وتركه على الحيرة والضلالة والمخدولية)) (٧٩٤).

وقال تعالى: □ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا □ (٧٩٥)، واسم المفعول المشتق من فعل مبني للمجهول فيه إشارة إلى أن الفاعل أكثر من مصدر واحد، فمن اتخذ إلهاً مع الله فهو خاذل، كما أن الله سبحانه يخذل من استعان بغيره .

❖ خرب:

أصل (خرب) يدل على التثلم والتثقب، والخربة: الثقب، وكل ثقب مستدير فهو خربة، والخراب ضد العمارة، وخربوا بيوتهم، شدد لفسو الفعل أو للمبالغة (٧٩٦).
و (خرب) من الأفعال السلبية التي تعكس رفضاً نفسياً، فمن خرب بيتاً فقد هدمه لأنه رافض لفكرة قيامه أو إعماره .

وردت هذه اللفظة مرتين فقط في القرآن الكريم، الأولى بصيغة فعل مضارع والثانية بصيغة المصدر، قال تعالى: □ ... يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ □ (٧٩٧)، أي يهدمونها .

وقال تعالى: □ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا □ (٧٩٨)، وخرابها يمكن أن يكون مادياً يلحق الأمور المادية، ويمكن أن يكون معنوياً يلحق الأنظمة والبرامج، لأن (سعى في خرابها) يعني سعى ((في هدمها، أو في إحداث خلل فيها، أو بالإفساد في نظمها، أو بإيجاد ضعف وهن في جريان برامجها، وكل ذلك يطلق عليه التخريب في قبال التعمير)) (٧٩٩)، ولوحظ تقارب دلالي بين (خرب) وبعض الأفعال.
((ولا يخفى أن الخرب قريب من الخرق والخرم لفظاً ومعنى، ولا يبعد أن يكون مفهوم الثقب في الخرب مأخوذاً من الخرم، فيكون استعمال الخرب في الثقب وارداً في غير الفصح ومن غير الفصحاء تشابهاً، وهو من تداخل اللغات)) (٨٠٠).

❖ خرق:

أصل (خرق) هو مزق الشيء وجوبه، يقال خرقت الأرض أي جبتها، والخرق: ثقب في الحائط وغيره، ويقال خرقت الثوب وخرقته فاتخرق وتخرق واخرورق، ويقال في ثوبه خرق، والخرقة من الثوب: القطعة منه، ثم تطورت دلالة الخرق فصار يطلق على قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر تفكر (٨٠١).

٣. سورة الفرقان: ٢٩.

٤. التحقيق: ٣٧ / ٣.

٥. سورة الاسراء: ٢٢.

٦. ينظر: مقاييس اللغة (خرب): ١٧٤/٢، الصحاح: ١١٨/١، التهذيب: ٣٥٨/٧، المصباح المنير: ١٦٦/١.

١. سورة الحشر: ٢.

٢. سورة البقرة: ١١٤.

٣. التحقيق: ٣٩ / ٣.

٤. نفسه: ٣٩ / ٣.

٥. مقاييس اللغة (خرق): ١٧٢/٢، الصحاح: ٤٦٦/٤، المفردات: ٢٨٠، المصباح المنير: ١٦٧/١.

و (خرق) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً، لاسيما عندما تقترب دلالتها من معنى (خرّب)، لأن (خرق) تحمل دلالة التصرف السيئ سواء كان بالشق أو المزق أو الثقب أو غيرها ((فيقال خرق الثوب أي شقها ومزقها وقطعها، وخرق الأرض أي مشى فيها بنحو المزق والشدة وعلى خلاف الجريان الطبيعي والعادي، وهذا المعنى مجاز وماخوذ من خرق الأرض والتصرف السيئ فيها، وخرق الغزال إذا حصلت له حالة الوحشة وانقطع جريان حاله وخرج عن الاعتدال، واخترقت الريح الأرض إذا تجاوزت عن حدّ الجريان الطبيعي ومزق مهّبها، وهكذا سائر المعاني السابقة للمادة))^(٨٠٢).

قال تعالى: □ فَنَاطِقًا حَتَّىٰ إِذَا مَرَّكَبًا فِي السَّيِّئَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا... □^(٨٠٣)، ((أي عمل فيها تصرف سوء من الثقب أو القطع أو الشق أو الفرق أو غيرها مما يوجب الغرق لأهلها))^(٨٠٤).

❖ خزي:

أصل (خزو) الإبعاد، فقولهم أخزاه الله أي أبعده ومقته، والاسم الخزي، وخزي يخزي خزيا، نل وهان، أو وقع في بليّةٍ وشرٍّ وشهرة، وخزي الرجل: استحيا من قبح فعله، وأخزاه الله: أدله وأهانه أو أقامه على خزية^(٨٠٥).

ومن شعر بالخزي فهو رافض لتلك الحالة لأنها حاصلة ((عقب الابتلاء الشديد وبعد نزول البلاء والشدة والعذاب الأليم، من التأثر والتحير واختلال الفكر والتدبير وفساد النظم في الحياة وتفريق الحواس))^(٨٠٦)، ومن تعرّض للخزي فهو مرفوض .

ورد هذا الفعل لازماً مرة واحدة في القرآن الكريم ومتعدياً اثنتي عشرة مرة، وفي هذا دليل على أن استعماله متعدياً أكثر شيوعاً في العربية من استعماله لازماً، قال تعالى: □ . لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا

مَرْسُولًا فَنَسُبَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ نَذْلًا وَنَخْزِي □^(٨٠٧)، ونخزي أي نبتلى ونتعرض للفضيحة، يدل على ذلك

قوله تعالى: □ قَالَ إِنْ هُوَ إِلَّا ضَرِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ □^(٨٠٨)، أي لا تجعلوني متحيراً مُشْتَتِ الأفكار بسبب شدة التأثر من سوء ما تريدون ومن قبيح عملكم .

وفاعل الفعل المتعدي (أخزي) غالباً ما يعود على الخالق سبحانه^(٨٠٩)، لأنه مثلما كان أقوى درجات النصر الحقيقي هي من عند الله، كذلك أشد درجات الخزي الحقيقي هي من عند الله، أو يكون الفاعل مجازياً علاقته السببية كالعذاب^(٨١٠)، الذي يشكل أحد أسباب الخزي في الدنيا وفي الآخرة، وأحياناً يكون الفاعل جماعة من البشر ممن يعملون القبائح كقوم لوط^(٨١١)، والفاعل في كل الأحوال رافض لمن وقع عليه الخزي بسبب أعماله وأفكاره .

٦. التحقيق: ٥٢ / ٣ .

١. سورة الكهف: ٧١ .

٢. التحقيق: ٥٢ / ٣ .

٣. ينظر مقاييس اللغة (خزو): ١٧٩/٢، لسان العرب (خزا): ٢٢٦/١٤، المصباح المنير: ١٦٨/١ .

٤. التحقيق: ٥٦ / ٣ .

٥. سورة طه: ١٣٤ .

٦. سورة الحجر: ٦٨ - ٦٩ .

٧. سورة آل عمران: ١٩٢، ١٩٤، سورة التوبة: ١٤، سورة الحشر: ٥، سورة التحريم: ٨، وغيرها .

٨. سورة هود: ٣٩، ٩٣، سورة الزمر: ٤٠ .

٩. سورة هود: ٧٨، سورة الحجر: ٦٩ .

❖ خَسَفَ:

أصل (خسف) يدل على غموض وغوور، خسف المكان: غار في الأرض وخسف القمر: ذهب ضوءه أو نقص، وانخسفت العين: عميت، والمهزول يسمى خاسفاً كأن لحمه غار ودخل، وخسِفَ بالرجل وبالقوم: إذا أخذته الأرض فدخل فيها^(٨١٢).

و (خسف) في أصلها لا تدخل في موضوع الرفض إلا إذا كان الخسف أحد صور العقوبة، حينها سيكون من الأفعال التي تجسد الرفض النفسي، لأن العقوبة لا تنزل بأحد إلا إذا كان مرفوضاً بسبب أعماله غالباً.

وردت هذه اللفظة ثمان مرات في القرآن الكريم، سبع منها في مجال الرفض، أما للتعبير عن

العقوبة أو للتهديد بإنزال العقوبة، قال تعالى: ﴿... وَأَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفٌ بَنَاتٌ...﴾^(٨١٣)، وقال

تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...﴾^(٨١٤).

فالخسف في هذه الآيات أستعمل في معناه الحقيقي الذي يدل على ((الدخول والغوور بحيث ينمحي أثر الغائر... وأما معاني العمى والهزال والجوع وذهاب النور والنقص والهوان وغيرها فمعاني مجازية ومن آثار الأصل))^(٨١٥).

❖ خَصِمَ:

أصلها يدل على المنازعة، والخصم الذي يخاصم، يقع على المفرد وغيره والذكر والأنثى بلفظ واحد، والخِصام مصدر خاصمته مخاصمة وخِصاماً، ويجمع على خُصوم وخِصام وخِصماء، واختصم القوم: خاصم بعضهم بعضاً، وخصيمك: الذي يخاصمك^(٨١٦).

والخصومة لا تنشأ إلا بين طرفين رافض أحدهما للآخر، ويمكن أن تكون من طرف واحد رافض للطرف الآخر، والرفض قائم في النفس لكنه يمكن أن يظهر بوسائل عدة، والدليل على قيامه في النفس، قوله تعالى: ﴿... وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ...﴾^(٨١٧).

ويطلعنا القرآن الكريم على وقوع الخصومة في الدنيا وفي الآخرة ((ولا يخفى أن الخصومة من آثار الحياة الدنيوية ومن خصائص الطبيعة المحدودة المادية، وتنشأ من تزامن المنافع فيها))^(٨١٨)، ويبدو أن الخصومة في الآخرة هي امتداد للاختلاف والتنازع في الدنيا، وقيامها هناك محاولة

لإلقاء اللوم على طرف آخر للتخلص من العذاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

تَخْتَصِمُونَ﴾^(٨١٩)، ولا يكون ذلك إلا بين من حق عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ

١. ينظر مقاييس اللغة (خسف): ١٨٠/٢، التهذيب: ١٨٣/٧، المصباح المنير: ١/١٦٩.

٢. سورة القصص: ٨٢.

٣. سورة القصص: ٨١، وكذلك سورة العنكبوت: ٤٠، وسورة سبأ: ٩، وسورة النحل: ٤٥، وسورة الإسراء: ٦٨، وسورة الملك: ١٦.

٤. التحقيق: ٦٥/٣.

٥. ينظر مقاييس اللغة (خصم): ١٨٧/٢، التهذيب: ١٥٤/٧، المصباح المنير: ١/١٧١.

٦. سورة البقرة: ٢٠٤.

١. التحقيق: ٨١/٣.

٢. سورة الزمر: ٣١، وكذلك سورة ق: ٢٨.

أهل التكرار □ (٨٢٠).

والخصومة كثيراً ما تؤدي إلى العداوة والتجاوز إلى حق الطرف الآخر قال تعالى:
□ ... خَصْمَانِ بَغِيٍّ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ ... □ (٨٢١)، وبذلك يتطور الرفض النفسي إلى
رفض عملي أو سلوكي تجسده الأفعال.

وكثيراً ما ينشأ النزاع والجدال والعداوة بسبب الخصومة، ((والخصومة أعم من تلك المعاني
ويجوز أن تتحقق الخصومة من دون أن يحصل نزاع أو جدال أو معاداة)) (٨٢٢).

❖ خان:

أصل الخون هو التنقض، يقال: خان الرجل الأمانة يخونها خوئاً وخيانة ومخانة، وذلك نقصان
الوفاء، ويقال تخونني فلان حقي: أي تنقضي، وخائنة الأعين: قيل هو كسر الطرف بالإشارة
الخفية، وقيل هي النظرة الثانية عن تعمد، ويقال خانه الدهر والنعيم خوئاً، وهو تغير حاله إلى شر
منها)) (٨٢٣).

والخيانة من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً؛ لأن الخائن رافض للالتزام بالتعهد، فأصل هذه
المادة: ((هو العمل قولاً أو نية على خلاف التعهد الذي يتوقع منه ويوظف عليه، سواء كانت تلك
الوظيفة أمراً تكوينياً أو تشريعياً)) (٨٢٤).

وتقع الخيانة على الأشخاص كما تقع على الأمور المعنوية التي يجب الالتزام بها كالأمانات
والعهود وما شاكلها، قال تعالى: □ ... تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَاهُمَا ... □ (٨٢٥)، وخيانة

الأشخاص إنما هي تعبير عن نقض العهد معهم، قال تعالى: □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ... □ (٨٢٦)، ويراد بالخيانة ((نقض ما يتعهد فيما بينهم وبين الله وبين الرسول
أو بين أنفسهم، من إضمار ما يخالف إعلانهم وترك الفرائض والسنن والقول بما لا يعلمون ونقض
تعهداتهم)) (٨٢٧).

كما إن الخيانة رفض لخلق الالتزام بالعهد، فهي من الأفعال المرفوضة عند الله سبحانه وتعالى؛
لأنها من الأعمال الهدامة في المجتمع، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الرفض بقوله تعالى:

□ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ □ (٨٢٨)، وقال تعالى: □ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ □ (٨٢٩).

٣. سورة ص: ٦٤.

٤. سورة ص: ٢٢.

٥. التحقيق: ٨١ / ٣.

٦. ينظر مقاييس اللغة (خون): ٢ / ٢٣١، التهذيب: ٥١٨ / ٧، المصباح المنير: ١ / ١٨٤.

٧. التحقيق: ١٦٩ / ٣.

١. سورة التحريم: ١٠.

٢. سورة الأنفال: ٢٧.

٣. التحقيق: ١٦٩ / ٣.

٤. سورة الأنفال: ٥٨.

٥. سورة الحج: ٣٨.

❖ دحر:

أصل الدحر هو الطرد والإبعاد، ودَحَرَهُ يَدْحَرُهُ دَحْرًا ودُحُورًا: دفعه وأبعده، والدَّحْر: تبعيدك الشيء عن الشيء، أو هو الدفع بعنفٍ على سبيل الإهانة والإذلال^(٨٣٠).

وهو من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً؛ لأن الفاعل رافض للمفعول، عاملٌ على إظهار هذا الرفض بصورة قوية وجلية، فهذا العمل لا يظهر إلا بوجود رفض شديد.

جاءت هذه المادة بصيغة اسم المفعول في قوله تعالى: □ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذُومًا

مَذُومًا... □^(٨٣١)، والرفض في الآية على أوجه ففعل الأمر (أخرج) تحمل دلالة الطرد، ثم بيان حال الخروج (مذوومًا) تدل على صفة مرفوضة ثم (مدحوراً) التي تظهر حالة الإهانة والإذلال، كل هذه العوامل تضافرت لترسم لنا صورة الرفض الشديد لهذا المطرود طرداً أبدياً.

كما جاءت بصيغة الصفة المشبهة في قوله تعالى: □ ... وَيُذْفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا... □^(٨٣٢)، فالفعل (يُذْفُونَ) يظهر حالة الرفض لكن (دحوراً) توضّح سبب الذَّفِّ وكيفيته، أي مطرودين من الدحر وهو الدفع والإبعاد^(٨٣٣).

❖ دحض:

أصل الدحض يدل على زوال وزلق، يقال دَحَضْتُ رَجَاءً: زَلَقْتُ، ومنه دَحَضَتِ الشَّمْسُ: زالت، ودَحَضَتْ حِجَّةً فَلَانٌ: إذا لم تثبت، أو بطلت، والدَّحْضُ: جمع داحض وهم الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأمور، ومكان دَحَضَ إذا كان مَزَلَّةً لا تثبت عليها الأقدام^(٨٣٤). والفعل (دحض) لا يحمل دلالة الرفض ما لم يصبح متعدياً بدخول الهمزة عليه فـ (أدحض) تجعل الفاعل رافضاً للمفعول من خلال محاولته لأزالته وإبطاله.

قال تعالى: □ ... وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ... □^(٨٣٥)، فجِدال الكفار قائم على الباطل لكي يزيلوا الحق ويبطلوه^(٨٣٦).

وجاء بصيغة اسم المفعول في قوله تعالى: □ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ □^(٨٣٧)، أي ((أدحضوه عن مقامه ومكانه وأزلقوه، حتى يُلقوه في البحر لينتهي إلى الزوال))^(٨٣٨).

❖ درأ:

٦. مقاييس اللغة: ٢ / ٣٣١، لسان العرب (دحر): ٤ / ٢٧٨.
٧. سورة الأعراف: ١٨.
١. سورة الصافات: ٨ - ٩.
٢. جامع البيان: ٢٣ / ٣٩.
٣. مقاييس اللغة (دحض): ٢ / ٣٣٢، لسان العرب (دحض): ٧ / ١٤٨.
٤. سورة الكهف: ٥٦.
٥. ينظر: الكشاف: ٢ / ٧٢٩.
٦. سورة الصافات: ١٤١.
٧. التحقيق: ٣ / ١٩٩.

الدَّرْعُ: الدفع، وتدارأ القوم: تدافعوا في الخصومة ونحوها واختلفوا، وإنه لدو تُدرأ أي حفاظ ومَنعة وقوّة على أعدائه ومدافعة، يكون في الحرب والخصومة، ويقال جاء السيل درءاً: إذا جاء من بلد بعيد^(٨٣٩).

والدرء من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً لأنه؛ ((الدفع مع شدة بحيث يشعر بحصول الخلاف والخصومة))^(٨٤٠)، هذا إذا كان المفعول شخصاً، أما إذا كان أمراً معنوياً كالعذاب والموت والسيئة فالخصومة نفسية والدفع معنوي .

قال تعالى: □ ... وَيَذُرُّهَا * عَنْهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ... □^(٨٤١)، وقال تعالى:

□ ... وَيَذُرُّوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ... □^(٨٤٢)، ويمكن أن يكون الدرء من الطرفين عند حصول الخلاف

كما في قوله تعالى: □ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّأرْتُمْ فِيهَا ... □^(٨٤٣)، أي اختلفتم وتدافعتم، لأنه متضمن ((معنى الدفع مع شدة محتاجة إليها في موارد الخصومة والخلاف))^(٨٤٤).

وإذا كان ثمة تقارباً دلاليّاً بين الدرء والرد والمنع والكف والإمساك، إلا أن هنالك فارقاً بين هذه المواد وهو: ((أن الرد: يلاحظ فيه المنع على عقبه، والدفع: يلاحظ فيه مطلق جهة المنع سواء كان رداً على العقب أم لا، والمنع: يلاحظ فيه جهة إيجاب ما يتعدّر به الفاعل القادر على فعله، فهو ضدّ الفعل وإيجاده، أعمّ من أن يكون في ضرر أو على نفسه أو غيره، والإمساك: حبس النفس عن الفعل نقيض الإرسال، والكف: امتناع عما تشتهي النفس ومرجعه إلى الانقباض والتجمّع، فهو ضدّ البسط))^(٨٤٥).

❖ دَعَّ:

أصل الفعل (دَعَّ) يدل على حركة ودفع واضطراب، فالدَعَّ: الدفع، يقال دَعَّه يدُعه دَعّاً: دفعه في جفوة، وقال ابن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ): دَعَّه: دفعه دَفْعاً عَنِيفاً، والدَعَّ: الدفع الشديد^(٨٤٦).
والدع من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً لأنه يحمل دلالة الدفع بشدة وعنف.

جاءت هذه اللفظة في آيتين من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: □ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ

دَعّاً □^(٨٤٧)، والآية الكريمة في صدد بيان الرفض الإلهي للمكذّبين، وجاء المفعول المطلق

للتوكيد، ((وهذا التشديد الأكيد في مقام الابتداء بالعذاب والابتلاء، وليس المقام مقام رحمة ولين))^(٨٤٨)، وكان يكفي تعبير (يدخلون إلى نار جهنم) للدلالة على الرفض الإلهي، أو (يوردون) لكن هذا

٨. ينظر: مقاييس اللغة (درع): ٢/٢٧١، لسان العرب: ١/٦٤-٦٩، المصباح المنير: ١/١٩٤.

٩. التحقيق: ٣/٢٠٨.

١. سورة النور: ٧-٨.

٢. سورة الرعد: ٢٢.

٣. سورة البقرة: ٧٢.

٤. التحقيق: ٣/٢٠٩.

٥. التحقيق: ٣/٢٠٩.

٦. ينظر: مقاييس اللغة (دع): ٢/٢٥٧، ولسان العرب (دع): ٨/٨٥، والمفردات: ٣١٤.

٧. سورة الطور: ١٣.

٨. التحقيق: ٣/٢٣٦.

التعبير يحمل دلالة الشدة في الرفض نتج عنها شدة في التعامل .

وقال تعالى: □ فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ □ (٨٤٩)، وذلك دليل على رفض لإعطاء اليتيم عطاءً مادياً

أو معنوياً، ويؤيد هذا الآية التالية: □ وَكَأَيُّ حُضٍّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ □ (٨٥٠)، وفيها إشارة واضحة لرفض العطاء المادي.

وقريب من هذا المعنى (دفع) فيدل على تنحية الشيء، وتدافع القوم: دفع بعضهم بعضاً، والمدافعة: المطاولة والمماطلة (٨٥١).

والدفع قريب من المنع، إلا إن ثمة فرقا بينهما، فالدفع في أصله ((هو المنع بقاءً واستدامة، فإن المنع هو ناظر إلى جهة أصل الوجود وتحقق شيء، في مقابل المقتضي والسبب، والدفع ناظر إلى جهة إدامة الشيء وبقائه)) (٨٥٢).

قال تعالى: □ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ □ (٨٥٣)، و(دافع) تحمل دلالة الرفض، ((أي إذا وقع عذابه ونزل على الكافرين والعاصين لا يمكن دفعه، بل يدوم، فظهر لطف التعبير بالمادة في هذه الموارد، دون الرد أو المنع أو التنحية أو الأبعاد ونظائرها)) (٨٥٤).

❖ دمدم:

دمَّ الرجل فلاناً: إذا عذبه عذاباً ما، والدمدمة: الإهلاك، وأكثر المفسرين قالوا في دمدم عليهم: أي أطبق عليهم العذاب، يقال دمدمت على الشيء أي أطبقت عليه (٨٥٥).

وهذا من الأفعال التي تجسد الرفض النفسي الشديد لأنه إهلاك بطريقة إطباق العذاب، وبطريقة

تكرر الفعل، قال تعالى: □ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها □ (٨٥٦)، ودمدم تحمل في دلالتها

التكرار وتحقق الفعل وجريانه بدفعات، وهذا يعني أن تعذيبهم كان بمرات وبالمرات وبالتدرج، وبهذا تظهر بعض أسباب العدول عن كلمات بديلة كالإهلاك والإفناء والتعذيب وغيرها (٨٥٧).

وقريب من هذا المعنى ما تحمله لفظة (دمر) التي تدل في الأصل على الدخول في البيت وغيره، وأضاف آخرون إلى إن الدخول بغير إذن (٨٥٨)، يقول الزمخشري: ((وقد دمرت على القوم: هجمت على القوم بغير استئذان)) (٨٥٩)، والدمار: الهلاك، يقال دمره تدميراً ودمر عليه: بمعنى.

والتدمير الذي يعني الإهلاك والإفناء والتعذيب والاستيصال، هو من الأفعال الدالة على الرفض الشديد، والتدمير هو جعل الشيء ((دامراً ووارداً على خلاف النظم والجريان، وهذا المفهوم

١. سورة الماعون: ٢.

٢. سورة الماعون: ٣.

٣. ينظر مقاييس اللغة (دفع): ٢ / ٢٨٨، والمصباح المنير: ١ / ١٩٦.

٤. التحقيق: ٣ / ٢٤٧.

٥. سورة الطور: ٧-٨.

٦. التحقيق: ٣ / ٢٤٨.

٧. ينظر: التهذيب: ١٤ / ٨١، ومقاييس اللغة (دم): ٢ / ٢٦٠، الصحاح (دمم): ٥ / ١٩٢١.

٨. سورة الشمس: ١٤.

٩. ينظر: التحقيق: ٣ / ٢٦٢-٢٦٣.

١. ينظر: الصحاح (دمر): ٢ / ٦٥٩، التهذيب: ١٤ / ١٢٢.

٢. أساس البلاغة: (دمر).

مرجعه إلى الإخلال في نظمه وإخراج الشيء عن جريانه الطبيعي))^(٨٦٠).

ورد هذا الفعل سبع مرات بصيغة الماضي في القرآن الكريم، كان الفاعل فيها الخالق سبحانه، سواء ورد صريحاً كما في قوله تعالى: □ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... □^(٨٦١)، أو كان ضميراً متصلاً وهو (نا) المتكلمين عائدة على الخالق سبحانه أيضاً كما في قوله تعالى: □ ... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ... □^(٨٦٢).

وجاء بصيغة المضارع مرة واحدة في قوله تعالى: □ ... مَرِحَ فِيهَا عَذَابُ أَلِيمٌ * تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا... □^(٨٦٣)، والفاعل فيها وإن كانت الريح إلا أن قدرتها التدميرية مُستمدة من الخالق كما أنها لا تمتلك الإرادة لذلك قالت الآية (بأمر ربها).

وجاء المصدر من هذا الفعل مرتين، قال تعالى: □ ... أَمْرًا مُسْرِفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا □^(٨٦٤)، وفي ذلك دلالة على التوكيد، فضلاً عن إفادة معنى الدمار الشامل الكامل الذي لا يُبقي شيئاً، لذلك فإن ((التدمير نحو خاص من البلاء وهو أعم من الإهلاك، وإن كان الغالب فيه هو الانتهاء إليه))^(٨٦٥). من ذلك يتضح أن هذه اللفظة أينما وردت في القرآن الكريم فإنها تعبر عن رفض الهي عالي المستوى لمن وقع عليهم التدمير، وأن هذا الرفض لا سبيل لتحويله إلى قبول عن طريق التوبة أو غيرها لأنه وصل إلى مرحلة الرفض النهائي المترتب عليه إنهاء المرفوضين.

❖ رجم:

أصل الرجم: الرمي بالحجارة، والرجم القتل، وقد رجمته أُرجمه رَجماً، فهو رجم ومرجوم، والرَّجْم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم، ويكون الرجم بمعنى المشتوم المسبوب، والرَّجْم: الطرد، والرَّجْم: الظن، ورجمته بالقول: رميته بالفحش^(٨٦٦).

وسواء كان الرجم قولاً أو فعلاً فهو مما يجسد رفضاً نفسياً ويختلف نوع الرجم باختلاف شدة الرفض.

وقد حدد المصطفوي أربع مراتب للرجم، الوارد في القرآن الكريم، منه الرجم بالحجارة كما في

٣. التحقيق: ٢٦٤ / ٣.

٤. سورة محمد: ١٠.

٥. سورة الأعراف: ١٣٧، وكذلك في سورة الشعراء: ١٧٢، وسورة الصافات: ١٣٦، وسورة الإسراء: ١٦، وسورة الفرقان:

٣٦، وسورة النمل: ٥١.

٦. سورة الأحقاف: ٢٤ - ٢٥.

٧. سورة الإسراء: ١٦.

٨. التحقيق: ٢٦٥ / ٣.

١. ينظر مقاييس اللغة (رجيم): ٤٩٣ / ٢، الصحاح (رجم): ٥ / ١٩٢٨، لسان العرب (رجم): ١٢ / ٢٢٦، المصباح المنير: ١ /

قوله تعالى: □ ... وَلَوْلَا مَرْهَطُكَ لَرَجِمْنَاكَ ... □ (٨٦٧)، والرجم بالحجارة ((لا يلزم القتل والموت إلا في موارد يقصد بها القتل)) (٨٦٨).

ومنه الرجم بالقول السيئ، كما في قوله تعالى: □ ... وَيَقُولُونَ خُمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ... □ (٨٦٩).

ومنه الرجم المطلق، كما في قوله تعالى: □ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَمَرْبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ □ (٨٧٠)، أي أن تؤذوني وترجموني بكل عمل شديد وقول سيئ.

ومنه الرجم المعنوي كما في قوله تعالى: □ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ مَرْجِيءٌ □ (٨٧١)، والرجم هنا تبعيد عن مقام القرب والإهباط عن درجة الطاعة والعبودية والروحانية.

((ولا يخفى أن المراتب الأربعة للرجم من جهة الشدة والعذاب: على الترتيب الذي ذكرناه، فإن جراحات الحجارة تنقضي أيامها بخلاف جراحات اللسان، وأشد منها البعد والحرمان الروحاني عن مقام الحق جل شأنه)) (٨٧٢).

❖ رد:

أصل رد، هو رجوع الشيء، ورددت الشيء رداً: منعته، فهو مردود، وسمي المرتد لأنه رد نفسه إلى كفره (٨٧٣).

والرد من الأفعال التي تجسد الرفض النفسي إذا كانت تحمل دلالة المنع، لأنها تعني في بعض الأحيان مجرد الرجوع، وتبقى هذه اللفظة داخلية في ميدان الرفض ما دام السياق يمنحها مؤشرات أو قرائن تُعبر عن وجود رافض ومرفوض.

قال تعالى: □ وَمَرَّةَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَغِيظِهِمْ لَمْ يَتَأَلَوْا خَيْرًا ... □ (٨٧٤)، وقال تعالى: □ ... وَإِنْ كَانَ يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ... □ (٨٧٥)، أي: (لا دافع ولا مانع له) (٨٧٦)، وقال تعالى: □ ... وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ □ (٨٧٧)، أي: (نازل بهم عذاب غير مصروف عنهم ولا مدفوع) (٨٧٨).

٢. سورة هود: ٩١.
٣. التحقيق: ٨٠ / ٤.
٤. سورة الكهف: ٢٢.
٥. سورة الدخان: ٢٠.
٦. سورة الحجر: ٣٤.
٧. التحقيق: ٨١ / ٤.
١. ينظر مقاييس اللغة: ٣٨٦ / ٢، التهذيب: ٦٣ / ١٤، المصباح المنير: ٢٢٤ / ١.
٢. سورة الاحزاب: ٢٥.
٣. سورة يونس: ١٠٧.
٤. المفردات: ٢٨٠.
٥. سورة هود: ٧٦.
٦. صفوة التفاسير: ٢٦ / ١.

والمرتدّ هو الشخص الذي رفض الحالة التي وصل إليها فقرر الرجوع إلى ما كان عليه، وهو رفض نفسي قد تُظهره الأفعال والأقوال وقد يبقى كامناً في النفس، والارتداد عن الدين هو رفض للثبات على الدين وينتج عنه رفض الهي لهذه الحالة، قال تعالى: □ إِنَّ الَّذِينَ آمَرْتُمْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مَنْ بَدَأَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ □^(٨٧٩)، والارتداد الافتعال للمطاوعة، فيدلّ على اختيار الفعل .

❖ ركس :

أصل (ركس) هو قلب الشيء على رأسه وردّ أوله على آخره، وأركسته: رددته على رأسه، وأركس الله عدوك: قلبه على رأسه أو قلب حاله^(٨٨٠). و (أركس) من الأفعال التي تجسد الرفض النفسي، لأن الفاعل لا يريد تحسين حالة المفعول.

ورد هذا الفعل مرتين في القرآن الكريم، قال تعالى: □ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ

بِمَا كَسَبُوا أْتِرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ... □^(٨٨١)، وقال تعالى: □ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ

وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا... □^(٨٨٢)، أي أن الله سبحانه وتعالى (((أعادهم إلى

أحوالهم السابقة من الكفر والخلاف والظلمة والعدوان والضلال وذلك في أثر كسبهم السيئات وارتكابهم الخطيئات وانحرافهم عن الصراط، وأنهم كلما دُعوا إلى إيجاد فتنة وعمل خلاف من جانب المخالفين: انقلبت حالاتهم إلى سابقة أمورهم من الضلال والكفر والعناد))^(٨٨٣).

❖ زيغ :

تدل على ميل الشيء، يقال: زاغ يزيغ زيغاً، وزاغت الشمس: إذا مالت، والزيغ: الميل عن الاستقامة، والتزيغ: التمايل^(٨٨٤).

والميل عن الحق أو عن الاستقامة إنما يكون بفعل أو مجموعة أفعال تجسد رفضاً نفسياً، فاللفظ في أصله يدل على مطلق الميل إلا أن تطوره الدلالي وجهه نحو التخصص بالميل عن الحق، فقولنا (زاغت الشمس) أو (زاغ البصر) لا تشير إلى دلالة رفض لشيء ما، لكن عبارة (زاغت القلوب) تحمل دلالة الرفض النفسي الصريح .

قال تعالى: □ ... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ... □^(٨٨٥)، وزيغٌ تدل على ميل القلوب

عن الحق بسبب رفضها له.

٧. سورة محمد: ٢٥.

٨. ينظر مقاييس اللغة (ركس): ٢/ ٤٣٤، المصباح المنير: ٢٣٧.

٩. سورة النساء: ٨٨.

١. سورة النساء: ٩١.

٢. التحقيق: ٤/ ٢٢٦.

٣. ينظر مقاييس اللغة (زيغ): ٣/ ٤٠، المفردات: ٣٨٧، المصباح المنير: ١/ ٢٦٠.

٤. سورة آل عمران: ٧.

وقال تعالى: □ ... مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ... □ (٨٨٦)، وقوله:

□ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا... □ (٨٨٧)، وارتباط الزيغ بالقلوب في الآيات الكريمت دليل على أن هذا الفعل منشأه في القلب، أي أنه فعل نفسي في جوهره، لا يظهر للأنظار إلا من خلال الأفعال التي تعكس وجوده .

❖ ثبُط :

ثبطه عن الشيء ثبطاً، وثبطه تثبيطاً: قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذياً ونحوه، وثبطه على الأمر فتثبط: وقفه عليه فتوقف، وثبطت الرجل تثبطاً: حبسته (٨٨٨).

و (ثبط) من الأفعال التي تجسد الرفض النفسي للقيام أو الاستمرار بعمل ما، ومن الجدير بالملاحظة أن التثبيط عمل على التأثير نفسياً على القائم بعمل من أجل أن يقعد عن عمله أو ينشغل عنه أو يتركه .

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: □ ... وَكَانَ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ □ (٨٨٩)، وثبط تعني نفي الاستقرار القلبي والمعنوي، أو سلب الإرادة والثبات على العمل فأدى ذلك إلى أن يقعدوا مع القاعدين، أي أن يتركوا العمل الذي هموا إليه.

❖ ستر:

السَّتر: ما يُستر به، وستر كلمة تدل على الغطاء، والسُّترة ما استترت به كأنما ما كان، والله ستر العيوب، ودونه ستر وسُترة وسِتارة وسِتار وسُتور وأستار وسُتْر وسُتائر (٨٩٠). والستر قريب من الحجب والحجز والتغطية والإخفاء والحجر، فهو من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً لإظهار المستور، وان كان الستر معنى مستقل فهو ((كون الشيء تحت ساتر ومطلق المستورية بأي نحو ووسيلة كان ... والحجب: هو كون الحائل المانع عن تلاقي شينين أو أثرهما، فالنظر فيه إلى مطلق وجود الحجاب، ولا يلاحظ جهة تغطية ولا موارد ... والتغطية: يلاحظ فيها مطلق الموارد ولو من جانب واحد، والحجز: النظر فيه إلى كون شيء فاصلاً بين شينين ومانعاً بينهما، ... والإخفاء: يلاحظ فيه مجرد كون الشيء في الخفاء بأي وسيلة كان، سواء كان بموارد أو ستر أو تغطية أو حجاب أو غيرها (٨٩١).

وردت هذه اللفظة ثلاث مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: □ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا □ (٨٩٢)، و (حجاباً مستورا) تعبير عن وجود مانع يجسد الرفض الإلهي لوصول مدارك الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى القرآن لأنه ((مظاهر المعارف الإلهية

٥. سورة التوبة: ١١٧.

٦. سورة آل عمران: ٨.

٧. ينظر: لسان العرب (ثبط): ٢٦٧ / ٧، الصحاح (ثبط): ١١١٧ / ٣، المصباح المنير: ٨٠ / ١.

١. سورة التوبة: ٤٦.

٢. ينظر: مقاييس اللغة (ستر): ١٣٢ / ٣، المصباح المنير: ٢٦٦ / ١.

٣. التحقيق: ٥٨ / ٥.

٤. سورة الإسراء: ٤٥.

وشردّ من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً لأنها تتضمن معنى النفار مع وحشة أو النفار مع الكراهة .

ورد هذا الفعل مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة الأمر في قوله تعالى: □ فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي

الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ □ (٩٠١)، فشرّد بهم أي ((فخذهم أخذة شديدة ونكّلهم بنكال وبأشدّ عذاب، حتى يكون عبرة للذين من ورائهم من المخالفين، فينفروا عن المخالفة والمقاتلة ونقض المعاهدة، متوحشين خائفين)) (٩٠٢).

❖ شقّ:

أصل الشق يدل على انصداع في الشيء، ثم يُحمل عليه ويُشتق منه على معنى الاستعارة، تقول شققت الشيء أشقّه شقاً إذا صدعته، والشقاق: الخلاف، ذلك إذا انصدعت الجماعة وتفرقت، وانشقت عصا القوم إذا تفرقت أمرهم، ويقال أصاب فلاناً شق ومشقة، وذلك الأمر الشديد، فهو شاق، وشاقه مشاقّة وشقاقاً: خالفه، وحقيقته أن تأتي كلّ منهما ما يشق على صاحبه، فيكون كلّ منهما في شقّ غير شقّ صاحبه (٩٠٣).

والشقاق هو خلاف بين طرفين رفض أحدهما فكرة الآخر، فحصل التفرق، كما أن الفعل (شاق) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً (٩٠٤).

ورد الشقاق بمعنى الخلاف في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ . . . وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ

لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ □ (٩٠٥)، ((فتحقق الاختلاف في الكتاب، وحصول الشقاق والانفراج والخلاف ومفارقة النبي، والكفر بالله وبرسوله: توجب انفراجاً شديداً وتفرقاً) (٩٠٦).

كما جاء الفعل (شاق) في قوله تعالى: □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ □ (٩٠٧)، و (يشاقق) يدل على استمرار المخالفة في خصوص الأحكام الإلهية وهذا يوجد المعادة وإيجاد الانفراج مع التفرق ((وأما نسبة المشاققة إلى الله ورسوله دون الأحكام والدين: فللمبالغة، فكان إيجاد الشقّ في الأحكام الإلهية، مشاققة في الله ورسوله)) (٩٠٨).

❖ صدّ:

الصدّ: الإعراض، صددته عن كذا صدّاً: منعه وصرفته، وصددت عنه: أعرضت، والصدود والصدّ: قد يكون انصرافاً عن الشيء، وامتناعاً (٩٠٩).
وصدّ من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً، لأنها تقترب دلاليّاً من اعرض، وصرّف، وعدل، ومنع.

١. سورة الأنفال : ٥٧ .

٢. التحقيق : ٣٩/٦ .

٣. ينظر: مقاييس اللغة (شق): ١٧٠ / ٣ ، المصباح المنير: ٣١٩ / ١ .

٤. سورة البقرة : ١٧٦ .

٥. التحقيق : ١١٣ / ٦ .

٦. سورة الأنفال : ١٣ .

٧. التحقيق : ١١٥ / ٦ .

٨. معترك الاقران : ٤١٧ / ٣ .

٩. مقاييس اللغة (صد): ٢٨٢ / ٣ ، المفردات: ٤٧٧ ، المصباح المنير: ٢٣٤ / ١ .

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بصيغة الماضي والمضارع والمصدر، قال تعالى:
□ فَمَنْ مِّنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمَنْ مِّنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ... □ (٩١٠)، وأكثر ما جاء الصد (عن سبيل الله)، وأغلب ما
ذُكر الصد عن الأمور المعنوية.

ولم يرد الصد في ميدان المدح، لأن دلالاته كانت تدور حول ((الصدق والعدل يقترب من
الكفر، ويلزم النفاق وابتغاء الحياة الدنيا والاعوجاج عن سبيل الله)) (٩١١).

وإن اقتربت دلالة الصد من المنع فإن الفارق بينهما ((إن الصد هو المنع عن قصد الشيء
خاصة ولهذا قال تعالى: □ ... وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... □ (٩١٢)، أي يمنعون الناس عن
قصده والمنع يكون في ذلك ألا ترى أنه يقال منع الحائض من الميل لأن الحائض لا تصد له ويقولون
صدني عن لقائك عن قصد لقائك وهذا بين)) (٩١٣).

وقريب من هذا المعنى ما يحمله الفعل (صدف) الذي يدل على الإعراض أيضاً، قال الخليل
(١٧٠ هـ): الصَّدْفُ: الميل عن الشيء، وصدف عني: أعرض، ويقال امرأة صدوف: للتي تعرض
وجهاً عليك ثم تصدّف (٩١٤).

ورد هذا الفعل ثلاث مرات في القرآن الكريم في سورة الأنعام حصراً، قال تعالى: □ ... فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَجَجِرِي الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصُدُّونَ □ (٩١٥)،
والصدف الوارد في الذكر الحكيم كان عن الآيات، وفسر بمعنى الإعراض وإن كان ثمة فرقاً بين
المعنيين لأن ((الصدف إعراض بلا تحقيق وتفكير وتدبر بخلاف الإعراض، فإن في الإعراض
مواجهة ومقابلة وتحقيقاً في الجملة)) (٩١٦)، وسياق الآيات يؤيد ((إن الصدوف عن الشيء يكون
بعد العلم والمعرفة به لذلك هو من أقوى الألفاظ التي حملت معنى الرفض والذي يدلنا على ذلك
قوله تعالى في الآية نفسها (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أي حجة واضحة تعرفونها، لذلك قال من
أشد ظلاماً ممن يكذب الآيات وهو يعرفها)) (٩١٧).

❖ ضيَع :

ضيَع: أصل يدل على فوت الشيء وذهابه وهلاكه، ويقال أضاع الرجل عياله وماله وضيَعهم
إضاعة وتضييعاً فهو مُضَيِّعٌ ومُضَيِّعٌ (٩١٨).

وأضاع إذا كان مفعولها شيئاً مادياً، وكان التضييع عفويّاً، فإنها لا تدخل في موضوع الرفض،
أما إذا كان مفعولها شيئاً معنوياً وكان التضييع عن قصد، فيكون فعلاً مجسداً لرفض نفسي إن لم

٢. سورة النساء: ٥٥.

٣. التحقيق: ٢٤٧/٦.

٤. سورة الأنفال: ٣٤.

٥. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة: ١٩٨.

٦. العين (صدف): ١٠١/٧، الصحاح: ١٣٨٤/٤، التهذيب: ١٢/١٤٦، المصباح المنير: ٣٣٥/١.

٧. سورة الأنعام: ١٥٧.

١. التحقيق: ٢٥٨/٦.

٢. الرفض في الخطاب القرآني (السور المكية)، دراسة فنية، هوازن عزة ابراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ٩٨.

٣. مقاييس اللغة (ضيَع): ٣٨٠/٣، التهذيب: ٧١/٣.

تعبّر عن رفض نفسي بشكل مباشر، ويقترب معناها من فقدان الموت والفناء والفوت والهلاك والقتل والعدم إلا إن ((الأصل الواحد في المادّة: هو انمحاء الصورة والنظم في شيء وعدم ترتّب الأثر له بحيث يكون مهملًا))^(٩١٩).

و (أضاع) الواردة في القرآن الكريم تحمل دلالة الرفض، لأنها تُعبّر عن حقيقة الرفض لشيء ما، قال تعالى: □ فَخَلَفَ مِنْ بَدَمِهِ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ... □^(٩٢٠)، وقال تعالى: □ ...إِنَّا لَأَنْضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ □^(٩٢١)، وإضاعة عقيدة أو عمل أو جزاء مترتب إنما يكون نتيجة رفض النفس للتمسك أو قبول ذلك الشيء، و((الضياع أقل مرتبة من التلف والفوت والمحو، فإنّ عدم تحصيل الأثر وتحقق الهمل أقل مرتبة من مفهوم الانمحاء المطلق، وهو أعمّ من الهلاك والفناء والعدم والموت))^(٩٢٢).

❖ طرد:

طرد: أصل واحد يدلّ على إبعاد، يقال طرده طرداً، وأطرده السلطان وطرّده: إذا أخرجته عن بلده، وهو طريد ومطرود^(٩٢٣).
و (طرد) فعل لا يصدر إلا عن رفض نفسي للمطرود لأنه يحمل دلالة الدفع المادي أو المعنوي لغرض الإبعاد.
ورد هذا اللفظ خمس مرات في القرآن الكريم، وكان المطرود مجموعة من الناس، قال تعالى: □ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرِي مِنَ اللَّهِ إِِنْ طَرَدْتُمُوهُ... □^(٩٢٤)، وقال تعالى: □ ...وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا... □^(٩٢٥)، والطرد المذكور إبعاد عن الإيمان بالله ((فطرد المؤمنين تبيدهم عن مسيرهم الحقّ وعن التقرب إلى الله تعالى وإلى رسوله الأكرم، مع علاقتهم وشوقهم، وهذا يوجب تحققّ التذافع في طريق الحقّ))^(٩٢٦).

❖ عبس:

أصل العَبَس: ما يبس على هُلب الدَّئِب من بعر وغيره، واشتق منه عَبَس الرجل يَعْبَسُ عُبُوساً، وهو عابس الوجه: غضبان، وعباس إذا كثر ذلك منه، وعبس: قطب وجهه، والعبس: التجهم، والعُبُوس: ضد البشر، ويوم عبوس أي شديد^(٩٢٧).
و (عبس) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً، لأن العابس يُظهر على وجهه ما في نفسه من تكره لشيء ما ((فالتكره مقدمة تحصل قبل العبوس، كما أن الشدّة والغضب يكونان من آثاره،

٤. التحقيق: ٥٨ / ٧.

٥. سورة مريم: ٥٩.

٦. سورة الاعراف: ١٧٠.

٧. التحقيق: ٥٩ / ٧.

١. ينظر: مقاييس اللغة (طرد): ٤٥٥ / ٣، المصباح المنير: ٣٧٠ / ٢.

٢. سورة هود: ٣٠.

٣. سورة هود: ٢٩.

٤. التحقيق: ٧٦ / ٧.

٥. ينظر: مقاييس اللغة (عبس): ٢١٠ / ٤، الاشتقاق: ٤٤، الصحاح (عبس): ٩٤٥ / ٣، المصباح المنير: ٣٩٠ / ١.

ويتحصلان بعد تحققه)) (٩٢٨).

جاء هذا اللفظ ثلاث مرات في القرآن الكريم، اثنتان بصيغة فعل الماضي (عَبَسَ) وكان فاعلها إنسان، كما في قوله تعالى: **ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ** □ (٩٢٩)، ومرة بصيغة (عَبُوسَ) وكان المتصّف بها (يوم)، قال تعالى: **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطَّرَ بِهَا** □ (٩٣٠)، وهذا يدل على ((أن مادة العبوس تستعمل في ذوي العقول وغيرهم، فإن الانقباض والتكره في كل شيء بحسبه، والعبوس في اليوم عبارة عن انقباض وتعسر في جريان أموره، كما قال تعالى: □ ... وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا □ (٩٣١)) (٩٣٢).

❖ عتو:

عتو في الأصل تدل على استكبار، عتًا يعتو عتوًا وعتيًا: استكبر وجاوز الحد، والعتا: العصيان، والعتاي: الجبار، وعتا الشيخ: أسن وكبر (٩٣٣). والعتو من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً، لأنه يحمل دلالة الاستكبار ومجاوزة عن الحد في طريق الشر والفساد.

استعمل القرآن الكريم هذه المادة عشر مرات، قال تعالى: **وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَمَرُوسُهُ** ... □ (٩٣٤)، يُراد ((الإصرار والمبالغة والسير في الإعراض والانحراف عن الأوامر والنواهي الإلهية)) (٩٣٥).

ومنحت صفة العتو لغير العاقل كما في قوله تعالى: **وَإِنَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** □ (٩٣٦)، ((والريح الصرصر ليس فيها استكبار ولا تولي بل مجاوزة في شدة جريانها)) (٩٣٧).

❖ عدو:

عدو أصل يدل على تجاوز في الشيء وتقدّم لما ينبغي أن يقتصر عليه، والعادي: الذي يعدو على الناس ظلماً وعدواناً، والعدوان: الظلم الصُّراح، والاعتداء مشتق من العدوان، والعدو: خلاف الصديق الموالي، والجمع: أعداء وعدى، وتعادى: تباعد، والتعدّي: مجاوزة الشيء إلى غيره (٩٣٨).

٦. التحقيق: ٢١ / ٨.
٧. سورة المدثر: ٢٢.
٨. سورة الانسان: ١٠.
١. سورة الفرقان: ٢٦.
٢. التحقيق: ٢٢ / ٨.
٣. ينظر مقاييس اللغة (عتو): ٤ / ٢٢٥، لسان العرب (عتا): ١٥ / ٢٧، المصباح المنير: ٢ / ٣٩٢.
٤. سورة الطلاق: ٨.
٥. التحقيق: ٣٤ / ٨.
٦. سورة الحاقة: ٦.
٧. التحقيق: ٣٤ / ٨.
٨. ينظر: مقاييس اللغة (عدو): ٤ / ٢٤٩، الصحاح (عدا): ٦ / ٢٤١٩، المصباح المنير: ٢ / ٣٩٧.

و(عادى) و(اعتدى) و(تعدى) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً؛ لأنها تقترب دلاليّاً من التجاوز والجور والظلم والبغى والعتو والطغيان .

ووردت هذه المادة في القرآن الكريم كثيراً، وهذا يدلُّ على أن العداوة والاعتداء حالة موجودة في كل زمان ومكان، بين البشر وغيرهم، ولهذا اهتمت بها الرسالات السماوية وعملت على وضع أسس ثابتة للتعامل معها.

والاعتداء يكون على الأشخاص، أمّا التعدي فيكون على الحدود، وهو في اللغة ((مجاوزة الشيء إلى غيره .. يُقال: تعديتُ الحق واعتديته وعدوته أي جاوزته، وقد قالت العرب: اعتدى فلان عن الحق واعتدى فوق الحق، كأن معناه جاز عن الحق إلى الظلم))^(٩٣٩)، قال تعالى:

□ ... فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ... □^(٩٤٠)، وقال تعالى: □ ... وَمَنْ

يَعْدُ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ... □^(٩٤١)، والاعتداء عموماً من المرفوضات في شريعة السماء، قال

تعالى: □ ... وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ □^(٩٤٢).

❖ عَذَابٌ :

يقال: عذّبه تعذيباً أي فطمته، وهو من باب الامتناع عن المأكل والمشرب، ويقال أصل العذاب: الضرب، ثم استعير ذلك في كلّ شدة أو في كل عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة، وعذبة اللسان: طرفه، وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفها^(٩٤٣).

والتعذيب نوع من أنواع العقوبة التي ينفذها الرافض للحالة التي استدعت العقوبة، فهو فعل يجسد رفضاً نفسياً لمكروه سبب حالة تكثر.

وردت هذه المادة في القرآن الكريم بكثرة واضحة أغلبها ما يعبر عن تعذيب الخالق سبحانه

للخارجين عن شريعته، قال تعالى: □ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبْنَا عَذَابًا شَدِيدًا ... □^(٩٤٤)، كما أن

هناك عذاباً صادراً عن أناس بحق آخرين سواء كانوا بشراً أو غيرهم، على أن تكون للقائم بالعمل

سلطة على المقابل، قال تعالى: □ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْلَادُ بَيْتِهِ ... □^(٩٤٥)، ومفهوم العذاب يستعمل

((في الإيذاء والشدة والضرب والعقاب والحبس ونظائرها))^(٩٤٦).

❖ عَزَلَ :

أصل العزل يدل على تنحية وإمالة، يُقال: هو بمعزل وفي معزل عن أصحابه، أي في ناحية

عنهم. والعزلة: الاعتزال، وقال بعضهم: الأعزل الذي ليس معه من السلاح ما يقاتل به، وقالوا

١. لسان العرب (عدا): ٣٣ / ١٥.

٢. سورة البقرة: ١٩٤.

٣. سورة الطلاق: ١.

٤. سورة المائدة: ٨٧.

٥. العين (عذب): ١٠٢ / ٢، مقاييس اللغة (عذب): ٢٥٩ / ٤، المفردات: ٥٥٥، المصباح المنير: ٣٩٨ / ٢.

٦. سورة آل عمران: ٥٦.

٧. سورة النمل: ٢١.

٨. التحقيق: ٨١ / ٨.

انعزل عن الناس: إذا تنحى عنهم جانباً، وفلان عن الحق بمعزل، أي مُجانب له^(٩٤٧).
و(عزل) و(اعتزل) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً، وتقترب دلالتها من التنحية والتباعد والتجنيب وغيرها .

وردت هذه المادة تسع مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

فَأُووُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ... ^(٩٤٨)، فالاعتزال جاء نتيجة لحالة الرفض التي وصلوا إليها، فقد أعلنوا رفضهم لقومهم الذين انحرفوا عن التوحيد، كما رفضوا عقيدة الإشراك من خلال الابتعاد الفكري والجسمي عن قومهم وما يعبدون وذلك؛ لأن الاعتزال في الأصل ((هو تنحية شخص عن أمر كان في محيط جريانه))^(٩٤٩).

❖ عصى:

عصى يدل على الفرقة، والعصيان: خلاف الطاعة، عصى العبد ربه إذا خالف أمره وعصى فلان أميره يعصيه عصبياً وعصياناً ومعصية: إذا لم يطعه، فهو عاص، وجمعه عصاة وعاصون، والعاصي: الفصيل إذا عصى أمه في إتباعها^(٩٥٠).

و(عصى) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً؛ لأنها تقابل الطاعة والإتباع، ويدل على ذلك قوله

تعالى: ... فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٩٥١).

وأشد أنواع العصيان ما يصدر من المخلوق تجاه الخالق؛ لأن نتائجه وخيمة، قال تعالى:

... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ^(٩٥٢)، ومعصية الرسول انعكاس لمعصية البارئ عز وجل، فتؤدي إلى النتائج ذاتها، قال تعالى:

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ^(٩٥٣)،

ويمكن أن تكون المعصية لمن بيده القيادة أو من وجبت طاعته، قال تعالى: قَالَ سَجَدِي لِإِنْ شَاءَ اللَّهُ

صَابِرًا وَكَأَغْصِي لَكَ أَمْرًا ^(٩٥٤).

❖ فرّ:

أصل الفرّ الكشف عن سنّ الدابة، يقال: فررت الفرس وغيره من الدواب إذا فتحت فاه لتعرف سنّه، وفرّ تعني الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشيء، وفرّ من عدوه يفرّ فراراً: هرب، والمفرّ الموضع يُقر إليه^(٩٥٥).

و(فرّ) من الأفعال التي تجسد رفضاً نفسياً من الشيء الذي سبب الفرار، وثمة تقارباً دلاليّاً بين

١. ينظر: مقاييس اللغة (عزل): ٤/ ٣٠٧، المصباح المنير: ٢/ ٤٠٧.

٢. سورة الكهف: ١٦.

٣. التحقيق: ٨/ ١٤٣.

٤. ينظر: مقاييس اللغة (عصى): ٤/ ٣٣٤، لسان العرب (عصا): ١٥/ ٦٤، المصباح المنير: ٢/ ٤١٤.

٥. سورة إبراهيم: ٣٦.

٦. سورة الأحزاب: ٣٦.

٧. سورة الحاقة: ١٠.

٨. سورة الكهف: ٦٩.

٩. ينظر: مقاييس اللغة (فرّ): ٤/ ٤٣٨، المفردات: ٦٢٧، المصباح المنير: ٢/ ٤٦٦.

الفرار والهرب، لكن لكلٍّ توجهه الدلالي فالفرار ((هو الحركة السريعة مديراً للتخلص عن ابتلاء أو لاكتشاف ابتلاء... والهرب مطلق الحركة السريعة من مقصد أو إلى مقصد))^(٩٥٦).

وردت هذه المادة إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم، قال تعالى: □ فَفَرَرْتُ مَعَكُمْ لَمَّا

خَفْتُمْ فَوْهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ □^(٩٥٧).

والفرار فعل ناتج عن خوف أو رعب أو ابتلاء أو وحشة، فهذه الأمور ترفضها النفس الإنسانية وتحاول التخلص منها وإحدى طرق الخلاص هو الفرار من المسبب .

الباب الثاني

مدخل :

تمنح اللغة المتكلم وسائل عدّة للتعبير عن موقف واحد، وكلما ازدادت خبرته باللغة كان أدق في اختيار أنسب الأساليب تعبيراً عن رأيه أو موقفه، ومن المعروف أن القرآن الكريم قمة التعبير اللغوي فألفاظه مختارة بدقة متناهية كأساليبه التي لا يقوم أحدها مقام الآخر إلا أدى إلى تغيير في المعنى.

وبين القبول والرفض مسافة كبيرة، كما أن لكل منهما درجات مختلفة، فكل أسلوب من أساليب العربية يكشف درجة ذلك القبول أو الرفض عند المتكلم، فأسلوب عدم الممانعة - على سبيل المثال - يُظهر قبولاً بسيطاً على عكس أسلوب التمني الذي يكشف بعض مكامن النفس في قبولها الشديد للشيء الذي تتمناه، وكذلك الرفض، فأسلوب النهي رفضٌ، لكن الترهيب يتضمن النهي وزيادة .

وإذا كانت الألفاظ منفردة حددت موقف المتكلم من القبول والرفض، فإن الأساليب أوسع دلالة في تحديد المواقف وتحديد درجاتها في نفس المتكلم؛ لأن البليغ من يمتلك زمام التحكم بالتركييب، لا مجرد انتقاء للألفاظ.

٣. التحقيق: ٩ / ٥٦.

٤. سورة الشعراء: ٢١.

والبحث عن مواقف القبول والرفض في أساليب القرآن الكريم من وظيفة الباب الثاني الذي أنقسم على فصل لأساليب القبول وآخر لأساليب الرفض.

الفصل الأول

المبحث الأول

أسلوب الأمر

هو أسلوب ظلي، يقوم الأمر من خلاله بطلب القيام بالفعل من المأمور، نحو ((طلب إيجاد الفعل))^(٩٥٨)، أو هو ((صيغة تستدعي الفعل، أو قول يبنى عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء))^(٩٥٩).

ويتردد أسلوب الأمر بين درجات ثلاث هي الوجوب والندب والإباحة^(٩٦٠)، ولا يخفى أن هذه الأمور الثلاثة تصدر عن القبول إلا إنها تختلف في درجته، فمن يصدر أمراً بدرجة الوجوب لابد أن تكون درجة قبوله للأمر أعلى من درجة الندب وهذه بدورها أعلى من درجة الإباحة التي تمثل أدنى مستويات القبول. كما ان معرفة ما خرج إليه الأمر من وجوب أو ندب أو إباحة يتوقف على وظيفة السياق في أداء المعنى، فالمعنى على ذلك هو التركيب وليس اللفظ بمفرده، أو القرانن التي تساعد اللفظ في أداء معنى بعينه .

وقد نال أسلوب الأمر اهتماماً واضحاً عند النحاة، وان لم يفرّدوا له بحثاً مستقلاً في دراساتهم - على الأغلب - إلا أنهم تناولوا صيغته في أبواب متفرقة، كما حصل هذا الأسلوب على اهتمام بالغ في الدراسات البلاغية، في علم المعاني خاصة. وقد تناولته الدراسات الفقهية وهي في صدد بحثها عن المعاني التي يؤديها أسلوب الأمر، ومن البديهي أن يكون تفصيل القول في الواجب والمندوب والمباح

١. البحر المحيط: ١/ ١٨١.

٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣٠.

٣. الواجب ما يستحق العقاب على تركه، والمندوب أو المستحب كل أمور لا لوم على تركه، والإباحة تخيير بين فعلين لا يتميز أحدهما على الآخر بندب ولا كراهية.

من وظائف الفقهاء، فكانت عنايتهم بهذا الموضوع ((عناية كبيرة لا نجدها عند اللغويين أو أي بيئة أخرى من بيئات الدرس، وهي دراسة على المستوى الدلالي غالباً، أي إن البحث عندهم لا يتعرض لمستويات الصرف والنحو إلا بالقدر المؤثر في دلالة الصيغة))^(٩٦١).

وبذلك تشترك الدراسات الفقهاء مع الدراسات البلاغية وغيرها في البحث عن المعنى، وعن هذا التقارب يقول السبكي: ((واعلم ان علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فإن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول، وان كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، ومسائل الإخبار والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني))^(٩٦٢).

والأمر يصدر من الأعلى إلى الأدنى، فيكون أمراً حقيقياً؛ لأنه تضمن شرط الاستعلاء، أي أن الأمر أعلى مستوى من المأمور، وهذا ما يجب أن يكون، وأحياناً يحدث العكس، فيكون من الأدنى إلى الأعلى، وهنا يخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو (الدعاء) وهذا الأسلوب وان استعمل صيغ الأمر نفسها، إلا انه ليس أمراً حقيقياً، وإنما هو طلب على سبيل التضرع والخضوع . وهناك أمر بين شخصين غير متفاوتين في الرتبة يسمى (التماس) وهو أيضاً أمر مجازي؛ لأنه لا يتوفر فيه شرط الاستعلاء.

وسواء أكان الأمر حقيقياً أم مجازياً فإنه في كل الأحوال يصدر عن قبول في نفس الأمر، فلو لم يكن راضياً قانعاً بإحداث الفعل المأمور به لما صدر عنه ذلك الأمر أو ذلك الطلب .

ولأسلوب الأمر في القرآن الكريم صيغ صريحة وأخرى غير صريحة، وصيغ الصريحة هي:

١. صيغة (افعل).
٢. صيغة (ليفعل).
٣. صيغة المصدر.
٤. أسماء الأفعال: هذا في اللغة ولم تستعمل في القرآن الكريم.
٥. صيغة الخبر.

❖ صيغة فعل الأمر وصيغة لتفعل والفرق بينهما:

وهي أكثر الصيغ استعمالاً لأسلوب الأمر، والأمر فيها مباشر وصريح، ((فأنت تأمر المخاطب فتقول له: (افعل) فإذا أردت تأكيد الأمر قلت له: (لتفعل) ومعنى التوكيد واضح في هذه الصيغة))^(٩٦٣)، فيمكن استعمال هاتين الصيغتين للمخاطب، فيقال عند لام الأمر إنها تفيد التوكيد؛ لأنك ((إذا أمرت مخاطباً فإنك غير محتاج إلى (اللام) كقولك: (اذهب يا زيد) و(اركب) و(انطلق) وكذلك ما أشبهه وربما أصلت (اللام) في هذا الفعل أيضاً توكيداً فقول: (لتذهب يا زيد)، و(لتركب) و(لتنطلق)، على هذا قرئ (فبذلك فليفرحوا) على الخطاب))^(٩٦٤).

ووقف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) على قراءة (فبذلك فلتفرحوا) وبين المعنى الذي أفادته لام الأمر بدخولها على تاء الخطاب فقال إن الذي ((حسن) التاء) هنا انه أمر لهم بالفرح، فحوظبوا (بالتاء)؛ لأنها اذهب في قوة الخطاب، فاعرفه، ولا تقل قياساً على ذلك: (فبذلك فلتحزنوا)، لأن الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح، إلا أن تريد إصغارهم وإرغامهم فتؤكد ذلك بالتاء على ما مضى))^(٩٦٥). واختلف آخرون مع ابن جني في أن صيغة (لتفعل) أقوى في الخطاب من صيغة (افعل)، فقد ذهب (الدكتور الجوارى) إلى أن صيغة (افعل) أدل على معنى الأمر وأقوى وأشد، في الوقت الذي تحمل فيه صيغة (لتفعل) شيئاً من اللين والتلطف يكاد يقربها من الرجاء والالتماس وبذل النصيحة^(٩٦٦).

٤. دراسة المعنى عند الاصوليين: ٦٦.

٥. عروس الأفراح - شروح التلخيص: ٥٣ / ١.

١. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ١٢٤ - ١٢٥.

٢. اللامات، لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، ٨٨ - ٨٩.

٣. المحتسب: ٣١٤ / ١.

١. ينظر: نحو الفعل: ٥٧ - ٥٨.

والأصل في صيغة (لتفعل) أن تستعمل ((في الأمر للغائب ولكل من كان غير مخاطب))^(٩٦٧). وقد أجمع النحاة على أن هذه الصيغة تكثر وتطرّد في فعل الغائب كما في قوله تعالى: □ وَتَكُنْ مَعَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ □^(٩٦٨)، و □ ... وَلَتَأْتِيَنَّكُمْ أُمَّةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ □^(٩٦٩)، وان دخولها على فعل المتكلم قليل ((وما أجمع عليه النحاة صحيح، فقد وردت (لام) الأمر في ثمانين موضعاً في القرآن الكريم، دخلت على فعل المتكلم في آية واحدة □ ... وَتَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ ... □^(٩٧٠) ... ودخلت على فعل المخاطب في قراءة عشرية في قوله تعالى: □ ... فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ... □^(٩٧١)))^(٩٧٢).

لل. الأمر بصيغة المصدر:

يأتي المصدر منصوباً في أسلوب الأمر كما في قوله تعالى: □ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ ... □^(٩٧٣). ويمكن أن يكون المصدر نكرة أو معرفة بـ (أل) أو معرفةً بالإضافة^(٩٧٤).

وقد وجه معنى المصدر على أنه قائم مقام فعل الأمر؛ لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فمعنى (فَضَرْبِ الرِّقَابِ)، فاضربوا الرقاب ومما يقوي هذا المعنى قوله تعالى في الآية نفسها: □ ... حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ... □^(٩٧٥)..

وتختص هذه المصادر في الأمر مع المخاطب ولا تستعمل مع الغائب وهذا ما أكده ابن عقيل في قولة: (المنقول أن المصدر لا ينوب مناب فعل الأمر للغائب، وإنما ينوب مناب فعل الأمر للمخاطب، نحو: (ضرباً زيدا، أي اضرب زيدا))^(٩٧٦).

ومما يدل على ذلك الاستعمال اللغوي لهذه الصيغة، فمن ذلك مثلاً قول امرئ القيس:

فأطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرماً فاجملي

ف (مهلاً) مصدر (أمهل)، يطلب الشاعر الإمهال في (بعض هذا التدلل)، وهو يخاطب (فاطمة) والدليل أسلوب النداء الذي سبق الأمر.

٢. المقتضب: ٢ / ٤٤.

٣. سورة آل عمران: ١٠٤.

٤. سورة النساء: ١٠٢.

٥. سورة العنكبوت: ١٢.

٦. سورة يونس: ٥٨.

٧. أساليب الطلب: ١٤٦ - ١٤٧.

٨. سورة محمد: ٤.

٩. ينظر: المقتضب: ٣ / ٢١٦، خزانة الأدب: ٦ / ٥٤٨.

١٠. سورة محمد: ٤.

١. شرح ابن عقيل: ١ / ٤٨٠.

وتستعمل هذه المصادر للمؤنث والمذكر، المفرد والثنائي والجمع، يقرر ذلك أبو عبيدة في قوله: ((قولك مهلاً) للأنثى والذكر والاثنتين والجمع، وهي في موضع (أْمَهْلٌ)) ((^{٩٧٧})). وجاءت صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر في غرض الدعاء، وهو ما يسمى أمراً مجازياً، كما في قوله تعالى: □ ... غُفِرَ لَكَ رَبِّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ □ (^{٩٧٨}).

يقول الفراء (ت ٢٠٧ هـ) عن (غفرانك): ((مصدرٌ وقع في موضع أمر فُنُصِبَ، ومثله (الصلاة الصلاة)، وجميع الأسماء من المصادر وغيرها إذا نويت الأمر نصبت)) ((^{٩٧٩})). كما نجد ذلك في قوله تعالى: □ ... وَقِيلَ بَعْدَ اللَّوْمِ الظَّالِمِينَ □ (^{٩٨٠}).

وإذا قرر النحاة نصب المصدر في أسلوب الأمر واجهتهم شواهد جاء فيها المصدر مرفوعاً، فقال بعضهم يجوز أن يرد المصدر المستعمل في معنى الأمر مرفوعاً، ولكنه دون (النصب) في الكثرة والجودة من ذلك قول الشاعر:

يشكو إليَّ جملي طول السرى صَبْرٌ جميلٌ فكلانا مُبْتلى

وقال الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ((وأما قوله تعالى: □ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ □ (^{٩٨١})، فأشبهه به؛ لأن هذا يستعمل بمعنى الأمر)) ((^{٩٨٢})).

ومما جاء من المصادر مرفوعاً في معنى الدعاء قوله تعالى: □ قَوْلِ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ □ (^{٩٨٣}) و □ وَيْلٌ لِّمُؤْمِنِي الْمُكَذِبِينَ □ (^{٩٨٤}).

ووجد بعضهم دلالة المصدر المرفوع بأنها لزيادة المبالغة في الدوام والدلالة على الثبات (^{٩٨٥}). وأيد ذلك بعض المعاصرين بقوله: ((وخلص القول في الغاية من نصب المصادر مرة ورفعها بالابتداء مرة أخرى هي أن من يعمد إلى الرفع فكأنه يبتدئ بشيء قد ثبت واستقر لديه، ولا يقصد تأكيده وإثباته، في مجرى حديثه، في حين أن من اختار النصب يبتغي تأكيده وإثباته في كلامه وكل ذلك راجع على دلالة الرفع في الثبات ودلالة النصب إلى الحدوث والتجدد)) ((^{٩٨٦})). لم يتعمق النحاة في بحث الفرق الدلالي بين فعل الأمر واستعمال المصدر في الأمر، فقالوا إن المصدر بدل من الفعل، مستعمل في موضوعه وبمنزلة، دالٌّ على ما يدل عليه (^{٩٨٧})، والحقيقة أن بحثاً كهذا ليس في دائرة واجباتهم، إلا إن آخرين نظروا في هذا الأمر، فقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) إن استعمال المصدر يدل على الأمر فضلاً عن دلالاته على الإغراء بالفعل، فيقول: ((إقامة المصدر

٢. مجاز القرآن: ٢ / ٢١٤.

٣. سورة البقرة: ٢٨٥.

٤. معاني القرآن، الفراء: ١ / ١٨٨.

٥. سورة هود: ٤٤.

٦. سورة يوسف: ١٨.

٧. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ١٠ / ٣٣.

١. سورة الزمر: ٢٢.

٢. سورة المرسلات: ١٥.

٣. ينظر: خزانة الأدب: ٢ / ٣٤، ٣٧ والكشاف: ٤ / ٦٧٨.

٤. الدعاء في القرآن الكريم، محمد محمود زوين: ١٠٧.

٥. ينظر: المقتضب: ٢ / ٢٦٧، ٤ / ١٥٧، الخصائص: ١ / ٢٦٤، البرهان: ٣ / ٢٠٧.

مقام الأمر كقوله جل ثناؤه: □ فَسَبَّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ □ (٩٨٨)، فتأويل الآية: سبحوا الله جل ثناؤه، فصار في معنى الأمر والإغراء، كقوله جل ثناؤه: (فضرب الرقاب) ((٩٨٩)).

ونبه الزمخشري على إنابة المصدر مناب الفعل تحمل دلالة مختلفة وإن كانت تؤدي غرضاً واحداً فقال: ((إن فيه (اختصاراً) مع إعطاء معنى (التوكيد)؛ لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه)) (٩٩٠).

ويرى ابن الأثير (ت ٦٣٨ هـ) إن في استعمال المصدر ضرباً من الاختصار والمبالغة والتوكيد (٩٩١).

ومن المعاصرين من يرى أن في المصدر أكثر من دلالة على الأمر، فهو يحمل ((معنى افساحياً آخر انفعالياً فيه من الحث والحض ...)) (٩٩٢).

يتبين مما تقدم أن استعمال المصدر في معنى الأمر يوصل للسامع أكثر من دلالة طلب القيام بالفعل، فهو يصور الفعل وكأنه قد حدث فعلاً، فقوله تعالى: □ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ... □ (٩٩٣)، نجد السياق يصور لنا أن (ضرب الرقاب) وكأنه حادث فعلاً أو أنه سيحدث لا محالة فهو كالمحقق، فإذا ما تصور السامع ذلك تشجع لإتيان الفعل، فالصيغة تحمل تأثيراً إيحائياً على الإغراء والحث، وإعطاء السامع شحنة انفعالية تشجعه على القيام بالفعل، وهو راغب فيه ونستطيع التفريق أكثر إذا تصورنا أن قائلاً يقول: (اصبروا آل ياسر) فهو يطلب منهم الصبر، وقد يصبرون مضطرين، وأما قوله: (2): ((صبراً آل ياسر)) (٩٩٤)، فنلاحظ من العبارة شيئاً من تحبيب الصبر في نفوسهم، فهو يطلب منهم الصبر، ويطلب منهم الرضا أو قناعة النفس بهذا الفعل .

وإذا صح ذلك نستنتج أن القبول متحقق عند الأمر في كل صيغ الأمر، إلا أنه أكبر درجة في صيغة المصدر في معنى الأمر؛ لأن المأمور يقوم بالفعل وقد تحقق القبول في نفسه حيناً ولم يتحقق حيناً آخر، أما صيغة المصدر فهي تعمل على إيصال القبول النفسي من نفس الأمر إلى نفس المأمور، وهي بذلك لا تحمل دلالة الإجمار على تنفيذ الفعل كما في (افعل) التي تلزم المقابل بالوجوب وكأن صيغة (افعل) يتركز فيها الوجوب، وصيغة المصدر يتركز فيها الندب، فهي تحاول أن تجعل الأمر محبباً أو قريباً من نفس السامع لكي ينفذه عن قناعة لا عن إكراه.

٤. الأمر بصيغة الخبر :

تستعمل العرب أسلوب الخبر للدلالة على الأمر، ويستطيع السامع التمييز بين ما يخبر عنه وما يطلب به من العبارة فمثل: (قولك: (غفر الله لزيد) و(رحم الله زيدا)) ونحو ذلك فإن

٦. سورة الروم: ١٧.

٧. الصحابي: ١٩٩.

٨. الكشاف: ٣ / ٥٣٠.

٩. ينظر: الجامع الكبير: ١٢٨، والمثل السائر: ٢ / ٣٠١ - ٣٠٢.

١. اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٥٥.

٢. سورة محمد: ٤.

٣. أسد الغاية: ٤ / ٤٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٦٧.

لفظه لفظ الخبر ومعناه الطلب، وإنما كان كذلك لعلم السامع أنك لا تخبر عن الله - عز وجل -
وإنما تسأله))^(٩٩٥).

ويأتي الأمر بصيغة الخبر ليفيد الأمر الحقيقي كما في قوله تعالى: وَالْمَطْلَقَاتِ بَرِّضْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ... ^(٩٩٦).

والمعنى (ليتربص) فهو خبر أريد به الأمر، ويؤيد ذلك المعنى سياق الكلام، يقول
الزركشي (ت ٥٧٩٤ هـ) عن هذه الآية: ((إن السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك، لا أنه خير،
والأ لزم الخلف في الخبر))^(٩٩٧).

ولذلك قالوا بأن استعمال الخبر في معنى الأمر أو النفي في القرآن الكريم إنما هو من
الصيغ المستعملة في الوجوب^(٩٩٨).

ويأتي الخبر بمعنى الأمر في (الدعاء) وهو كثير في لغة العرب وقد أشار إليه سيبويه
بقوله: ((واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل (دعاء)؛ لأنه استعظم أن يقال: (أمر)
(نهي) ... نقول: (زيداً قطع الله يده)، و(زيداً أمر الله عليه العيش)؛ لأن معناه معنى: (زيداً
ليقطع الله يده))^(٩٩٩)، وأيد ذلك البلاغيون، يقول الجرجاني: ((كما أن (يعفر الله لزيد) في اللفظ
خبرٌ وفي المعنى دعاء...))^(١٠٠٠). وقد جاء في ذلك في قوله تعالى: قَالَ لَا تَسْرَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يُعْفِرُ
اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ^(١٠٠١).

ومن الأدلة الواضحة على خروج الخبر إلى معنى الأمر، وقوع المضارع مجزوماً في
جوابه، كما في قوله تعالى: تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(١٠٠٢)، قالوا إن معنى (تؤمنون) و(تجاهدون) و(آمنوا) و(جاهدوا)، ومما يؤيد
ذلك الآية التالية التي جاء فيها جواب الأمر مجزوماً فقال سبحانه: يُعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ^(١٠٠٣)، وتأتي قراءة ابن مسعود لهذه الآية تعضيداً لهذا
المعنى، فقد قرأها بصيغة فعل الأمر (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا)^(١٠٠٤).

٤. المقتضب: ١٣٢ / ٢، وينظر: كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ٣٧٧ / ١.
٥. سورة البقرة: ٢٢٨.

١. البرهان: ٣٢٠ / ٢، وينظر: الصاحبى: ١٧٩، وإملاء ما من به الرحمن: ٩٥ / ١.

٢. ينظر: البرهان: ٣٤٧ / ٣.

٣. الكتاب: ١٤٢ / ١.

٤. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ١١٠٤ / ٢.

٥. سورة يوسف: ٩٢.

٦. سورة الصف: ١٠ - ١١.

٧. سورة الصف: ١٢.

٨. ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣٧٤ / ٢ والكشاف: ٩٩ / ٤ - ١٠٠، والأشباه والنظائر: ١٦ / ٣.

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب الخبر في معنى الأمر في أكثر من موضع، فقال المفسرون في قوله تعالى: □ وَأُولَادَاتٍ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ... □ (١٠٠٥)، بمعنى (ليرضعن) بالأمر، وفي قوله تعالى: □ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ □ (١٠٠٦)، بمعنى (ازرعوا) ومما يؤيد ذلك قوله (فذروه في سنبله).

وقد جاء الخبر على شكل جملة فعلية كما في قوله تعالى: □ يُوصِيكَ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكَ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ... □ (١٠٠٧)، وفي قوله تعالى: □ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا. □ (١٠٠٨)، كما جاء الخبر جملة اسمية في قوله تعالى: □ ...فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ... □ (١٠٠٩)، و □ ...وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ... □ (١٠١٠).

نلاحظ في الآيات مارة الذكر أن هناك مدلولين:

الأول: وضعي تكون فيه الجملة الخبرية جملة حكاية بمعنى أنها وجدت بقصد الحكاية عن المعنى .

الثاني: تصوري تكون فيه جملة إيجابية يقتضي وجودها في ختام الإنشاء أن تنسلخ من ذلك المعنى المناسب لصورتها البنائية لتتخذ لها مدلولاً جديداً وهو ((إبراز الطلب الذي هو مدلول مبتكر قاد إليه التصور بناءً على ظروف القول ودواعي الاستعمال، دون أن يكون له وجود في الخارج)) (١٠١١) .

وبهذا تستطيع الجملة الخبرية أن تؤدي وظيفة الجملة الإنشائية بمساعدة القرائن المادية أو المعنوية التي تتوافر في السياق، وتحقق النتيجة ذاتها في تحريك أو تحفيز المخاطب اتجاه شيء معين مطلوب منه القيام به، وهذا ما يؤكد قول الرازي (ت ٦٠٦ هـ): ((وكان يحتمل في الصيغة التي وضعوها للخبر أن يضعوها للأمر، وبالعكس، فماهية الطلب ليست نفس الصيغة، ولا شيئاً من صفاتها، بل هي ماهية قائمة بقلب المتكلم تجري مجرى علمه وقدرته، وهذه الصيغ المخصوصة دالة عليها)) (١٠١٢) . وعلى الرغم من أن أسلوب الخبر أدى معنى الأمر، إلا إن دلالاته تختلف عن صيغة (افعل) التي تتضمن الأمر المباشر والصريح، فلا بد من أن يكون للمتكلم غرض في عدوله عن صيغة الأمر الصريحة إلى استعماله أسلوب الخبر، فاللغة تستعمل استعمال وسائل تعبيرية مختلفة من أجل أن تؤدي غرضاً بلاغياً واحداً، إلا إن هذا الالتقاء في وحدة الغرض لا

١. سورة البقرة: ٢٢٣.

٢. سورة يوسف: ٤٧ .

٣. سورة النساء: ١١ .

٤. سورة النساء: ٥٨ .

٥. سورة المائدة: ٨٩ .

٦. سورة النساء: ٩٢ .

٧. دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن، رسالة دكتوراه، ٢٧٦ - ٢٧٧.

٨. المحصول في أصول علم الفقه: ج ١، ق ٢: ٢٤ .

يعني إطلاقاً التماثل والترادف التام؛ لأن لكل وسيلة وقعها الخاص في نفس السامع، كما أن لها غرضاً دقيقاً لا تحققه طريقة أخرى، ولولا ذلك لأصبح هذا التنوع في الأساليب غاية لا طائل من ورائها، يقول الزمخشري: ((وإخراج الأمر في صيغة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يُتلقى بالمسارعة إلى امتثاله،.... فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء: (رحمك الله) أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها))^(١١٣).

واكد هذا الغرض في استعمال أسلوب الخبر ابن هشام (ت ٥٧٦١هـ) في تعليقه على الآيتين: (والمطلقات يتربصن) و(والوحدات يرضعن) قال: ((وهذان الفعلان خبريان لفظاً طلبيان معنى، ومثلهما (يرحمك الله) وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر، التوكيد والإشعار بأنهما جديران بأن يُتلقيا بالمسارعة، فكأنهن امتثلن، فهما مخبرٌ عنها بموجودين))^(١١٤)، ولم يبتعد الزركشي في تفسيره لاستعماله هذا الأسلوب في الأمر فقال: ((شبه الطلب بتأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر الماضي كان أكد))^(١١٥).

وقد فصل البلاغيون القول في فوائد استعمال الخبر في معنى الأمر أو أغراضه فقالوا أنها تفيد (التفاوت بالوقوع) كما في الجمل الخبرية في مقام الدعاء مثل: (غفر الله لك)، كما تفيد (إظهار الحرص على وقوع الطلب) و (الاحتراز عن صورة الأمر)، كما تقول في هوامش الكتاب (ينظر) بدلاً من (انظر)؛ لأنها أكثر تأديباً، وكذلك تفيد (حمل المخاطب على المطلوب)^(١١٦).

يتبين مما تقدم أن استعمال أسلوب الخبر في موضع الأمر، استعمال بليغ، يؤدي غرض الأمر من باب آخر، وللمتكلم قصد في أداء الأمر بهذه الطريقة، فهو لا يصوره أمراً صريحاً بل ينزله منزلة الخبر، مع وجود الرغبة الصادقة في الالتزام بتنفيذ الأمر، فهو يصور الأمر وكأنه حادث في الواقع، وفي ذلك وسيلة لتقريب الأمر إلى نفس السامع؛ لأن الأمر طلب لتنفيذ الفعل في زمن لاحق، أي متعلق بالمستقبل بالنسبة لزمن الطلب، إلا أن أسلوب الخبر ينقل زمن الأمر أحياناً إلى الماضي، بمعنى أن الشيء المطلوب تنفيذه كأنه قد حصل في زمن سابق لزمن الطلب؛ لأن صيغة الماضي تحدث اطمئناناً نفسياً أكثر من دلالة الفعل على زمن المستقبل. كما ان صيغة الأمر توجه الخطاب إلى السامع وتطلب منه تنفيذ الأمر بصورة مباشرة، إلا أن أسلوب الخبر يبتعد عن أسلوب الخطاب ويوجه الأمر للسامع بطريقة غير مباشرة، مع بقاء خاصية الإلزام والوجوب في الأمر الحقيقي. وهذا يعني ان درجة القبول للأمر عالية في نفس الأمر، إلى الحد الذي يُشْتَبه فيه الأمر بحدث متحقق، وهو في ذلك عنده ثقة كبيرة في ان السامع سوف يستجيب للأمر المطلوب منه.

٣. الاستفهام والتحضيض اللذان يراد بهما الأمر:

من المعروف أن الاستفهام يخرج لمعان مجازية لا يطلب فيها من السامع جواباً على سؤال، وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب الاستفهام ليؤدي معنى الأمر في أكثر من آية، كما في قوله تعالى: □ ... فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا... □^(١١٧)، قال الفراء في معنى قوله تعالى: (أَأَسْلَمْتُمْ) قال: ((هو استفهام ومعناه أمر، ومثله قوله تعالى: (فهل انتم منتهون) استفهام، وتأويله (انتهوا))^(١١٨).

١. الكشاف: ١/ ٣٦٥، وينظر: البرهان: ٣/ ٣٥١، ومعتك الأقران: ١/ ٢٥٩.

٢. شرح شذور الذهب: ٦٩.

٣. البرهان: ٣/ ٣٤٩.

٤. ينظر: مفتاح العلوم: ١٥٤-١٥٥، والإيضاح: ١/ ١٤٦-١٤٧، وشروح التلخيص: ٢/ ٣٣٨-٣٤٠، وأساليب الطلب: ٢٠٥.

١. سورة آل عمران: ٢٠.

٢. معاني القرآن: ١/ ٢٠٢.

وأكد الزمخشري بلاغة الاستفهام الذي يؤدي معنى الأمر في تأويله لقوله تعالى: □ . . . فَهَلْ

أَتَمُّ مُتَهَوِّنٍ □ (١٠١٩)، قال عنها: ((من ابلغ ما يُنهي به الأمر، كأنه قد تلى عليكم ما فيها من أنواع الصوارف والموانع)) (١٠٢٠).

وجاء أيضاً في قوله تعالى: □ أَلَا تَقَاتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ . . . □ (١٠٢١)، وتعني (قاتلوهم) فهو (استفهام) أدى معنى الأمر وأفاد المبالغة فيه (١٠٢٢).

نلاحظ في هذا الاستعمال شيئاً من الحدة فالأسلوب القرآني يصدر عبارته بشيء من الغضب ويريد تنبيه السامع إلى أن الأمر المطلوب منه أمر خطير وعلى مستوى بالغ من الأهمية، وان عدم تنفيذه يُعرض السامع للعقوبة، فالأمر هنا يحمل دلالة كبيرة على الوجوب. كما استعمل القرآن الكريم أسلوباً آخر للدلالة على الأمر وهو أسلوب التحضيض، ورد ذلك

في قوله تعالى: □ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ □ (١٠٢٣)، فهم يطلبون من النبي (2) أمراً والمعنى: ((هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله تعالى: □ لَوْ أَنزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا □ (١٠٢٤)، أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً)) (١٠٢٥).

٣. الصيغ غير الصالحة التي تؤدي دلالة الأمر:

لقد انفرد الأصوليون في تحديد دلالة الأمر في الصيغ الآتية :

١. مادة (أمر): كما في قوله تعالى: □ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى . . . □ (١٠٢٦)،

و □ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ كُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . . . □ (١٠٢٧)، و □ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ . . . □ (١٠٢٨).

وقد وقف الباحثون في أصول الفقه على هذه الصيغة وقالوا بدلالاتها على الأمر الواجب التنفيذ، من ذلك قولهم: ((... وهناك صيغ أخرى تدل على الأمر بالشيء وطلب إيجاده، ومن هذه الصيغ: التصريح بلفظ الأمر، مثل: أمركم، وأمرتكم، وانتم مأمورون)) (١٠٢٩).

وأكثر الأصوليين وقوفاً وبحثاً وتدقيقاً في موضوع الأمر الفقيه محمد بن حبان

٣. سورة المائدة: ٩١.
٤. الكشاف: ١ / ٦٤١.
٥. سورة التوبة: ١٣.
٦. ينظر: الكشاف: ٢ / ١٧٧.
١. سورة الحجر: ٧.
٢. سورة الفرقان: ٧.
٣. الكشاف: ٢ / ٣٨٧.
٤. سورة النحل: ٩٠.
٥. سورة النساء: ٥٨.
٦. سورة الرعد: ٣٦.
٧. تسهيل الوصول إلى فهم علم الاصول: ٢٣.

البُستي (ت ٣٥٤هـ) (١٠٣٠)، حيث ذكر مائة نوع وعشرة أنواع من الأوامر التي وردت في خطاب النبي (2)، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله (2) لوفد عبد القيس: ((أمركم بأربع: الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ...)) (١٠٣١).

نلاحظ في الحديث الشريف لفظ (أمركم) التي اتفق الجمهور على دلالتها على الأمر، واستدلوا بإجماع أهل اللغة على تسمية ذلك أمراً، فهي صيغة خاصة بالأمر من غير منازعة بخلاف صيغة (افعل) التي تتردد في اللغة بين معانٍ كثيرة (١٠٣٢).

٢. الأمر بلفظ كتب: جاءت مادة (كتب) لإثبات الأحكام الشرعية، وهي بعد ذلك تحمل دلالة الواجب الذي لا جدال فيه، فهي أوامر كأنها كتبت في دستور إلهي، ألزم المؤمن بتنفيذها، وهذه المادة توحى بان الأوامر الصادرة في سياقها أوامر لا رجعة فيها ولا يجوز التهاون في أدائها، فهي تحمل درجة عالية من القبول الذي لا يشوبه شيء.

نلاحظ ذلك في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٠٣٣)، وقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ

أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٠٣٤)، ويمكن أن تضيف صيغة المبني للمجهول في زمن الماضي دلالة الأوامر الرسمية التي لا يجوز النقاش فيها، بمعنى أنه فرضٌ قد اتخذ القرار في إصداره وانتهى، فهو واجب لا مناص من الالتزام بتنفيذه.

يؤيد ذلك قول الزمخشري: ((كُتِبَ عليه كذا: قضِيَ عليه وكتب الله الأجل والرزق، وكتب على عباده الطاعة، وعلى نفسه الرحمة، وهذا كتاب الله: قدره)) (١٠٣٥).

وفي هذا الاستعمال تحول معنى الخبر إلى الإنشاء، فهو استعمال مجازي بليغ يقول في ذلك سعد الدين التفتازاني: ((لما كان مدلول الخبر هو الحكم بثبوت مفهوم لمفهوم، أو

نفيه عنه، فالمحكوم به في خبر الشارع إن كان هو الحكم الشرعي مثل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٠٣٦)، و وَأَحَلَّ

اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (١٠٣٧)، فلا يخفى أنه يفيد ثبوت الحكم الشرعي من غير أن يجعل

مجازاً عن الإنشاء ... وإن لم يكن كذلك فوجه إفادته للحكم الشرعي أن يجعل الإثبات مجازاً عن النهي فيفيد الحكم الشرعي بأبلغ وجه)) (١٠٣٨).

٨. محدث فقيه أصولي، توفي في (٣٥٤هـ)، ينظر: ترجمته في شذور الذهب: ٣ / ١٦، والاعلام: ٦ / ٣٠٦.

٩. الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ١ / ٣٧٣.

١. ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٢ / ١٣١.

٢. سورة البقرة: ١٨٣.

٣. سورة البقرة: ١٨٠.

٤. أساس البلاغة، مادة (كتب).

٥. سورة البقرة: ١٨٣.

٦. سورة البقرة: ٢٧٥.

٧. شرح التلويح على التوضيح: ١ / ١٥١.

وأكد الشاطبي (ت ٥٧٩٠هـ) أن هذا الاستعمال من الأوامر والنواهي غير الصريحة^(١٠٣٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن (كُتِبَ) تأتي في أحيان آخر في أسلوب الخبر وتفيد معنى الخبر كما في قوله تعالى: □ ... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَّهَرِّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ... □^(١٠٤٠)، وكذلك في قوله تعالى: □ ... وَمَرَحِصِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ □^(١٠٤١).

٣. الأمر بلفظ (فرض): تقترب دلالة (فرض) في معنى (كتب) حتى أن بعض اللغويين يفسرون الواحدة بالأخرى، جاءت في قوله تعالى: □ ... قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَنْرُوجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ... □^(١٠٤٢)، وفي قوله: □ ... فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ... □^(١٠٤٣)، وقوله: □ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ □^(١٠٤٤)، فمتى ما وردت لفظة (فرض)، فهي تحمل معنى الأمر، وهي بذلك تشترك في دلالتها مع (أمر).

٤. ذكر الفعل جزاءً لشرط: يعمل أسلوب الشرط على إيصال معانٍ مختلفة، تتراوح بين القبول والرفض، ومن المعروف أن جواب الشرط مثلما يمكن أن يكون فعلاً، يمكن أن يكون جملة اسمية، فإذا جاء الجواب يحمل معنى الأمر إما أن يأتي فعل أمر أو فعلاً مضارعاً مقترناً بلام الأمر، وإما أن يأتي جملة اسمية خبرية في شكلها إنشائية في مضمونها، وهي تقدم مادة مأمور بها في هيئة جملة واقعة في جواب الشرط، فهو أمر واجب التنفيذ في حالة وقوع فعل الشرط.

جاء هذا المعنى في قوله تعالى: □ ... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ... □^(١٠٤٥)، والمعنى أن من لم يجد فهو مأمور بصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد الرجوع، ومثل ذلك قوله تعالى: □ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ... □^(١٠٤٦).

٥. الإخبار بأن الفعل على الناس أو على طائفة منهم: تستعمل العرب عبارة من مثل على زيد

١. الموافقات: ٣ / ١٠٤.

٢. سورة آل عمران: ١٥٤.

٣. سورة الاعراف: ١٥٦.

٤. سورة الاحزاب: ٥٠.

٥. سورة النساء: ٢٤.

٦. سورة التحريم: ٢.

٧. سورة البقرة: ١٩٦.

٨. سورة البقرة: ١٩٦.

الحضور اليوم، ويفهم منها انه أمر صادر من شخص ذي سيادة أو سلطة على (زيد) والسياق يدل على أن هناك أمراً واجباً على زيد تنفيذه وإلا تعرض لنوع من أنواع العقوبة.

وقد ورد هذا الاستعمال، في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ ... وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا □ (١٠٤٧)، فقوله تعالى (الله) يعني أن الحج حق لله، وقوله: (على الناس) أي أنه واجب على الناس، يقول القرطبي عن ذلك: ((... والله، لام الإيجاب والإلزام، ثم أكد بقوله تعالى: (على) التي هي أؤكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان عليّ كذا، فقد وكّده وأوجبه، فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب، تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمة، ولا خلاف في فرضيته)) (١٠٤٨).

وتكرر هذا الأسلوب في قوله تعالى: □ وَعَلَى الْمُؤَدِّهِ مَرْزُقُهُنَّ وَكِسْوَهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ □ (١٠٤٩)، ويبدو واضحاً أن ((استعمال كلمة (على) ككافٍ في إفادة الإلزام)) (١٠٥٠).

٦. وصف الفعل بأنه برّ أو موصل إلى البرّ (١٠٥١): إن الله سبحانه وتعالى يأمر دائماً بالبرّ،

فإذا ما وصف عمل بأنه برّ فذلك يساوي الأمر، من ذلك قوله تعالى: □ ... وَكَفِّنَ الْبَرَّ

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ □ (١٠٥٢)، وكذلك قوله: □ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ □ (١٠٥٣).

٧. ذكر الفعل مقروناً بخير: وهذا قريب من سابقه فالبر والخير متقاربان في المعنى جاء ذلك

في قوله تعالى: □ ... وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ □ (١٠٥٤)، و □ ... وَأَنْ

تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ □ (١٠٥٥)، و □ وَكُنْ قَاتِلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ تُسَلَّمْ لِمَنْ عَفَا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ

وَمِنْ رَحْمَةِ خَيْرٍ مِمَّا يَجْمَعُونَ □ (١٠٥٦).

١. سورة آل عمران: ٩٧.

٢. الجامع لأحكام القرآن: ٩١/٤-٩٢.

٣. سورة البقرة: ٢٣٣.

٤. الأمر في نصوص التشريع الإسلامي: ١٢٠.

٥. ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي: ٢٦.

٦. سورة البقرة: ١٧٧.

٧. سورة آل عمران: ٩٢.

٨. سورة البقرة: ٢٢٠.

٩. سورة البقرة: ٢٨٠.

١٠. سورة آل عمران: ١٥٧.

٨. ذكر الفعل مقروناً بوعده: كما في قوله تعالى: □ مَن ذَا الَّذِي يَشْرِي اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ

أضعافاً كثيرة... □ (١٠٥٧)، فقوله سبحانه: □ فَيُضَاعَفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً □، وعد يوجد في نفس السامع حافظاً على القيام بالفعل، وهو بذلك قريب من منزلة المأمور بالعمل، إلا إن اقتران العمل بالوعد يجعل السامع راضياً بالقيام بالفعل راجياً تحقيق الوعد، فالقبول هنا متحقق عند من أمر بالفعل وعند من قام بالفعل طلباً للمثوبة.

ويلاحظ أيضاً أن وصف الفعل بالبر أو بالخير أو اقترانه بالوعد كلها أساليب ترغيب تأخذ بيد السامع لإزالة الحاجز النفسي بينه وبين الفعل لكي يقوم به وهو مقتنع بالفعل المأمور به، وأساليب الترغيب في القرآن الكريم كثيرة جداً، منها ما تحدث عنها الشاطبي في صدد كلامه عن معرفة الأوامر والنواهي في القرآن الكريم، بقوله: ((ما جاء مجيء مدحه، أو مدح فاعله في الأوامر، أو ذمه أو ذم فاعله في النواهي، وترتيب الثواب على الفعل في الأوامر، وترتيب العقاب في النواهي، أو الإخبار بمحبة الله في الأوامر، والبغض والكرهية أو عدم الحب في النواهي)) (١٠٥٨).

والشواهد القرآنية تؤيد هذا فالمدح كقوله تعالى: □ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ □ (١٠٥٩)، وترتيب الثواب على الفعل كما في قوله تعالى: □ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ □ (١٠٦٠)، ومن أمثلة الإخبار بمحبة الله في الأوامر قوله

تعالى: □ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ □ (١٠٦١).

وهناك أساليب آخر في الأمر يمكن أن يدل عليها السياق كقوله تعالى: □ الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الَّذِينَ □ (١٠٦٢)، فالآيات تحمل معنى الدعاء وهو أمر مجازي، جاءت بأسلوب خبري دلالة

على ثقة الداعي في الاستجابة، كما أن الأسلوب الخبري غير المباشر أكثر تأدباً من استعمال صيغ الأمر المباشرة، لاسيما في الدعاء، ومما يؤكد أن هذه الآيات واردة في

سياق الطلب قوله تعالى: □ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الَّذِينَ □ (١٠٦٣)، فمجيء كلمة

(أطمع) دليل على وجود الطلب في نفس المتكلم، فهذا الأسلوب لم يستعمل الطرق المارة الذكر؛ لأنه أمر من طريق غير مباشر ((فنحن نلمح طلب الهداية والرزق والشفاء من

١. سورة البقرة: ٢٤٥.

٢. الموافقات: ٣/ ١٠٤.

٣. سورة الحديد: ١٩.

٤. سورة النساء: ١٣.

٥. سورة المائدة: ٩٣، وينظر: التوبة: ٤ و ١٠٨، والحجرات: ٩.

٦. سورة الشعراء: ٧٨-٨٢.

١. سورة الشعراء: ٨٢.

الأسقام ومغفرة الذنوب من خلال السياق تلميحاً لا تصريحاً)) (١٠٦٤).

❖ خروج صيغة الأمر عن معناها الأصلي:

تنبه المهتمون بشؤون اللغة، من نحاة وبلاغيين ومفسرين، على أن صيغة الأمر التي تطلب الإتيان بالفعل على وجه الوجوب والإلزام، أنها تخرج عن هذا المسار وتتجه بمساعدة السياق الذي توضع فيه إلى اتجاهات مختلفة تأخذها بعيداً عن معناها الأصلي (١٠٦٥)، فيمكن أن يؤدي فعل الأمر

معنى الإباحة (١٠٦٦)، كما في قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا (١٠٦٧)، كما يمكن أن يخرج إلى

معنى التخيير كقولنا: ((كل خبزاً أو تمرأ)، أي لا تجمعهما)) (١٠٦٨)، ونجد هذا المعنى في قوله

تعالى: إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرُوا وَإِنَّمَا كَفَرُوا (١٠٦٩)، أو يخرج إلى معنى التسوية، كما في

قولنا: ((خذ بهما عزاً أو هاناً) كأنه قال: خذ بهذا أو بهذا أي لا يفوتك على كل حال)) (١٠٧٠)،

ونجد ذلك في قوله تعالى: قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِن كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ

(١٠٧١)، وقوله: فَاصْبِرُوا أَوْلاً تَصْبِرُوا (١٠٧٢)، كما يخرج لمعنى الدعاء في قوله تعالى:

مَرْبِنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (١٠٧٣)، وقوله: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي

أَمْرِي (١٠٧٤)، كما يخرج الأمر إلى معانٍ آخر أشار إليها الباحثون منها:

١. التهديد والوعيد: كما في قوله تعالى: فَتَسْمَعُوا فَنُفِثَ تَعْلَمُونَ (١٠٧٥)، يقول أبو عبيده ((إن

مجازة مجاز التوعيد والتهديد، وليس بأمر طاعة وفريضة)) (١٠٧٦)، وكذا في قوله تعالى:

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٠٧٧)، يقول في تفسيرها: ((لم يأمرهم بعمل الكفر، إنما هو

توعيد)) (١٠٧٨)، وأيد ذلك ابن قتيبة (١٠٧٩)، كما تابعه المبرد (١٠٨٠) في صدد كلامه عن قوله تعالى:

٢. الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين، ياسين جاسم المحميد (رسالة ماجستير)، ١٩٩٢، ص ٥٦.

٣. ينظر على سبيل المثال، جواهر البلاغة: ٦٥ - ٦٦.

٤. الكشاف: ٦٠٢/١، وللإستزادة ينظر: الإباحة والمنع في القرآن الكريم، ٢٣٠ - ٢٣٦.

٥. سورة المائدة: ٢.

٦. الكتاب: ١٨٤/٣، وينظر المقتصد في شرح الإيضاح: ٩٤٢/٢.

٧. سورة الإنسان: ٣.

٨. الكتاب: ١٨٤/٣ - ١٨٥.

٩. سورة التوبة: ٥٣.

١٠. سورة الطور: ١٦.

١١. سورة الاعراف: ٨٩.

١٢. سورة طه: ٢٥ - ٢٦.

١. سورة الروم: ٣٤.

٢. مجاز القرآن: ١٢٢/٢.

٣. سورة فصلت: ٤٠.

٤. مجاز القرآن: ١٢٢/٢.

٥. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٨٠.

٦. ينظر: المقتضب: ٨٦/٢.

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْبُوا □ (١٠٨١)، ومثلها قوله تعالى: □ قُلِ اتَّظَرُوا إِنَّا مُنْتَظَرُونَ □ (١٠٨٢)،
و □ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ □ (١٠٨٣)، و □ قَتَرَبْصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ □ (١٠٨٤)، و □ فَذَمَّرَنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ □ (١٠٨٥).

ومما تجدر الإشارة إليه إن خروج الأمر إلى هذا الغرض يخرج من دائرة القبول إلى
الرفض؛ لأن التهديد والوعيد لا يكون إلا في الأمور المرفوضة.

٢. الخبر: ومثلما يؤدي الخبر معنى الأمر، فإن الأمر بدوره يمكن أن يؤدي معنى الخبر، كما في
قوله تعالى: □ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا □ (١٠٨٦)، والمعنى (فليمدن) (١٠٨٧) أو:
مدَّ له الرحمن بمعنى أمهله في العمر، وجاء لفظ الأمر إيداناً بوجوب ذلك، وكأنه مفعول لا
محالة كالأمر به (١٠٨٨).

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: □ إِنَّمَا نُتَلِّيْ لَهُمْ لَيْزًا دَاوًّا إِثْمًا □ (١٠٨٩)، فالمعنى ((يحتمل أن
يكون خبراً في المعنى، وصورته صورة الأمر، كأنه يقول: من كان ضالاً من الأمم فعادة الله له
أن يمدَّ له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة)) (١٠٩٠).

ووجه ابن فارس قوله تعالى: □ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ □ (١٠٩١)، على أن قوله
(فليلقه) مشترك بين الخبر والأمر، كأنه قال: ((فأقذفيه في اليم يلقه اليم)) ومحتمل أن يكون اليم
قد أمر باللقائه (١٠٩٢).

٣. التأديب (١٠٩٣) أو الإرشاد: يمكن أن تستعمل صيغة الأمر ويراد بها توجيه النصيحة والإرشاد كما
في قوله تعالى: □ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ □ (١٠٩٤)، وقوله: □ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ

٧. سورة الحجر: ٣.

٨. سورة الأنعام: ١٥٨.

٩. سورة الأعراف: ٨٧.

١٠. سورة التوبة: ٢٤.

١١. سورة القلم: ٤٤.

١٢. سورة مريم: ٧٥.

١٣. الخصائص: ٣٠١ / ٢.

١٤. ينظر: الكشاف: ٥٢١ / ٢.

١٥. سورة آل عمران: ١٧٨.

١٦. البحر المحیط: ٢١٢ / ٦، وينظر: البرهان: ٣٥٠-٣٥١ / ٢، ٢٩٠ / ٢، والاتقان: ٣٩ / ٢، ٤٠-٣٩، ومعتزك الأقران: ٢٥٩ / ١-

٢٦٠، وكتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ١٠٤٤-١٠٤٥، والأشباه والنظائر: ٣٩٤-٣٩٥.

١. سورة طه: ٣٩.

٢. الصحابي: ٢٦٩.

٣. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٨٠.

٤. سورة الطلاق: ٢.

وَاضْرِبُوهُنَّ □ (١٠٩٥).

٤. التعجب: من المعلوم أن صيغة التعجب القياسية (أحسن بزيد) تحتوي على فعل أمر، وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ □ (١٠٩٦)، ((ولا يقال الله عز وجل: تعجب، ولكنه خرج على كلام العباد، أي هؤلاء ممن يجب أن يقال لهم: ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك الوقت)) (١٠٩٧)، وجاء فعل الأمر (انظر، انظروا) في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم لغرض التعجب (١٠٩٨)، كما في قوله تعالى: □ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ □ (١٠٩٩).

٥. التبكي: كما في قوله تعالى: □ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ □ (١١٠٠)، فالأمر هنا ليس حقيقياً، و((إنما هو في النار الذليل المهان، لكنه خُوطِبَ بما كان يُخاطَبُ به في الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكي له، الإذكار بسوء أفعاله)) (١١٠١).

٦. التسليم: كما في قوله تعالى: □ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ □ (١١٠٢)، ف (اقض) لفظها أمر، لكن معناها خرج إلى التسليم بمعنى الانقياد لأمر الله وترك الاعتراض فيما لا يلزم (١١٠٣).

٧. التكوين (١١٠٤): كما في قوله تعالى: □ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ □ (١١٠٥)، وهذا المعنى لا يكون إلا

من الله جل ثناؤه، أو قوله تعالى: □ ... كُنْ فَيَكُونُ □ (١١٠٦)، وهذه الأوامر ((لا توجه على سبيل الخطاب لمن هو في حيرة من أمره، وإنما توجه على سبيل الوقوع الفعلي من المخلوقات بما هي مخلوقات مستجيبة حتماً للأمر الإلهي)) (١١٠٧).

٨. الندب: كما في قوله تعالى: □ فَاتَّشَرُوا فِي الْأَرْضِ □ (١١٠٨).

٩. التعجيز: كما في قوله تعالى: □ فَاتَّوَا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ □ (١١٠٩)، وقوله: □ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ

٥. سورة النساء: ٣٤.

٦. سورة مريم: ٣٨.

٧. المقتضب: ٤/ ١٨٣.

٨. ينظر: موضوع (التعجب بالأمر) في: أساليب التعجب في القرآن الكريم دراسة دلالية، حاتم حسين علي (رسالة ماجستير) ١٩٩٨، ١٠٩-١١٣.

٩. سورة الإسراء: ٤٨.

١٠. سورة الدخان: ٤٩.

١١. ينظر: المحتسب: ١/ ١٠١.

١٢. سورة طه: ٧٢.

١٣. ينظر: التعريفات: ٥٧.

١. ينظر: في تفاصيل (الأمر التكويني): دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني: ٢٨٧-٢٩٤.

٢. سورة البقرة: ٦٥.

٣. سورة البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧-٥٩، والانعام: ٧٣، والنحل: ٤، ومريم: ٣٥، ويس: ٨٢، و غافر: ٦٨.

٤. دراسة المعنى عند الأصوليين: ٧.

٥. سورة الجمعة: ١٠.

□ (١١٠).

١٠. التمنى: كما في قول أمريء القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل

١١. التلهيف والتحسير: كما في قوله تعالى: □ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ □ (١١١).

١٢. السؤال والالتماس: وهو طلب بين شخصين غير متفاوتين في الرتبة، أي إن أمر بدون شرط الاستيلاء.

١٣. الإهانة: كما في قوله تعالى: □ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا □ (١١٢)، أو □ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ □ (١١٣).

١٤. الإكرام: في قوله تعالى: □ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ □ (١١٤)، وقوله: □ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ □ (١١٥).

١٥. التكذيب: في قوله تعالى: □ قُلْ فَاتُوا بِالْتُّومَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ □ (١١٦)، وقوله تعالى: □ قُلْ هَلْهَلَّ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا □ (١١٧)، وقوله: □ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ □ (١١٨).

١٦. المشورة: في قوله تعالى: □ قَالَ يَا بَنِي آدَمِ فِي الْمَنَامِ أَنِي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى □ (١١٩)، يقول الزمخشري: ((فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة)) (١٢٠).

١٧. الاعتبار: في قوله تعالى: □ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ □ (١٢١)، فانظروا هنا لا تحتل معنى الوجوب وإنما هو ((نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقلة من

٦. سورة البقرة: ٢٣.

٧. سورة الرحمن: ٣٣.

٨. سورة آل عمران: ١١٩.

٩. سورة الاسراء: ٥٠.

١٠. سورة الدخان: ٤٩.

١١. سورة الحجر: ٤٦.

١٢. سورة الأعراف: ٤٩.

١. سورة آل عمران: ٩٣.

٢. سورة الأنعام: ١٥٠.

٣. سورة البقرة: ١١١.

٤. سورة الصافات: ١٠٢.

٥. الكشاف: ٣ / ٣٤٨.

٦. سورة الأنعام: ٩٩.

حال إلى حال))^(١١٢٢)، ويؤيد ذلك قول القرطبي: ((وهو نظر الاعتبار لا نظر الإبصار المجرد عن التفكر))^(١١٢٣).

وتوسع بعض الباحثين في المعاني التي تخرج إليها صيغ الأمر فأوصلها إلى نيف وثلاثين غرضاً^(١١٢٤).

المبحث الثاني

التمني والترجي

أولاً: التمني :

التمني في اللغة هو رغبة النفس في حصول شيء ما، فهو ((تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون ... (تمني الشيء) أي: قدرته وأحببت أن يصير إليّ، ... و(تمني الشيء): أراده))^(١١٢٥)، وفي الاصطلاح: ((هو طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً))^(١١٢٦).

ولا بد أن يكون القبول النفسي كبيراً إلى الدرجة التي أصبح فيها الأمر المراد حصوله أمنية، والتمني وإن كان حاصلًا في النفس إلا أنه لا يظهر إلا عن طريق اللسان، لذا اختلف أهل العربية في حقيقته فمنهم من قال إنه من أعمال القلب كابن يعيش الذي يقول: ((التمني نوع من الطلب، والفرق بينه وبين الطلب إن الطلب يتعلق باللسان و(التمني) شيء يهجس في القلب يقدره المتمني))^(١١٢٧)، ومنهم من قال إنه قول باللسان كالزمخشري الذي يقول عنه: ((إنما هو قول الإنسان بلسانه: (ليت لي كذا) فإذا قاله قالوا: (تمنى) و(ليت): كلمة التمني))^(١١٢٨).

وعلى الرغم من تقارب التمني والترجي في المعنى فإن النحاة فرّقوا بينهما، يقول ابن يعيش فيهما: ((كل واحد منهما مطلوب الحصول على الشك فيه، والفرق بينهما، أن (الترجي) توقع أمر مشكوك فيه أو مظنون، و(التمني) طلب أمر موهوم الحصول، وربما كان مستحيل الحصول))^(١١٢٩). لذلك قال النحاة إن (التمني) يستعمل في (الممكن) و(المحال) ... وذلك لأن ماهية (التمني) محبة حصول الشيء سواء كنت تنتظره أو ترتقب حصوله أو لا))^(١١٣٠).

٧. الكشاف: ٤٠ / ٢.

٨. الجامع لأحكام القرآن: ٣٣ / ٧.

٩. ينظر: الأمر والنهي عند علماء العربية والاصوليين: ٧١ - ٨٢.

١. لسان العرب (منى): ٢٩٤ / ١.

٢. التعريفات: ٤١، وينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٤٦ / ٢.

٣. شرح المفصل: ١١ / ٩.

٤. الكشاف: ٢٩٧ / ١ - ٢٩٨.

٥. شرح المفصل: ٨٦ / ٢، وينظر: شرح قطر الندى: ١٤٨ - ١٤٩ والتعريفات: ٦٩ والاتقان: ٨٢ / ٢ ومعترك الأقران: ٤٤٤ / ١.

٦. شرح الكافية: ٣٤٦ / ٢ وينظر: شرح المفصل: ٨٦ / ٨ والتعريفات: ٦٩ والجنى الداني: ٤٢٩ ومغني اللبيب: ٢٨٥ / ١.

والاتقان: ٨٢ / ٢، ومعترك الأقران: ٤٤٤ / ١، وهمع الهوامع: ١٣٤ / ١، وشرح الاشموني: ١٣٦ / ١.

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم فمن استعمال (التمني) في (المحال) أو (الممتنع) قوله تعالى:
 يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ □ (١١٣١)، وقوله سبحانه على لسان مريم عليها السلام: □ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ
 هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا □ (١١٣٢).

واشترط بعض النحاة في (التمني) إن كان مستعملاً في الممكن أن لا يكون لك توقع أو طمع
 في وقوعه (١١٣٣)، يقول التفزازاني: ((تقول: (ليت الشباب يعود) ولا تقول (لعله يعود) لكن إذا كان
 المتمني ممكناً يجب أن لا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه وإلا لصار ترجياً)) (١١٣٤).

٤٥. أدوات التمني: تستعمل اللغة العربية عدة أدوات لغرض التمني هي:

١. (ليت) أجمع النحويون والبلاغيون على أن (ليت) الأداة الأصلية الموضوعية للتمني، فهي
 تحمل معنى (أتمنى) (١١٣٥)، يقول السكاكي: ((اعلم ان الكلمة الموضوعية للتمني هي (ليت)
 وحدها)) (١١٣٦)، وهي خالصة للتمني لا تخرج إلى غرض آخر.

وردت في قوله تعالى: □ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً □ (١١٣٧)، تشير الآية
 الكريمة إلى وجود رغبة في نفس القائل في أن يكون معهم، وهذه الرغبة نابعة من قبول
 أكيد وحقيقي لهذا الأمر، وعلى الرغم من أن القبول نفسي، فإن التعبير عنه جسده في
 صورة قبول على المستوى القولوي، والذي ساعد على ذلك الأداة (ليت)، ويشير الفراء إلى
 معنى آخر في التمني المتعلق بالزمن الماضي، وهو إفادته معنى النفي، فيقول: ((إن ما
 تمنى مما قد مضى فكأنه مجحود، ألا ترى أن قوله تعالى: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً
 عَظِيماً)، فالمعنى لم أكن معهم فأفوز)) (١١٣٨).

كما جاء في قوله تعالى على لسان مريم: (يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا)، وقوله
 تعالى - على لسان المشركين عند معاينة الحساب - : □ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا
 وَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ □ (١١٣٩)، ويلاحظ أن هذا التمني في كلا الآيتين وفي الآية السابقة لهما لا
 يُرجى حصوله أبداً؛ لأنه مستحيل الوقوع ضمن الأسباب والمسببات التي اختارها الله عز
 وجل لهذا الكون.

كما وردت (ليت) في تمني الممكن في قوله تعالى: □ يَا لَيْتَ كَمَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ

١. سورة الحاقة: ٢٧.
٢. سورة مريم: ٢٣.
٣. ينظر: مفتاح العلوم: ١٢٦ والإيضاح: ١ / ١٣١.
٤. مختصر التفزازاني - شروح التلخيص: ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩.
٥. ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٣٣ والمقتضب: ٤ / ١٠٨ وشرح المفصل: ٨ / ٨٤ ورفص المبانى: ٢٩٨.
٦. مفتاح العلوم: ١٤٧ وينظر: الإيضاح: ١ / ١٣١، وشروح التلخيص: ٢ / ٢٣٨.
٧. سورة النساء: ٧٣.
٨. معاني القرآن، الفراء: ١ / ٢٧٦.
٩. سورة الانعام: ٢٧.

عَظِيمٌ □ (١١٤٠)، وقوله: □ قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ □ (١١٤١)، فالتمني هنا ((ممكن الوقوع وجائز الحصول، لكنه بعيد المنال والتحقيق)) (١١٤٢)، لذلك افترق عن الترجي؛ ((لوجود بُعد نفسي، مرده إلى شعور النفس وإحساسها بذلك الشيء، وقد لا يكون بعيداً بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل)) (١١٤٣).

٢. (لو): تحمل (لو) في بعض التراكيب معنى (ليت)، لذلك تعد من أدوات التمني، وقد جاءت في قوله تعالى: □ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا □ (١١٤٤)، وقوله

تعالى: □ فَلَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ □ (١١٤٥)، يقول الزمخشري: (((لو) في معنى

التمني، ولذلك أجيب بـ (الفاء) الذي يجاب به التمني كأنه قيل: ليت لنا كرة فنبراً منهم)) (١١٤٦)، فيمكن تقدير (ليت) مكان (لو) التي يوتى بها للتمني (١١٤٧).

ويرى بعض أهل العلم أن أداة التمني (لو) هي في الأصل (لو) الشرطية الامتناعية وقد أشربت معنى التمني (١١٤٨). فيلاحظ في الآيتين السابقتين ((إن التمني بها ليس أمراً واحداً لا يرجي حصوله كما في (ليت) بل هو أمران يستحيل أحدهما لاستحالة الآخر، ففي الآية السابقة - مثلاً - لم تتعلق آمال الإتيان بالعودة التي هي مستحيلة في ذاتها فحسب بل بما يترتب عليها في وهمهم وهو التبرؤ من المتبوعين)) (١١٤٩)، وهذا من أسباب استعمالها لغرض التمني ((ووجه استعمالها كثيراً للتمني أنها في الأصل تدخل على الممنوع والمحال، والمحال هو المتمنى كثيراً)) (١١٥٠)، فمن يستعمل (لو) في التمني يشعر ببعد واستحالة المتمنى (١١٥١).

وبيّن الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) أن الغرض من استعمال (لو) في التمني ((الإشعار بعزة متمناه، حيث أبرزه في صورة ما لم يوجد؛ لأن (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع)) (١١٥٢).

وقال غيره إن استعمال (لو) بدل (ليت) ((لغرض بلاغي وهو إبراز المتمنى في صورة

٢. سورة القصص: ٧٩.

٣. سورة الزخرف: ٣٨.

٤. المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٧٢.

٥. علم المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح: ٣٣٨.

٦. سورة البقرة: ١٦٧.

٧. سورة الشعراء: ١٠٢.

٨. الكشاف: ٣٢٧/١ وينظر: ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٤، ووصف المباني: ١٩١-١٩٢، والبرهان: ٣٢٢/٢، ٣٧٥/٤، والاتقان:

٨٢/٢، ومعتزك الأقران: ١/٤٤٥، وخزانة الأدب: ١/١٨٤.

٩. ينظر: الكشاف: ١١٩/٣ و ٤٠٤/٣ - ٤٠٥، والبحر المحيط: ١/٤٧٤ و ٢٨/٧، ٢٠١، ٤٣٦.

١٠. ينظر: همع الهوامع: ٢/٦٦ وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٥٣٣.

١١. علم المعاني: د. حسن طبل: ٨٣.

١. مواهب الفتاح - شروح التلخيص: ٢/٢٤١ - ٢٤٢، وينظر: مفتاح العلوم: ٥٨.

٢. ينظر: علم المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح: ٣٤٠.

٣. حاشية الدسوقي - شروح التلخيص: ٢/٢٤١.

(الممكن) (١١٥٣).

والحقيقة إن استعمال (لو) يكون في تمني الشيء المستحيل أو غير المتوقع حصوله، إلا إن رغبة النفس في ذلك الشيء تصور المتمنى وإن كان مستحيلاً وكأنه ممكن الحدوث .
٣. (ألا): تدخل همزة الاستفهام على (لا) النافية للجنس، فتفيد معنى التمني، كما في قولنا (ألا ماء فأشربه)، ولم ترد في القرآن الكريم .

٤. (لعل): تُستعمل (لعل) استعمال (ليت) وتؤدي معنى تمني الشيء البعيد أو المستحيل، كما في قوله تعالى: □ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى □ (١١٥٤)، يقول الزمخشري في (لعل): ((قد لمح فيها معنى (التمني) مَنْ قرأ (فَاطَعٌ) (بالنصب))) (١١٥٥).

إلا إن ابن هشام يرى أن (لعل) ((تختص بالممكن، وقول فرعون "لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات" إنما قاله جهلاً أو مخرقاً وإفكاً)) (١١٥٦).

وجاءت (لعل) لإفادة معنى التمني في قول الشاعر:

أسربَ القطا هل مَنْ يعير جناحه ؟ لعلني إلى من قد هويتَ أطيْرُ

يلاحظ في هذا الاستعمال أن (لعل) دخلت على أمر مستحيل الوقوع، لذلك خرجت عن معنى الرجاء وحُسبت على التمني، واستعمالها هنا ((لغرض بلاغي مقصود، وهو إبراز المتمنى البعيد في صورة الممكن القريب الحصول، وذلك لكمال العناية به، والرغبة في وقوعه)) (١١٥٧).

وهذا سبب عدول المتكلم عن (ليت) إلى (لعل). وإذا كانت (لعل) موضوعة في الأصل للترجي، إلا إن استعمالها في التمني يدل على ((دقة الوضوح في العربية، وسلامة الطبع لأهلها)) (١١٥٨).

وقد تخرج (لعل) عن غرضي التمني والترجي إلى معنى (التوقع) عندما لا تختص بمحبوب أو مكروه، أشار إلى هذا المعنى السيد الجرجاني بقوله: ((هي موضوعة لإنشاء توقع أمر إما مرغوب ويسمى ترجياً أو مرهوب ويسمى إشفافاً... وقد يكون من غيرهما ممن له نوع تعلق بالكلام، كأنها جردت لمطلق التوقع، كما في قوله تعالى: □ فَلَعَلَّكَ نَارِكٌ

بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ □ (١١٥٩)، على أحد الوجهين وهو أنك قد بلغت من التهالك على إيمانهم مبلغاً يرجون أن تترك بعض ما يوحى إليك)) (١١٦٠).

٥. (هل): تخرج (هل) عن غرض الاستفهام إلى غرض التمني، وتُستعمل في الموضع الذي

٤. المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٧٤.

٥. سورة القصص: ٣٨.

٦. المفصل: ٣٠٣، وينظر: رصف المباني: ٣٧٤، ومغني اللبيب: ٢٨٨ / ١.

٧. مغني اللبيب: ٢٨٧ / ١.

٨. المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٧٤.

١. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني): ١٦١.

٢. سورة هود: ١٢.

٣. حاشية على الكشف - السيد الجرجاني: ١٧٧ / ١.

يُعلم فيه انتفاء الشيء المتمنى كما في قوله تعالى: **فَهَلْ لَنَا مِنْ شَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا** □ (١١٦١).

(فالشفعاء) هو الأمر الذي علم المتكلم فقده فتمنى وجوده وعبر عن غرضه بـ (هل) (لإبراز المتمنى - لكمال العناية به - في صورة الممكن) (١١٦٢).

كما يلاحظ في الآية الكريمة مجيء (من) الزائدة لتؤكد نفي المتمنى ((فيكون وجودها في هذا الموضع قرينة تمنع حمل الكلام على الاستفهام الحقيقي المقتضي لعدم العلم بالمستفهم عنه ثبوتاً أو نفياً)) (١١٦٣)، ومثل ذلك قوله تعالى: **فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**

□ (١١٦٤).

كما وردت من غير (من) الزائدة في قوله تعالى: **فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ** □ (١١٦٥)،

ويقول أبو حيان (ت ٥٧٤٥هـ): ((هذا على جهة التمني منهم، والرغبة، حيث لا تنفع الرغبة)) (١١٦٦)، يلاحظ مما تقدم إن المطلوب بعيد المنال إلا إن المتكلم تعمّد استعمال (هل) لغرض في نفسه هو ((إبراز هذا المستحيل البعيد الحصول في صورة المستفهم عنه الممكن الوقوع، إظهاراً لكمال العناية به، والرغبة في وقوعه)) (١١٦٧).

وأضاف بعضهم إلى (هل) من أدوات الاستفهام (أين) و(متى) لتؤدي غرض التمني،

كما في قوله تعالى: **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ** □

□ (١١٦٨)، ففي عبارة: (أين المفر)؟ نلاحظ دلالة السياق على وجود أمنية في النفس

((ويقول من وقع في شدة يستبعد زوالها: متى الخلاص؟ والسر البلاغي وراء التمني بالاستفهام ... هو ان هؤلاء لشدة دهشتهم وفرط حيرتهم طارت عقولهم فظنوا أن غير الممكن صار ممكناً، فاستفهموا عنه)) (١١٦٩).

يلاحظ في الاستفهام الخارج إلى غرض التمني أنه يتضمن طلباً، وهذا الطلب يكمن في أسلوب الاستفهام، وتقوية دلالة التمني فكأنه طلب ملح، فمن يتمنى بـ (ليت) و(لو) و(لعل) قد يكون يتحدث مع نفسه، لذلك قال بعضهم إن التمني ليس من أساليب الطلب، ولكن من يتمنى بأدوات الاستفهام فإنه يطلب من المخاطب مساعدته في تحقيق أمنيته، وفي هذا الطلب شيء من التضرع.

نستنتج مما تقدم أن التمني يكون أحياناً لأمر قد فات زمانه. وأحياناً آخر لأمر يتعلق بالحاضر أو المستقبل، فإذا كان التمني يعبر عن زمن مضى وانتهى فإنه مجرد أمنية مستحيلة الحدوث؛ لأنّ أوانها قد فات، فغرض المتكلم مجرد الإفصاح عن أمنية في النفس امتنع حصولها، أما إذا كان يعبر عن زمن الحاضر أو المستقبل فإنها تبقى ممكنة الحدوث؛

٤. سورة الأعراف: ٥٣.

٥. الإيضاح: ١/ ١٣١، وينظر: مفتاح العلوم: ١٤٧ وعروس الأفراح - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤١.

٦. أساليب الطلب: ٥٣٩، وينظر: مواهب الفتاح - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤١ ومختصر التفتازاني - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤٠، وحاشية الدسوقي - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤٠.

٧. سورة غافر: ١١.

٨. سورة الشعراء: ٢٠٣.

٩. البحر المحيط: ٤٣/٦، وينظر: ٤/ ٣٠٦ والكشاف: ٣/ ٣٦٤ في تفسير غافر: ١١.

١. المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٧٣.

٢. سورة القيامة: ٧- ١٠.

٣. علم المعاني، د. بسيوني: ٣٣٩.

لأن زمنها لم ينقض بعد، حتى وان كانت مستحيلة الحدوث على وفق القوانين الطبيعية للحياة؛ لأن أمانى النفس الإنسانية ليس لها حدود، فيمكن أن يتمنى الإنسان حدوث معجزة كما في قوله تعالى: **﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** (١١٧٠)، لأن كل شيء ممكن بقدرة الله ومشيئته، لذلك قيل إن التمني يكون في المستحيل وفي الممكن الذي لا يتوقع حدوثه ((وقد أدرك ابن يعقوب المغربي القيمة النفسية لهذا الأسلوب حين ذكر أن تمني مالا سبيل إليه قد يكون للاستعطاف أو للاعتذار وما شابه ذلك وقد يكون - وهذا هو المهم (لمجرد موافقة خاطر والترويح على النفس) أي أن التعبير عن هذه المتمنيات حين لا يكون القصد منه إحداث التأثير في موقف معين يكون الغرض منه هو نفس التعبير والترجمة عن هذه الخواطر الحبيسة والغناء بهذه الأحلام البعيدة فان ذلك مما يروح عن النفس ويطرح عنها أثقالاً وأوزاراً)) (١١٧١).

ثانياً: الترجي :

الترجي هو التوقع والأمل (١١٧٢)، والرجاء رغبة في النفس يُنتظر حصولها، فهي ممكنة الحدوث وربما قريبة المنال، وهذا ما يُفرّقها عن التمني، وانتظار حصولها يقع بين الشك واليقين، فمنهم من يرجو حصول شيء وهو متيقن من أنه سيحدث، ومنهم من يرجو وهو في شك من الأمر.

وكل رغبة لا بد أن يسبقها قبول نفسي، فمن يرجو أمراً يكون راضياً عن ذلك الأمر كل الرضا، فصار متأملاً راجياً حصوله، وهو كالتمني قبول نفسي يعبر عنه بالكلام؛ إلا إن درجة القبول في التمني تبدو أكبر مما هي عليه في الترجي؛ لأن الأمنية لا تكون إلا نتيجة رغبة شديدة تغور في أعماق النفس الإنسانية وتنال اهتماماً واضحاً من الإنسان فتشغل حيزاً من تفكيره.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الترجي يستعمل أيضاً في معنى (الخوف)، يقول ابن منظور: ((الرجاء) من (الأمل) نقيض اليأس ... وقد يكون (الرجاء) بمعنى (الخوف)، وفي التنزيل العزيز: **﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾** (١١٧٣)) (١١٧٤).

وقد تنبه النحاة على هذه المسألة فقالوا إن (لعل) و(عسى) تستعملان في ارتقاب الشيء المحبوب (وهو الترجي) أو المكروه (وهو الإشفاق)، يقول سيبويه: (لعل) و(عسى): ((طمع وإشفاق)) (١١٧٥)، وأكد ذلك المبرد بقوله إن معنى (لعل) ((التوقع لمرجو أو مخوف، نحو (لعل زيدا يأتيني) و(لعل العدو يدركنا)) (١١٧٦)، ولذلك حدث الاختلاف في أسلوب الترجي هل هو من أقسام

٤. سورة الشعراء: ١٠٢.

١. دلالات التراكيب: ٢٠٣.

٢. ينظر: لسان العرب: (رجا): ١٤ / ٣٠٩ - ٣١٠.

٣. سورة نوح: ١٣، وينظر: الكشاف: ٤ / ١٦٣.

٤. لسان العرب (رجا)، وينظر: كتاب الأفعال: ٢ / ٦٩.

٥. الكتاب: ٤ / ٢٣٣، وينظر: ٢ / ١٤٨.

٦. المقتضب: ٤ / ١٠٨، وينظر: الأصول في النحو: ١ / ٢٧٨ والمفصل: ٣٠٢.

الطلب أم لا؛ لأنه إذا كان يتضمن طلب حصول شيء محبوب والتوقع أو الإشفاق من المكروه، فالمكروه لا يطلب^(١١٧٧)، ولهذا اخرج البلاغيون (الترجي) من الإنشاء الطلبي، وكذلك يخرج معنى الإشفاق من موضوع القبول.

وإذا كان زمن (التمني) يمتد من الماضي إلى المستقبل فإن الدلالة الزمنية للترجي تكون على نية حصوله في المستقبل^(١١٧٨).

٤٦. أدوات الترجي: تستعمل اللغة العربية الأدوات الآتية لتؤدي معنى (الترجي):

١. (لعل): لقد اختلف في أصل هذا الحرف، يقول الجرجاني: ((إن الأصل: (علّ) و اللام زائدة))^(١١٧٩). وقد جاء في الشعر كثيراً خالياً من اللام، كقول الشاعر:

علّ صُرُوف الدَّهر أو ذُلّاتها يُدِنُّنا اللَّمة من لَمَّاتها

وقول الآخر:

يا أبتًا علّك أو عساكا^(١١٨٠)

وفي (لعل) لغات عدة استعملتها العرب، لكن لم يأت في القرآن الكريم من لغاتها إلا (لعل) و(إنّ) و(علّ)^(١١٨١)، فقد قرأ قوله تعالى: □ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ

□^(١١٨٢)، بفتح همزة (أنها)^(١١٨٣)، يحتمل أن تكون مستعملة في معنى (لعل) ويقوي ذلك قراءة أبي ((لعلها إذا جاءت لا يؤمنون))^(١١٨٤).

ويؤكد الزجاجي أن العرب استعملت (أنّ) بمعنى (لعل) وهي لغة مشهورة معروفة، قد جاءت في كتاب الله تعالى وكلام الفصحاء من العرب^(١١٨٥).

وعلى الرغم من اتفاق النحاة على أن (لعل) لا تفيد إلا (الترجي) في المحبوب أو (الإشفاق) في المكروه، فإن استعمالها في القرآن الكريم وسّع دلالتها ليضيف لها معاني أخرى، ساعد السياق على منحها تلك الإضافات الدلالية الأمر الذي جعل المفسرين والبلاغيين يتأملون في الآيات القرآنية أكثر لاكتشاف المعنى الذي أفادته (لعل) في سياقات جدد، يقول الاستربادي (ت ١٠٣٣ هـ): ((وقد اضطرب كلامهم في (لعل) الواقعة في كلامه تعالى لاستحالة ترقب غير الموثوق بحصوله عليه تعالى، فقال قطرب وأبو علي: معناها (التعليل) فمعنى (افعلوا الخير لعلكم تُرحمون) أي (ترحموا))^(١١٨٦).

٧. ينظر: مواهب الفتاح - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤٥، وحاشية الدسوقي - شروح التلخيص: ٢/ ٢٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ٨٥.

١. ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ١١٦.

٢. المقتضب: ٣/ ٧٣، وينظر: رصف المباني: ٢٤٨-٢٥٠، ٣٧٣، ومغني اللبيب: ١/ ١٥٥، وكتاب المقتصد في شرح

الإيضاح: ١/ ١١٨، والمفصل: ٣٠٣.

٣. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٤٤٣-٤٤٤.

٤. ينظر: شرح المفصل: ٨/ ٨٨، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٢/ ٥٩٦.

٥. سورة الانعام: ١٠٩.

٦. ينظر الكشاف: ٢/ ٤٣-٤٤، والبحر المحيط: ٤/ ٢٠١-٢٠٣.

٧. ينظر الكشاف: ٢/ ٤٤، وخزانة الأدب: ٤/ ٣٧٧-٣٧٨.

٨. ينظر اللامات: ١٤٨.

١. شرح الكافية: ٢/ ٣٤٦، وينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٦٩ وتأويل مشكل القرآن: ١٨٨، والصحابي: ١٤١، والأزهية: ٢٢٦-

٢٢٧، وشرح المفصل: ٨/ ٨٥-٨٦، ولسان العرب (لعل):، والبرهان: ٤/ ٣٩٢-٣٩٥، والاتقان: ١/ ١٧٢، ومعتك الأقران:

٢/ ٢٤٨-٢٤٩.

وأكد الطبري هذا المعنى، ففي تفسيره لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١١٨٧)، يقول: ((فإن قال لنا قائل: فكيف قال جل ثناؤه (لعلكم تتقون) أولم يكن عالماً بما يصير إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه، حتى قال لهم: لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا، فاخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشك؟ قيل له: ذلك على غير المعنى الذي توهمت، وإنما معنى ذلك: اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لنتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة، كما قال الشاعر:

و فلنم لنا كُفوا الحروب لعنا نكفُ و وثقتم لنا كل موثق
فلما كفنا الحرب كانت عهدكم كلمح سراب في الفلا متألق

يريد بذلك: قلتم لنا كفوا لنكف، وذلك لأن (لعل) في هذا الموضع لو كان شكاً لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق)) (١١٨٨).

وبناءً على ذلك زاد بعض النحاة في المعاني التي تؤديها (لعل)، يقول المرادي: (لعل) لها معان: الأول (الترجي) وهو الأشهر والأكثر، والثاني: (الإشفاق)، والثالث: (التعليل) وعليه حمل ما في القرآن الكريم كقوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١١٨٩)، و

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١١٩٠)، والرابع (الاستفهام) وهو معنى قال به الكوفيون (١١٩١)، منه قوله

تعالى: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (١١٩٢)، وحملت على معنى التشبيه في تفسير قوله

تعالى: وَتَخَذُونَ مِصَاعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١١٩٣)، يعني: كأنكم (١١٩٤).

إلا إن سببويه كوّن موقفاً من (لعل) المستعملة في القرآن الكريم فقال إنها لا تفيد إلا معنى (الترجي والإشفاق) لكنه ترج وإشفاق غير متعلق به سبحانه وتعالى، وإنما هو مصروف إلى المخاطبين، يقول: ((... ومثل ذلك قوله تعالى: فَقَوْلَاهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّ يُذَكَّرُ أَوْ

يَخْشَى (١١٩٥)، فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهباً أنتما في رجانكما وطمعكما

ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما، ومثله: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ (١١٩٦)،

٢. سورة البقرة: ٢١.

٣. جامع البيان: ١ / ١٦١.

٤. سورة البقرة: ٥٢.

٥. سورة البقرة: ٥٣.

٦. ينظر: الجنى الداني: ٤٩٥ - ٤٩٦، ومغني اللبيب: ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨.

٧. سورة عبس: ٣.

٨. سورة الشعراء: ١٢٩.

٩. ينظر: الاتقان: ١ / ١٧٢.

١. سورة طه: ٤٤.

٢. سورة التوبة: ٣٠، والمنافقون: ٤.

فإنما أجري هذا على كلام العباد و به أنزل القرآن)) (١١٩٧).

وقد سار البصريون على رأي سيبويه في توجيه معاني (الدعاء) و(الرجاء) و(التعجب) و صرفها إلى المخاطبين، وتابعهم في ذلك بعض المفسرين كالزمخشري الذي يقول في تفسير قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَوْ يَخْشَوْنَ): ((الترجي لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه وبحثه بأقصى وسعه، وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة)) (١١٩٨).

ويقول في قوله تعالى: □ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ □ (١١٩٩): (لعل) للإشفاق يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك)) (١٢٠٠).

كما رفض أبو حيان أن تكون (لعل) بمعنى (كي) فقال في تفسيره لقوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ □ (١٢٠١)، ((ليست (لعل) هنا بمعنى (كي)؛ لأنه قول مرغوب عنه، ولكنها للترجي والإطماع، وهو بالنسبة إلى المخاطبين؛ لأن الترجي لا يقع من الله إذ هو عالم الغيب والشهادة، وهي متعلقة بقوله ((اعبدوا ربكم)) فكأنه قال: إذا عبدتم ربكم رجوتم التقوى وهي التي تحصل بها الوقاية من النار والفوز بالجنة)) (١٢٠٢).

وعلى الرغم من محاولة إخضاع (لعل) لمعني (الرجاء والإشفاق) فإن السياق القرآني يمنحها قوة دلالية تمكنها من الإفلات من قيود المعنى الذي قرره لها النحاة، حتى أن الزمخشري الذي أيد رأي البصريين نجده أحيانا يفسر (لعل) بمعان أخر، فنراه يحمل (لعل) على معنى التعليل في تفسيره لقوله تعالى: □ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ □ (١٢٠٣)، يقول إنها تعني ((ليضرعوا ويتذللوا ويحطوا أودية الكبر والعزة)) (١٢٠٤).

ومنحها معنى (الإرادة) في تفسير قوله تعالى: □ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ □ (١٢٠٥)، ((إرادة أن يتذكروا، شبهت الإرادة

٣. الكتاب: ٣٣١/١ - ٣٣٢، وينظر: مغني اللبيب: ٢٨٨/١، والتسهيل: ٦١، وهمع الهوامع: ١/ ١٣٤، والاشموني: ٢٧١/١.

٤. الكشاف: ٥٣٨/٢.

٥. سورة الشعراء: ٣.

٦. الكشاف: ١٠٤/٣.

٧. سورة البقرة: ٢١.

٨. البحر المحيط: ٩٥/١.

٩. سورة الأعراف: ٩٤.

٢. الكشاف: ٩٧/٢، وينظر: ٥٥٤، في تفسيره قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ

يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا) (سورة طه: ١١٣)

٣. سورة القصص: ٤٣.

بالترجي فاستعير لها، ويجوز أن يراد به ترجي موسى - عليه السلام - لتذكرهم)) (١٢٠٦).

وإذا تأملنا في الآراء الباحثة عن معنى (لعل) في الآيات القرآنية لا نجد لها تتعارض مع بعضها البعض، فكل رأي له نصيب من الصحة، فإذا أنعمنا النظر في قوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ □ (١٢٠٧)، نلاحظ:
(أولاً): إن (لعل) لا تفيد الترجي المتعلق بالقائل ((لأن الترجي لا يقع من الله تعالى، إذ هو عالم الغيب والشهادة)) (١٢٠٨)، لذلك صرف سبويه ومن تبعه الترجي للمخاطبين، فقال إن الذي يرجو التقوى هم (الناس) المخاطبين في هذه الآية.

(ثانياً): يمكن تفسير (لعل) بـ (كي) من غير أن تفقد دلالتها على الرجاء، بمعنى أن الناس إذا عبدوا ربهم وتوجهوا إليه بأرواحهم سوف يصلون إلى مرحلة التقوى، والتي تُعد مرحلة متقدمة عن مرحلة العبادة، التي لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال العبادة الخالصة: فاعبدوا ربكم لكي تصلوا إلى مرحلة التقوى، وليكن الرجاء في حساباتكم، أي كونوا ممن يرجو الله سبحانه ليوفقه كيما يصل إلى رتبة التقوى، وربما - والله اعلم - يكون هذا هو سبب عدول التعبير القرآني عن (لكي أو كي أو لام التعليل) في هذا السياق؛ ذلك لأن هذه الأدوات تشير إلى معنى التعليل من غير أن تحمل دلالة الرجاء، أما (لعل) فقد حملت المعنيين معاً، أي إن العبادة الخالصة ومعها الرجاء هما اللذان يوصلان الإنسان إلى التقوى، وبذلك يكون جمع الرأيين أوفق في تفسير الآية .

٢. (عسى): تفيد معنى الترجي في المحبوب و(الإشفاق) في المكروه، وهي بذلك تشترك مع (لعل)، يقول ابن هشام في (عسى): ((معناه (الترجي) في المحبوب و(الإشفاق) في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: □ وَعَسَى أَنْ تَحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ □ ((١٢٠٩)) (١٢١٠).
وقد اقترن خبر (عسى) بـ (أن) دائماً وفي ذلك إشارة إلى زمن المستقبل الذي تشير إليه، يقول ابن الانباري ((فلما كانت (عسى) موضوعة لمقارنة الاستقبال، و (أن) تخلص الفعل للاستقبال ألزموا الفعل الذي وضع لمقارنة الاستقبال (أن) التي هي علم الاستقبال)) (١٢١١).

و(عسى) مثل (لعل) عندما دخلت في التراكيب اكتسبت معاني جديدة، ففي قوله تعالى: □ مَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَطَغَّيْتُمْ أَنْ تُرْحَمُوا مِنْكُمْ □ (١٢١٢)، مُنَحَتْ (عسى) معنى (التوقع)، يقول الزمخشري: ((معناه: هل يُتوقع منكم الإفساد؟ فإذا قلت: فكيف يصحُّ هذا في كلام الله - عز وجل -

٤. الكشاف: ٣ / ١٨١، وينظر: ١٨٤ و ١٨٩ و ٢٤٠ - ٢٤١ و ٢٤٥.

٥. سورة البقرة: ٢١.

٦. البحر المحيط: ١ / ٩٥.

١. سورة البقرة: ٢١٦.

٢. معني اللبيب: ١ / ١٥١.

٣. كتاب أسرار العربية: ١٢٧.

٤. سورة محمد: ٢٢.

وهو عالمٌ بما كان وما يكون؟ قلتُ: معناه إنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كلُّ من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمروهم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل، أن تُفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحراً على الملُك وتهالكاً على الدنيا))^(١٢١٣).

وقد قال النحاة ان (عسى) من أفعال المقاربة، فهي تُعطي معنى مقاربة الفعل فـ ((قولك: (عسى زيد أن ينطلق) و(عسى أن أقوم) أي: دنوت من ذلك وقاربته بالنية))^(١٢١٤).

ورفض آخرون أن تكون (عسى) من أفعال المقاربة، يقول الاستربادي: ((الذي أرى أن (عسى) ليس من أفعال المقاربة، إذ هو طمع في حق غيره تعالى، وإنما يكون الطمع فيما ليس الطامع على وثوق من حصوله، فكيف يحكم بدنو مالا يوثق بحصوله؟، ولا يجوز أن يقال: ((إن معناه: رجاء دنو الخبر)).... فقولك: (عسى الله أن يشفي مريضاً) أي: إنني أرجو قرب شفائه، وذلك؛ لأن (عسى) ليس متعيناً بالوضع للطمع في دنو مضمون خبره، بل لطمع حصول مضمونه مطلقاً سواء ترجى حصوله عن قريب أو بعيد))^(١٢١٥).

واكتسبت (عسى) في التركيب القرآني معاني أخرى، غير التي قررت لها في الدراسة النحوية، يقول أبو عبيدة: ((هي إيجابٌ من الله، وهي في القرآن كلها واجبة، فجاءت على إحدى لغتي العرب؛ لأن (عسى) في كلامهم: رجاء ويقين))^(١٢١٦).

وقالوا إن (عسى) في جميع كتاب الله عز وجل واجبة إلا في موضعين: الأول: في قوله تعالى: □ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ □^(١٢١٧)، والثاني في قوله تعالى: □ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَفَكَ أَنَّ يُبْدِلَهُ نَرًا وَاجِبًا خَيْرًا مِّنْكَ □^(١٢١٨)(١٢١٩).

يلاحظ من ذلك أن (عسى) مثل (لعل) عندما تأتي في كلام الله عز وجل، لا يمكن حملها على معنى الترجي؛ لأنه يحمل في مضمونه الشك في حصول المرجو، لذلك قالوا إن: (((عسى) و (لعل) من الله واجبتان، وإن كانتا رجاء وطمعاً في كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والباري، منزه عن ذلك))^(١٢٢٠)، لذلك وجهوا دلالة (عسى) على الرجاء - كما في (لعل) الواردة في القرآن الكريم - إلى المخاطبين، وبذلك وجه تفسير قوله تعالى: □ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ

٥. الكشاف: ٣ / ٥٣٦.

٦. المقتضب: ٣ / ٦٨ وينظر: الصاحبى: ١٥٧.

٧. شرح الكافية: ١ / ٣٠١ - ٣٠٣ وينظر: شرح ابن عقيل: ١ / ٢٧٧.

٨. مجاز القرآن: ١ / ١٣٤ وينظر: ٢٢٥، ٢٥٤.

١. سورة الاسراء: ٨.

٢. سورة التحريم: ٥.

٣. ينظر: الأضداد في اللغة: ١٨، والأضداد في كلام العرب: ٢ / ٤٨٦ - ٤٨٨، وشرح المفصل: ٧ / ١٢٠، وشرح الكافية:

٣٠٢ / ٣، والبرهان: ٤ / ٢٨٨ - ٢٨٩، والاتقان: ١ / ١٦٤، ١٦٥، ومعترك الاقران: ٢ / ٦٧٣ - ٦٧٥.

٤. البرهان: ٤ / ١٥٨.

المُتَدِينِ □ (١٢٢١)، يقول الزمخشري: ((فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأمّلوا عاقبتها، بأن الذين آمنوا وضمّوا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين (عسى) و(لعل)، فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى؟، وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى)) (١٢٢٢).

وخرجت (عسى) عن معنى الرجاء والإشفاق إلى معنى آخر في قوله تعالى - على لسان إبراهيم (عليه السلام) -: □ وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا □ (١٢٢٣)، ويرى الزمخشري إنها أفادت معنى (التواضع) مع (الحكم على النفس بالتقصير) يقول: ((عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: ((عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً)) مع التواضع لله بكلمة (عسى) وما فيه من هضم النفس)) (١٢٢٤).

وإذا أنعمنا النظر في الآية الكريمة نلاحظ أن (عسى) جاءت في سياق كلام البشر، أي المخلوق لا الخالق، لذلك يمكن حملها على معنى (الرجاء) أي أرجو من الله سبحانه ألا أكون بدعائه شقياً، مع احتفاظ (عسى) بدلالاتها على التواضع في سياق الآية .

وأضاف الزمخشري معنى آخر لـ (عسى) و(لعل) الواردة في التعبير القرآني، وهو معنى (الوجوب) و(التحقيق) وهو بذلك يُخرجها من معنى الرجاء الذي يُشير إلى الشك، فعند تفسيره لقوله تعالى: □ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مَرَدِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ □ (١٢٢٥)، يقول: (((عسى) و(لعل) و(سوف) في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجدّه ولا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوّهم لا يفوتهم وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده)) (١٢٢٦).

نلاحظ مما تقدم أن الأداة (عسى) أقرب إلى معنى الرجاء من (لعل)، وذلك؛ لأن (لعل) احتملت معاني عدة عند تفاعلها مع النص القرآني، من بين معانيها (ربما) التي تحتل الشك، وقد أشار إلى ذلك الأقدمون، فقد جاء في لسان العرب: (((لعل) كلمة شك وهي كلمة رجاء وطمع وشك)) (١٢٢٧)، وقالوا أيضاً إن خبر (لعل) مشكوك فيه وخبر (إن) يقين (١٢٢٨)، لذلك نجد في

-
٥. سورة التوبة: ١٨.
 ٦. الكشاف: ١٨٠ / ٢.
 ٧. سورة مريم: ٤٨.
 ٨. الكشاف: ٥١٢ / ٢.
 ١. سورة النمل: ٧٢.
 ٢. الكشاف: ١٥٨ / ٣.
 ٣. لسان العرب (لعل): ١٢٨ / ١٤.

(عسى) رجاءً واضحاً وصريحاً أكثر مما في (لعل).

٣. (حري) و (اخلوق) لم تردا في القرآن الكريم .

نستنتج مما تقدم أن الفارق الدلالي بين (الترجي) و (التمني) هو قرب حصول المطلوب أو بعده أي إمكانية أو استحالة التمني وان ((كل هذه أمور لا تُقاس بالعقل، ولا تقدر بالنسبة إلى العرف أو الواقع، فالمعيار الحقيقي في ذلك هو نفسية المتكلم المبدع الذي تأتي هذه الأساليب معبرة عن أحاسيسه مصورة مشاعره، وعلى هذا الأساس قد يتبادل الأسلوبان موقعيهما في نظرنا، ويكون لكل منهما - حينئذ - ما يبرزه من رصيد النفس ومواجيد الشعور لدى المتكلم، فالنفس آونة يغمرها الشعور بالأمل فتحس البعيد قريباً والمستحيل ممكناً، وآونة أخرى يسيطر عليها اليأس، فتستبعد الداني، وتستشعر الاستحالة في الأمر القريب))^(١٢٢٩).

ولا يخفى تقارب (التمني) و(الترجي) إلى الحد الذي يُسمح فيه بتبادل بعض أدواتهما، يقول العلوي: ((والسبب في خروج بعض هذه المعاني إلى بعض، هو تقاربها، والمعتمد في ذلك قرائن الأحوال، فلأجل ذلك يجوز استعمال بعضها مكان بعض))^(١٢٣٠).

المبحث الثالث

أسلوب المدح

المدح في اللغة ((بذل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدّحه يمدحه مدحاً: أحسن عليه الثناء...))^(١٢٣١)، وفي الاصطلاح ((المدح هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً))^(١٢٣٢)، وعبر عنه آخرون بأنه ((ذكر مناقب شخص أو هيئة اجتماعية أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني نثراً أو شعراً))^(١٢٣٣).

ومن البديهي أن يكون المادح راضياً عن الممدوح، وعنده من القبول النفسي ما يدفعه إلى التصريح بالمدح، فيظهر أسلوب المدح على شكل عبارات ثناء يجسدها الكلام، فهو قول يجسد قبولاً

٤. ينظر: المقتضب: ٣/ ٧٣، والمقرب: ١١٧، وشرح المفصل: ٨/ ٨٥، والجنى الداني: ٥٧٩.

٥. علم المعاني، د. حسن طبل: ٨٠، وينظر: دلالات التراكيب: ١٩٩.

٦. كتاب الطراز: ٥٣٥.

١. مقاييس اللغة: ٥/ ٣٠٨.

٢. التعريفات: ١١٦.

٣. معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب: ٣٤٣.

نفسياً، ويحاول هذا الأسلوب التأثير في السامع بأن ينقل كلَّ هذا القبول إليه أو بعضه من خلال إظهار الجوانب الحسنة، ذلك لأن مدح الفعل يكون ترغيباً فيه بمدحه ومدح الفاعل بفعله حثاً عليه^(١٢٣٤).
وأفعال أسلوب المدح ((في اللغة العربية موضوعاً لإنشاء المدح فجملها إنشائية لا خبرية وهي: نعم - حب - حبا، وتتميز بأنه لا بد لها من مخصص للمدح وإنها جامدة لا تتصرف ولا تدل على حدث مرتبطب بالزمان))^(١٢٣٥).

وأسلوب المدح وإن وُضع له أدواته في الدرس النحوي أو البلاغي مثل (نعم) و (حب) و (حبا) إلا إن الغرض لا يكتفي بهذه الأدوات بل يستعين بأساليب العربية الأخرى لأداء دلالة المدح وذلك لأن ((في اللغة ألفاظ وأساليب كثيرة تدل على المدح والذم بعضها يؤدي هذه الدلالة صريحة لأنه وضع لها من أول الأمر نصاً، وبعضها لا يؤديها إلا بقرينة، فمن الأولى: أمدح، وأنتي ... وغيرها من ألفاظ المدح والذم الصريحين، ومن الثانية: وفرة لا تكاد تعد في مقدمتها: أساليب النفي والاستفهام والتعجب والتفضيل ونحوها فإنها قد تضم إلى معناها الخاص دلالتها على المدح والذم بقرينة))^(١٢٣٦)، فيمكن أن نشعر دلالة العبارة على المدح في قولهم: (كان والله رجلاً)، من غير أن تُذكر الصفات الممدوحة اعتماداً على التنعيم، وفي ذلك بلاغة تعظيم الممدوح وإضفاء الصفات الحسنة التي يتصف بها^(١٢٣٧)، وبهذا نعرف مدى تأثير السياق في توجيه المعنى، وعليه يكون أسلوب المدح في القرآن الكريم على نوعين: الأول: قياسي وهو ما يؤدي بالأدوات والألفاظ المعروفة، الثاني: سياقي وهو ما يكشف عنه السياق من أداء بعض التراكيب غرض المدح وهذا هو الغالب في التعبير القرآني^(١٢٣٨).

١. المدح القياسي: أدواته .

أ. (نعم): ورد هذا الفعل في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم كان منها (نعما) في موضعين. عناصر المدح في هذا الأسلوب تتكون من: فعل المدح والفاعل والمخصوص بالمدح، ويجوز أن نستغني عن ذكر المخصوص بالمدح، إذا كان في الكلام ما يدل عليه كقوله تعالى:
□ ... وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ □^(١٢٣٩)، والمخصوص بالمدح هو الله،
وقوله تعالى: □ وَالْأَرْضُ فَرْشَتَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ □^(١٢٤٠)، أين نحن^(١٢٤١).

ويأتي فاعل (نعم):

أولاً: إما اسماً ظاهراً معرفاً بـ (أل) أو مضافاً إلى معرفٍ بـ (أل)، فالمعرف كما في قوله تعالى:
□ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ □^(١٢٤٢)، والمضاف كقوله تعالى: □ فَنِعْمَ عُبَى الدَّارِ □^(١٢٤٣)،
وقد اختلف في (أل) التعريف إلى أي معنى تؤدي، فمنهم من قال إنها للجنس حقيقة، ويقصد من خلالها مدح الجنس كله ثم تخصيص المدح بالممدوح، يقول سيبويه: ((إذا قلت (عبد الله نعم الرجل)) فإنما تريد أن تجعله من أمة كلهم صالح، ولم ترد أن تعرف شيئاً

٤. ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ٢٠٧.

٥. الشامل في علوم اللغة: ٨١٩، وينظر الزمن في النحو العربي: ٤٩.

٦. النحو الوافي: ٣/ ٢٩٨.

١. ينظر الخصائص: ٣٨٢ / ٢، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١٣٢، التنعيم اللغوي في القرآن الكريم: ٥٠.

٢. المدح والذم في القرآن الكريم: ٢٦.

٣. سورة الحج: ٧٨.

٤. سورة الذاريات: ٤٨.

٥. ينظر: شرح ابن يعيش: ٧/ ١٣٥.

٦. سورة الأنفال: ٤٠.

٧. سورة الرعد: ٢٤.

بعينه بالصلاح بعد نعم))^(١٢٤٤)، ومنهم من قال إنها للجنس مجازاً فالمدح لا يعم على الجنس بل جاء لغرض المبالغة، وقال آخرون إنها (للعهد) واختلفوا على قولين: الأول: كونها للعهد الذهني أي أنها تشير إلى شيء معهود في الذهن، والآخر يقول إنها للعهد الشخصي، والمعهود هو الشخص الممدوح، وقد جمع (الدكتور هادي نهر) بين الرأيين بقوله: ((وفي رأينا أن (أل) هذه قد تكون للعهد أو للجنس على حسب ما يقتضيه المعنى، فهي للجنس حقيقة إذا أريد بمدخولها جميع أفراد الجنس قصداً وتبعاً للممدوح أو المذموم، ثم نص عليه كما ينص على الخاص بعد العام المفرد المعين على ادعاء انه جميع الجنس لجمعه ما تفرق في غيره فهي للجنس مجازاً إذا أريد بمدخولها المفرد المعين على ادعاء انه جميع الجنس لجمعه ما تفرق في غيره من الكمالات، وهي بقسميها الحقيقي والمجازي على هذا المعنى إنما هي (أل) الاستغراقية حقيقة أو مجازاً ... وهي (أل) العهدية إذا أردنا أن معهودها ذهني، لأن مدخولها فرد مبهم مفسر ما بعده تفخيماً، أو أن يكون معهودها خارجياً وهو المخصوص))^(١٢٤٥).

وعلى هذا الأساس يكون معنى (أل) بحسب ما يريده المتكلم وما يقوم السياق بإيصاله من دلالات للمتلقى.

ثانياً: فاعل (نعم) ضمير مستتر مفسر بتمييز مطابق للمعنى، كقولنا (نعم رجلاً خالد) ((ويدل إضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز على إن الفعل خرج من الخبر إلى معنى آخر، كالتعجب أو إنشاء المدح والذم، تقول: (حسن شعراً قاله محمد) ... فهذا يفيد التعجب، بمعنى (ما أحسن شعراً قاله محمد) ... فالتمييز الذي يفسر الفاعل ينقل الفعل من دلالة الأخبار إلى دلالة الإنشاء))^(١٢٤٦)، ولا نجد هذا النوع في القرآن الكريم مع (نعم) بل مع غيرها من أفعال المدح كما في قوله تعالى: نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ^(١٢٤٧).

(نعماً): اتصلت (ما) في أسلوب المدح بالأداة (نعم) فقالوا عنها إنها إما تمييز بمعنى (شيء)،

كما في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ^(١٢٤٨)، معناه: نعم الشيء يعظكم به، والرأي الثاني

يقول إنها فاعل وهي اسم موصول أو معرفة تامة بمعنى الشيء، أي: نعم الشيء يعظكم به ((وعلى أية حال فإن (ما) كلمة مبهمة يوتى بها لأغراض متعددة، فقد يكون الغرض من الإتيان بها الإبهام على السامع، نحو أن تقول: (بنسما فعلت) فلا تذكر ما فعل، لأنك لا تريد أن يعلم أحد بما فعل عدا المخاطب، أو قد يكون الأمر معلوماً فلا تريد أن تعيد ذكره فتكتفي بالإشارة إليه، أو قد يكون ذكره يتطلب كلاماً كثيراً فلا تريد أن تطيل الكلام به، بل توجز

القول بوضع كلمة (ما) وذلك نحو قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ^(١٢٤٩)، ولم يعد الوعظ ليحمله

٨. الكتاب: ١ / ٣٠١، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٤٢.

١. التراكيب اللغوية في العربية: ٢٦٦ - ٢٦٧.

٢. معاني النحو: ٤ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

٣. سورة الكهف: ٣١.

٤. سورة النساء: ٥٨.

١. سورة النساء: ٥٨.

فاعلاً لـ (نعم) بل جاء بـ (ما) للدلالة على أن كل ما يعظ به ربنا ممدوح)) (١٢٥٠).

وإذا أنعمنا النظر في (نعم) الواردة في القرآن الكريم نجدها تمدح مسائل تتركز في ثلاثة محاور:

١. مدح في الجانب العقائدي يمدح الاعتصام بالله عز وجل والتوكل عليه ويشمل بيان

عظمة الله عز وجل على الخلق، من ذلك قوله تعالى: وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيلُ (١٢٥١)، وقوله: فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُمْ فَكُنْتُمْ لَهُ خِزْيَانًا (١٢٥٢).

٢. مدح المعاملات التي حث الله عز وجل عليها وأمر بها كالإنفاق في سبيله وأداء الأمانة

وإقامة العدل، من ذلك قوله تعالى: إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ (١٢٥٣).

٣. مدح لنتائج الأعمال الصالحة، وفي ذلك تشجيع على الإقبال عليها، ويتضمن أيضاً مدح

المؤمنين الذين قاموا بما يرضي الله عز وجل فحصلوا على الأجر والثواب، ومن بين

ذلك الثواب الجنة، نجد هذا اللون من المدح يتجسد في قوله تعالى: وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

(١٢٥٤)، وقوله: عَمَّ الثَّوَابُ وَحَسَّتْ مُرْتَقَاً (١٢٥٥)، ويمكن أن يشمل هذا القول

أسلوب المدح بشكل عام (١٢٥٦).

ب. (الأفعال القياسية التي يُقصد بها المدح): لم يقتصر أسلوب المدح على الفعل (نعم) بل جوز

النحاة تحويل كل فعل من الأفعال الثلاثية المستوفية لشروط التعجب إلى (فعل) بقصد المدح،

سواء أكان مضموم العين في الأصل كـ (شَرَفَ) أم تم تحويله إلى مضموم العين كـ (فَهُم) و

(قَضُوا) بمعنى أجاد القضاء، فَيُسْتَعْمَلُ استعمال (نعم)، وبذلك يتحول الفعل من متصرف إلى

جامد يوتي به للمدح الخاص، فقولنا (كَرَّمَ الرَّجُلُ مُحَمَّدًا) نكون قد مدحناه بالكرم و (شَرَّفَ) مدح

بالشرف وهكذا، ومن ذلك قوله تعالى: وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ مَرْفِقًا (١٢٥٧)، والآية الكريمة في صدد

مدح صُحْبَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ فَ (حَسَنَ) ((فعل مراد به المدح ملحق بنعم مضمن

معنى التعجب في حسنهم ... لقصد المدح والتعجب)) (١٢٥٨).

يلاحظ أن المدح بـ (نعم) مدح عام لا يخص الصفة التي مُدحت، أما الأفعال القياسية

فإنها تؤدي مدحاً خاصاً لأنها تشير إلى الصفة التي اختارها المادح وخصتها بالذكر.

٢. المدح السياقي .

وهو ما يشير إليه السياق ويفهم من خلال التركيب، وهو كثير في القرآن الكريم، وأشهر

٢. معاني النحو: ٤ / ٢٦٠.

٣. سورة آل عمران: ١٧٣.

٤. سورة الأنفال: ٤٠.

٥. سورة البقرة: ٢٧١.

٦. سورة آل عمران: ١٣٦.

٧. سورة الكهف: ٣١.

٨. ينظر المدح والذم في القرآن الكريم: ٢٨.

١. سورة النساء: ٦٩.

٢. التحرير والتنوير: ٤ / ١٨٢.

أساليبه ما يأتي:

أ. المد بذكر الصفات الحسنه: ويتوزع هذا الموضوع على ثلاثة محاور:

الأول: الأفكار، ويتضمن موضوع العقائد.

الثاني: الشخصيات.

الثالث: الأفعال أو السلوك أو المواقف.

هذه المحاور التي يدور الكلام عنها تقع إما في موضع قبول أو موضع رفض، وعليه فهي متعرضة إما لمدح أو لذم.

احتوت الكتب السماوية على العقائد التي اختارها الله سبحانه لعباده وتضمنت التعاليم والوصايا والأحكام، فهي الأفكار التي تستحق المدح والثناء لأنها من الحكيم الخبير، ومدح الكتب

السماوية فيه إشارة إلى مدح من اتبع تعاليمها، فهي منزلة لهدى البشرية، قال تعالى: □ وكَمَا

سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخْذَ الْآلُوَاحِ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ □ (١٢٥٩)، وقوله: □ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا

هُدًى وَنُورٌ □ (١٢٦٠)، فقوله سبحانه (إنا أنزلناه) فيه توكيد مع عظمة المتكلم، وهذا يوحي بعظم

هذا الأمر وأهميته وهو (بيان علو شأن التوراة على أتم وجه) (١٢٦١)، كما قال في وصفها سبحانه (فيها هدى ونور) وهما استعارتان، لما للاستعارة من أثر في (توضيح المعنى وتقويته في النفس وتقربه من الإدراك والحس والتأثير به في خوالج النفس والعقل معاً) (١٢٦٢)، وقال تعالى في مدح

الإنجيل: □ وَأَيُّهَا الْإِنْجِيلُ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ □ (١٢٦٣).

ونجد الصفات التي اختارها الله عز وجل للقرآن الكريم تدل على شرفه وعلو قدره، وتبين أنه

أعظم كتاب سماوي، لأنه هيمن على الكتب السابقة، قال تعالى: □ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ □ (١٢٦٤)، ونلاحظ المدح (بان سمي كتاباً

على الإطلاق لتفوقه على سائر الكتب السماوية وهو القرآن العظيم) (١٢٦٥)، ومن بين صفاته، □

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكٌ □ (١٢٦٦)، و □ وَإِنَّ لَكِتَابَ عَزْرَيْنِ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ □ (١٢٦٧)، و □ وَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ □ (١٢٦٨)، وغيرها من الآيات

التي تبين أنه الكتاب الهادي إلى الحق وان متبعه هو من رضي الله عنه.

١. سورة الأعراف: ١٥٤.

٢. سورة المائدة: ٤٤.

٣. روح المعاني: ٣ / ٢٥٠.

٤. لغة القرآن الكريم: ٣٥٥.

٥. سورة المائدة: ٤٦.

٦. سورة المائدة: ٤٨.

٧. روح المعاني: ٣ / ٤٣٧، وينظر تفسير القرآن الكريم، محمد شلتوت: ٢٧١.

٨. سورة الأنعام: ١٥٥.

٩. سورة فصلت: ٤١ - ٤٢.

١٠. سورة الحجر: ٨٧.

ولا شك في أن مدح الكتب السماوية هو في حقيقته مدح لما جاء فيها من الأفكار، وكل ما وافق هذه الأفكار وأخذ عنها فهو ممدوح عقلاً وشرعاً، وكل ما خالفها فهو مذموم.

ويصدر المدح للشخصيات في القرآن الكريم أما من الخالق سبحانه فيكون هو الحكم الحق الذي لا شك فيه ولا جدال، وأما أن يحكي لنا القرآن حكم ناس على أناس آخرين، وهذا الحكم يتعرض للأهواء الشخصية، فأحياناً يكون عادلاً وأحياناً لا يكون، وأما أن يكون مدحاً ذاتياً بان يمدح الشخص نفسه ببعض الصفات لغرض ما، وفي كل الأحوال يعكس المدح قبولاً نفسياً للممدوح يظهر على شكل أقوال تعمل على محاولة نقل هذا القبول النفسي إلى نفس السامع .

وأفضل الصفات وأحسن الأسماء كانت للبرائ عز وجل، ء فهو سبحانه الكمال المطلق والخير المطلق، لذلك نجد الأسماء الحُسنى تشغل مساحة واسعة في القرآن الكريم ((وقد دلت أسماؤه التي عبر بها عن نفسه في كتابه على سمو ذاته وتعاليمه عن خلقه وعلى كمال جماله المائل في رحمته وفضله))^(١٢٦٩)، ولعل من بين أسباب كثرة ذكر هذه الصفات ((لتنبيه الحس الإنساني والعقل والضمير البشري على الالتزام بالقيم الجمالية والجلالية التي تتفياً في ظلال الخير والحق والجمال الإلهي))^(١٢٧٠). ونجد معاني المدح فيما تحمله هذه الصفات من معاني تستحق المدح والثناء، فذو الجلال من أسمائه سبحانه ((والجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح))^(١٢٧١)، وتزداد معاني المدح في صيغ المبالغة كما تطالعنا معاني للمدح تختص بالخالق سبحانه لأنها لا تليق إلا به، فتكون مدحاً في حقه وذمماً في حق غيره مثل ((المتكبر))^(١٢٧٢)، و((الجبار))^(١٢٧٣)، ونلاحظ أن الأسماء الحسنى ترد تارةً منه سبحانه لأنه تعالى

اختارها لنفسه، وتارةً أخرى ترد على لسان خلقه، كقوله تعالى على لسان لقمان (عليه السلام): يَا بَنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٢٧٤).

ومن الشخصيات المهمة التي خصّها القرآن الكريم بالمدح والثناء الأنبياء لأنهم القدوة الصالحة إذ اصطفاهم الله عز وجل من بين عباده، لذا كان جديراً بالبشرية الاحتذاء بهم، ولقد حثّ البرائ عز وجل صراحة على السير على نهجهم، فقال تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (١٢٧٥).

ومن بين الصفات التي جاء المدح القرآني لها صفتا العبودية والشكر، فقال تعالى: ذُرِّيَّةٌ

١. الإسلام عقيدة وشريعة: ٦٨، وينظر القول الأسنى في شرح الأسماء الحسنى: ٣.

٢. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: ٢٤٩.

٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ١٦٥.

٤. ينظر التفسير الكبير: ٢٩ / ٢٩٤، وبلوغ المرمى باستعمال أسماء الله الحسنى: ١٠.

٥. ينظر لتحرير والتنوير: ٢٨ / ١٢٢، وأسماء الله الحسنى وصفاته العليا: ١٩.

٦. سورة لقمان: ١٦.

٧. سورة الأحزاب: ٢١.

مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا □ (١٢٧٦)، وقال سبحانه في حق النبي إبراهيم (عليه السلام):
 □ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ □ (١٢٧٧)، وإذا تتبعنا مدح الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم نجده كثيراً
 جداً، كما أن الصفات الحميدة التي مدحوا لأجلها هي الصفات التي يدعو الله سبحانه عباده إلى
 التحلي بها، منها على سبيل المثال: الوفاء، الحلم، الإنابة لله، الأمانة، الكرم، الرأفة، الرحمة،
 الخلق (١٢٧٨)، ... ((ولا يخفى أن ما يوجه إليه المدح أو الذم إنما هو صفات الذوات لا الذوات
 أنفسها، فزيد من حيث هو زيد لا يُمدح ولا يُذم إنما يمدح لأنه كريم أو شجاع، ويذم لأنه بخيل
 أو جبان)) (١٢٧٩).

ومن بين مدح الشخصيات، هناك شخصيات غيبية أمرنا القرآن العظيم بالإيمان بها تلك هي
 الملائكة، قال تعالى: □ وَكَانَ الْبَرُّ مِنْ أَمْنِ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَالْمَلَائِكَةَ □ (١٢٨٠)، وهم خلق كريم
 مطيعون لله، يقول عز وجل فِي حَقِّهِمْ: □ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ
 بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ لَاعْمُونَ □ (١٢٨١)، و (قوله لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح) (١٢٨٢)، وقد
 أشار القرآن إلى مجموعة أسس مدحهم لأجلها أهمها العبادة □ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ □ (١٢٨٣)، والطاعة: □ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ □ (١٢٨٤)، وقد خصَّ
 بالمدح مجموعة من الملائكة المقربين تشریفاً وتكريماً لهم وهم (جبريل وميكائيل) عليهما
 السلام، قال تعالى: □ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ □
 (١٢٨٥)، ويقول سبحانه في حق جبريل (عليه السلام): □ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ □ (١٢٨٦)، وكذلك:
 □ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى □ (١٢٨٧)، والمراد بالقوى (استطاعته تنفيذ ما يأمره الله به
 من الأعمال العظيمة العقلية والجسمانية فهو الملك الذي ينزل على الرسل بالتبليغ) (١٢٨٨)، وذو
 مِرَّةٍ يعني (ذو حصافة في عقله ورأيه ومثابته في دينه) (١٢٨٩).

ولا يخفى أن في مدح الملائكة إشارة إلى قبول الله سبحانه وتعالى عنهم، وتكريم بعض
 الملائكة على بعض يدل على اختلاف مواقعهم من القرب الإلهي، ومن الجدير بالذكر أن
 الملائكة لم يُذكروا في القرآن الكريم إلا في سياق المدح ولم يذكر لهم القرآن عيباً أو نقصاً أو

١. سورة الاسراء : ٣.
٢. سورة النحل: ١٢١.
٣. ينظر: المدح والذم في القرآن الكريم: ٧٨ - ١٢٤.
٤. التراكيب اللغوية في العربية: ٢٦٣.
٥. سورة البقرة : ١٧٧.
٦. سورة الانبياء: ٢٦ - ٢٧.
٧. الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٢٧٤.
٨. سورة الاعراف: ٢٠٦.
٩. سورة النحل: ٥٠.
١٠. سورة البقرة : ٩٨.
١١. سورة الشعراء: ١٩٣.
١٢. سورة النجم: ٥ - ٦.
١٣. التحرير والتنوير: ٢٧ / ٩٥.
١٤. الكشاف: ٤ / ٢٩٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٥٧.

تقصيراً، على عكس البشر الذين ذكروا أحياناً في مواطن المدح وأحياناً في مواطن الذم على حسب أعمالهم ومواقفهم .

ولم يقتصر مدح الشخصيات على الأنبياء والملانكة (عليهم السلام)، بل امتد ليشمل المؤمنين الذين اتبعوا نور الله في الأرض وعملوا بما يرضيه سبحانه، فجاء مدحهم في القرآن الكريم تشريفاً لهم وتشجيعاً لغيرهم لكي يسيروا على ذلك النهج القويم، ونلاحظ ذلك المدح موجهاً لهم فرادى وجماعات فمن الأفراد مثلاً شخصية (طالوت) قال تعالى: □ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ

لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عَلَيْكُمْ وَمَرَادُهُ بَسْطَةُ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ □ (١٢٩٠)، ومن

الشخصيات المؤمنة التي نالت المدح شخصية (ذي القرنين) (١٢٩١)، وشخصية (لقمان الحكيم)، ومن أساليب المدح لهذه الشخصية أن سميت سورة من القرآن الكريم باسمه، وكذلك شخصية

(العبد الصالح) في قوله تعالى: □ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ مَرْحَمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا

عِلْمًا □ (١٢٩٢) ، وتطالعنا أيضاً شخصيات نسائية مثل (امرأة فرعون) (١٢٩٣) ، وشخصية (مريم)

(عليها السلام) التي نالت اهتماماً واضحاً في القرآن الكريم، فقد وصفها سبحانه في كتابه العزيز

بالصديقة، قال تعالى: □ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ □ (١٢٩٤)، قال ابن عاشور: ((وصف

الصديق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين)) (١٢٩٥).

وهناك المدح القرآني الموجه إلى جماعات وأمم اشتركوا بصفات معينة أو قاموا بأعمال

ترضي الله سبحانه، من بين هذه الجماعات أصحاب الكهف، قال تعالى: □ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَأْسَهُمْ

بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِزْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن

نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا □ (١٢٩٦)، نلاحظ معاني المدح في الآية الكريمة تتجلى في (إنهم

فتية آمنوا بربهم) أي وصلوا إلى درجة الإيمان ووجود أداة التوكيد (إن) دلالة على أهمية هذا

الأمر، وفي (رزناهم هدى) تكريم من الله سبحانه لهذه الجماعة، وكذلك (وربطنا على قلوبهم)

إشارة إلى منحهم الثبات على الإيمان، (إذ قاموا فقالوا) وفي ذلك مدح لهم على الجد والهمة في

نصرة الحق لأن (القيام حركة تدل على العزم والثبات) (١٢٩٧)، وقولهم (لقد قلنا إذا شططاً) بيان

لعقيدتهم السليمة حتى رأوا أن العبادة لغير الله سبحانه هي (بعد عن الحق مفرط في الظلم)

١. سورة البقرة: ٢٤٧.

٢. ينظر الكهف: ٨٤ - ٨٥.

٣. سورة الكهف: ٦٥.

٤. ينظر آل عمران: ٣٥.

٥. سورة المائدة: ٧٥.

٦. التحرير والتنوير: ١٢ / ٢٨٤.

١. سورة الكهف: ١٣ - ١٤.

٢. في ظلال القرآن: ٥ / ٣٧٤.

ويمكن ملاحظة المدح لجماعات من الناس في أثناء الآيات الكريمة، من ذلك مثلاً قوله تعالى: □ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ □ (١٢٩٩)، وقوله: □ وَتَجِدَنَّهُمْ مُؤَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسَبُوا وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ □ (١٣٠٠)، ولكن (أكثر الأمم حظاً وأوفرها تكريماً ومدحاً الأمة المحمدية حملة القرآن الكريم والجيل الأول للدعوة الإسلامية، فهو جيل النور والإيمان وهو مدار التزكية لهم في الأخلاق والأفعال النابعة من الإيمان الصادق) (١٣٠١)، ونجد ذلك المدح في قوله تعالى: □ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ □ (١٣٠٢)، وفي مدح صحابة رسول الله (2) قوله تعالى: □ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ مِرْحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعَاءُ سَجْدًا ابْتِغَاءً بِضَلَاةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا □ (١٣٠٣).

والمحور الثالث في الوصف الحسن هو الأفعال، وهي انعكاس أو تجسيد للأفكار التي جاءت بها الرسالات السماوية، والأفعال إما عقائدية تتعلق بالإيمان وبطاعة الله سبحانه، قال تعالى: □ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ مَرْفِقًا □ (١٣٠٤).

أو أفعال تشريعية كلف الله عباده بها كالصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من الأعمال، قال تعالى: □ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ □ (١٣٠٥)، وقال تعالى: □ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ □ (١٣٠٦)، نلاحظ الترغيب في إيتاء الزكاة بقوله: (وَمَا

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/٢.

٤. سورة الاعراف: ١٥٩.

٥. سورة المائدة: ٨٢.

٦. المدح والذم في القرآن الكريم: ٢١٩.

٧. سورة آل عمران: ١١٠.

٨. سورة الفتح: ٢٩.

٩. سورة النساء: ٦٩.

١٠. سورة العنكبوت: ٤٥.

١١. سورة البقرة: ١١٠.

تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) وفي ذلك إشارة إلى العاقبة الحسنة لهذا العمل؛ لأنه سيُدخِر عند الخالق العظيم وليس أعظم من هكذا مدح .
 أو أن تكون الأفعال الممدوحة ليست مما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة بل إنها أعمال إنسانية وأخلاقية تظهر في سلوك المؤمن نتيجة للالتزامه بتعاليم السماء، وهي ما يسمى بالمستحبات كإعطاء الصدقات والإحسان للغير وكل الأعمال الصالحة، قال تعالى: □ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً □ (١٣٠٧).

وبهذا نصل إلى حقيقة مهمة، ولعلها تشير إلى أحد أسباب المدح في القرآن الكريم وهي إن ((كل فعل كسبي من أفعال القلوب أو الأبدان مدحه الله أو مدح فاعله لأجله أو رتب عليه خيراً عاجلاً أو آجلاً فهو مأمور به)) (١٣٠٨).

ومن هذا يتبين لنا أن الوصف الحسن يحمل في طياته مدحاً صريحاً، فإذا أراد شخص أن يمدح شيئاً أو شخصاً لابد أن يتعرض لصفاته الحسنة بالذكر، ونجد إشارة إلى هذا المعنى في تفسير القرطبي لقوله تعالى: □ الَّذِينَ أَسْلَمُوا □ (١٣٠٩)، يقول: ((ههنا نعت فيه معنى المدح)) (١٣١٠)، فكل وصف حسن في القرآن الكريم يحمل دلالة المدح .

ب. ضرب الأمثال الحسنة: اعتاد العرب على ضرب الأمثال في حواراتهم، وللمتكلم أكثر من غاية في هذا الاستعمال، وتطالعنا الأمثال كثيرة في القرآن الكريم، نستطيع أن نقول إن من بين الغايات التي يريد تحقيقها ضرب المثل هو التأثير في النفوس؛ لأن المثل يوصل الكثير من المعاني بطريقة مبسطة وسريعة، قال ابن الأثير: ((فلما كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي لوح بها على المعاني تلويحاً، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً، ومن أجل ذلك قيل في حد المثل: انه القول الوجيز المرسل ليعمل به)) (١٣١١)، وبما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وسار على سنتهم في كلامهم فقد كان ((من سنة الله في القرآن أن يستخدم في البيان ضرب الأمثال تقريباً لما يجب أن تنفعل به النفوس، وتؤمن به القلوب)) (١٣١٢)، فعند ضرب المثل الحسن يكون في ذلك مدح لصاحب المثل، وعبرة لسامعه، ويتضمن أيضاً ترغيباً في السير على نهجه للفوز بالمكانة التي حظي بها صاحب المثل أو من ذكرهم المثل بالمدح والثناء، ولهذا نجد صدى المثل واضحاً في نفس السامع ((أما عوائد هذا التطلع وذلك الانفعال فتد إلى المثل حينئذ يرفع أستار الحقائق، وكشف وجوه الاعتبار، وبهذا يبدو أن في الضرب إشارة نفسية ومؤشراً داخلياً لاستقبال الأمثال)) (١٣١٣).

وقد تنبه العلماء على هدف آخر من أهداف ضرب المثل القرآني، وهو إيصال الحكم الشرعي من خلال الاعتبار بالمثل، فقالوا: ((إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب، أو على إحباط عمل، أو على مدح وذم أو نحوه، فانه مدل على الإحكام)) (١٣١٤)، فغاية المدح في القرآن الكريم - بعد التكريم لأصحاب المدح - لغرض

٤. سورة البقرة: ٢٤٥.
٥. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ٢٠٦.
٦. سورة المائدة: ٤٤.
٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٨٨/٦.
١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٦٣/١.
٢. إلى القرآن الكريم، محمد شلتوت: ١٢.
٣. الصور الفنية في المثل القرآني: ٨٤.
٤. الاتقان: ٣٨ / ٤، وينظر البرهان: ١ / ٤٨٦، والصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٦٩ - ٣٧٧.

الاعتبار وإيجاد الدافع النفسي للسير على نهج الممدوحين.

ومن الأمثال القرآنية التي جاءت في صدد المدح قوله تعالى: □ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَبْتَتْ سَبْعَ سَبَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِثَّةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ □ (١٣١٥)، نجد في الآية الكريمة مدحاً للإنفاق في سبيل الله، كما نجد ترغيباً في الأمر من خلال بيان عاقبة هذا العمل^(١٣١٦)، ((فهذا التمثيل يشرح مكاسب عمل الخير أتم شرح ويدعو إلى عمل الخير ويسوق إليه))^(١٣١٧).

وحتّى سبحانه وتعالى على الكلمة الطيبة من خلال مدح عاقبتها بالمثل، قال تعالى: □ أَلَمْ

تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ □ (١٣١٨).

ومثلها مدح القرآن الكريم الأفعال بالأمثال كذلك مدح شخصيات معينة بهذه الطريقة، ومن الشخصيات التي كرمها القرآن بالذكر (امرأة فرعون)، فقد ذكرت في آية كلها مدح وتكريم، قال

تعالى: □ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِجَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ

وَبِجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ □ (١٣١٩)، لقد اختارها سبحانه مثلاً للإيمان والثبات على الدين، ونلاحظ

إشارة السياق إلى الدعوة للاحتذاء بهذه السيدة فاختيارها (مثلاً للذين آمنوا) مدحاً صريحاً يثير في النفوس الرغبة للوصول إلى الدرجة الإيمانية التي وصلت إليها هذه الشخصية، فقد آمنت بالله وتمسكت بإيمانها على الرغم من تمتعها بالسيادة والمال والمركز الاجتماعي، فأصبحت ((نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر وكل هذه المعوقات))^(١٣٢٠)، ومن جهة أخرى واجهت أشد الضغوط ومختلف أساليب التعذيب ونموذج هذه الشخصية ((تنفي ما يتمسك به البعض من ذريعة الضغط الذي يواجهه الإنسان من قبل المجتمع أو الزوجة لترك طاعة الله والالتزام بالنقوى))^(١٣٢١).

لهذا كله جعلها الله قدوة للمؤمنين والمؤمنات، وحُسبت مع أفضل نساء العالم، كما ورد ذلك في حديث رسول الله (2) إذ قال: ((أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون))^(١٣٢٢).

يتبين لنا أن ضرب المثل الحسن فيه دلالة واضحة على رضا المتكلم على المذكور في المثل سواء أكان فكرياً أم شخصياً أم عملاً فقد تحققت نسبة كبيرة من القبول أدت إلى مدح المرضي عنه بطريقة ضرب المثل، كما إن المتكلم يحاول في الوقت نفسه التأثير في السامع لكي يجد للممدوح مكاناً في نفس السامع، ذلك لأن ((المثل القرآني في جزء من آياته يعير أهمية كبيرة

٥. سورة البقرة: ٢٦١.

٦. ينظر: أمثال القرآن، مكارم الشيرازي: ٧٣ - ٨٦.

٧. المثل في القرآن الكريم، منير القاضي (بحث): ٩.

١. سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٥.

٢. سورة التحريم: ١١.

٣. في ظلال القرآن: ٨ / ١٧٤.

٤. أمثال القرآن، الشيرازي: ٤٩٧.

٥. الدر المنثور: ٦ / ٢٤٦.

إلى العامل النفسي ويفتح له رحاب حديثه، فهو حينما يدعو إلى الإفادة من سابق الأحداث والاعتبار بسالف التجارب والتأمل بواقع الدلائل، إنما يريد أن يفيد منها الإنسان في حاضره ومستقبله، ويحمل نفس المرء على العظة والاستجابة، محاولاً السيطرة على النوازع الداخلية، والتأكيد على التجاوب، وخوض العمق النفسي، ناظراً إلى ذلك باعتباره وسائل لتهيئة المناخ المناسب الفعال لبث تعاليمه وقيمه، وتأسيس مفاهيمه ومثله والقيام بوظيفته ومهمته)) (١٣٢٣).

ج. أسلوب التفضيل: يُستعمل اسم التفضيل للمفاضلة بين شيئين، ويدل غالباً على الزيادة في أصل الفعل (١٣٢٤)، ويبقى المفضل عليه مشاركاً المفضل في المعنى في الغالب، كما في قولنا: (سيبويه أنحى من الكسائي) ((فالكسائي مشارك لسبويه في النحو، وإن كان سبويه قد زاد

عليه في النحو)) (١٣٢٥)، نجد ذلك في قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام): □ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ

أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا □ (١٣٢٦).

وقد لا يشترك المفضل والمفضل عليه في الصفة، فتكون المشاركة تقديرية لا حقيقية، كما لو خُير أحدهم بين أن يُقتل بالسيف أو أن يُحرق بالنار فيقول: (لأن أقتل بالسيف أحب إلي من أن أحرق بالنار)، فلا نجد استحباباً حقيقياً، ولكنه اختيار الأهلون على النفس، قال السيوطي: ((والمراد بقولنا ولو تقديراً مشاركته بوجه ما، كقولهم في البغيضين: (هذا أحسن من هذا) وفي الشريرين: (هذا خير من هذا)، وفي الصعبين: (هذا أهون من هذا)، وفي القبيحين: (هذا أحسن من هذا)، وفي التنزيل: □ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ □ (١٣٢٧)، وتأويل ذلك: هذا أقل بغضاً وأقل شراً وأهون صعوبة وأقل قبجاً)) (١٣٢٨).

ونلاحظ هذا المعنى في القرآن الكريم في وصف الجنة وأصحابها، قال تعالى: □ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا □ (١٣٢٩)، فليس ثمة مقارنة بين مستقر أصحاب الجنة ومستقر أصحاب النار؛ لأن الآخر هو شر محض، وفي ذلك مدح واضح لأصحاب الجنة ولعاقبة أعمالهم.

وقال بعض العلماء انه قد يأتي أسلوب التفضيل أحياناً لغير قصد المفاضلة، كما في قوله

تعالى: □ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ □ (١٣٣٠)، قالوا في توجيه معنى اسم التفضيل:

(فإنما تأويله وهو عليه هيّن لأنه لا يقال: شيء أهون عليه من شيء) (١٣٣١).

الإلا إن (الدكتور فاضل السامرائي) أعاد لاسم التفضيل معناه الأصلي في هذه الآية فقال: ((وأرى أن في هذا مفاضلة أيضاً، وذلك لأن الإعادة أسهل من الابتداء بالنسبة إلى عقولنا وإن

١. الصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٤٩.

٢. ينظر حاشية الخضري: ٤٦ / ٢.

٣. همع الهوامع: ١٠٤ / ٢.

٤. سورة القصص: ٣٤.

٥. سورة يوسف: ٣٣.

٦. همع الهوامع: ١٠٤ / ٢.

٧. سورة الفرقان: ٢٤.

١. سورة الروم: ٢٧.

٢. المقتضب: ٢٤٥ / ٣.

لم يكن شيء أهون من شيء عليه سبحانه، غير أن الكلام جاء على سبيل المحاجة فإنهم كانوا يستبعدون البعث حتى قال قائلهم: □ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ □ (١٣٣٢)، فقال لهم إن إعادة أسهل من البدء، فهو الذي بدأ الخلق وإعادته أهون وأيسر في حكم العقل، فلماذا تستبعدون البعث بعد الموت؟) (١٣٣٣)، وسياق الآية الكريمة يدل على وجود مفاضلة بين شيئين مذكورين في الآية نفسها هما (الخلق وإعادة الخلق)، وهذه المفاضلة هي في حسابات العقل البشري لا في حسابات القدرة الإلهية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: □ وَأَنْ تَعْبُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى □ (١٣٣٤)، ولم يقل (العفو قريب من التقوى) لأنه - كما يفهم من السياق - أقرب من غيره من الأعمال فجاء (ذكر العفو على الجرم في موضع آخر في معرض المدح) (١٣٣٥). وقد يأتي اسم التفضيل من غير أن يُذكر المفضل عليه، ولكن يفهم من السياق أن المفضل هو أفضل ما يمكن، وبذلك يقصد باسم التفضيل ((تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير في الفعل، لا بمعنى تفضيله بالنسبة إليه بعد المشاركة في أصل الفعل، بل بمعنى أن صاحبه متباعد في أصل الفعل متزايد إلى كماله فيه على وجه الاختصار فيحصل كمال التفضيل)) (١٣٣٦).

وفي هذا لا نجد تفضيل شيء على شيء آخر معين، بل المراد مجرد الزيادة في أصل الوصف، قال تعالى: □ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ □ (١٣٣٧)، فلا نجد في الآية المفضل عليه وذلك لأن ((ليس المقصود هنا التفضيل على شيء معين، بل المقصود أن يقربوا مال اليتيم بمزيد الحسن ... ولا يمتنع تقدير مفضل عليه، كأن تقول: (وجادلهم بالتي هي أحسن من غيرها) ونحو ذلك)) (١٣٣٨).

وجاء اسم التفضيل معرّفاً بـ (أل) وبذلك لا تحتاج الجملة إلى ذكر المفضل عليه؛ لأن كل ما سواه مفضل عليه، وذلك لأن (هذه الصفة تستلزم أن يكون الموصوف بها في أعلى درجات المفاضلة) (١٣٣٩)، قال تعالى: □ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ (١٣٤٠)، وبذلك يتحقق أعلى درجات المدح، لأن الممدوح وصل إلى الدرجة الأعلى في المفاضلة وبالمقارنة مع غيره، وكذلك في قوله تعالى: □ وَكَلَّمَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى □ (١٣٤١)، (أي المتناهية في الحسن وليس هنالك ما هو أحسن منها أو بمرتبها) (١٣٤٢).

يتبين مما تقدم أن القرآن الكريم استعمل أسلوب التفضيل لغرض المدح، فكل مفضل هو

٣. سورة يس: ٧٨.

٤. معاني النحو: ٤/ ٢٦٨.

٥. سورة البقرة: ٢٣٧.

٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٣٩.

٧. الكليات: ٣٩.

٨. سورة الانعام: ١٥٢.

١. معاني النحو: ٤/ ٢٦٩.

٢. المصدر نفسه: ٤/ ٢٧٤.

٣. سورة آل عمران: ١٣٩.

٤. سورة الأعراف: ١٨٠.

٥. ينظر سورة التوبة: ٤٠، والنحل: ٦٠، الكهف: ١٠٣، طه: ٦٨، ٧٥، الدخان: ١٦.

ممدوح ومُقدّم على غيره، والمفضلّ عنده سبحانه هو كل خير وكل ما فيه سعادة الإنسان في الدارين، فقد فضلّ الجنة لأن فيها سعادة الإنسان وفضل، الأعمال الصالحة لأن فيها خير البشرية.

د. الانتساب بالإضافة إلى لفظ الجلالة: لاشك في أن الخالق سبحانه هو أقدس ذات في الوجود، وان المخلوقات كلها تتشرف بالقرب منه سبحانه، والناس جميعاً تسعى بشكل أو بآخر لنيل رضاه وتحاول جاهدة السير على صراطه طمعاً في شرف القرب منه سبحانه، ولهذا كان الانتساب إليه شرفاً لا يعدله شرف، ولا يحظى بهذه المنزلة إلا من رضي الله عنه وأدناه برحمته وتوفيقه.

ونجد في القرآن الكريم ممن انتسب إليه سبحانه فجاء ذكرهم في سياق المدح والثناء، قال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (١٣٤٣)، نلاحظ المدح واضحاً لفئة من الناس وصلوا رتبة العبادة الحقّة فكرمهم الله سبحانه بان اسماهم (عباد الرحمن) وذلك ((يعني أفاضل العباد، وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل وإلا فالخلق كلهم عباد الله)) (١٣٤٤)، وقد بين الألويسي سبب نسبتهم إلى (الرحمن) من دون غيره من الأسماء، يقول: ((وإضافتهم إلى الرحمن دون غيره من أسمائه تعالى وضمائره عز وجل لتخصيصهم برحمته أو تفضيلهم على من عداهم لكونهم مرحومين منعماً عليهم)) (١٣٤٥)، ونجد في الآية الكريمة مدحاً لهم بالصفات الحسنة أيضاً، وفي ذلك إشارة إلى قبوله سبحانه عن هذه الفئة من الناس .

ومثل ذلك قوله تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣٤٦)، وهذه الطائفة من الناس أيضاً وصلوا مرتبة من القرب الإلهي بفضل منه سبحانه وبسبب صفاتهم الإيمانية وأعمالهم الجهادية في تزكية النفس، فارتقوا إلى منزلة الولاية القرآنية، والآيات السابقة كلها في سياق المدح، والمدح مؤكد وكثير وفي درجة عالية من القبول حتى ختمت الآيات بقوله: (ذلك هو الفوز العظيم) دلالة على إن ذلك غاية ما يرتجى.

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ (رسلي) و(عبادنا) و(عبدنا) و(عبده) و(عبد الله)، فكل ما أضيف إليه سبحانه فهو في مجال المدح والقبول لأنه ليس هناك مدح أعظم من أن يقال أن هذا المرء أو هذا العمل أو هذا الفكر ينسب لله تعالى، فإذا كان القائل هو سبحانه فذلك تأكيد وقبول ليس بعده قبول .

هـ. التزكية والتكريم والتسليم منه سبحانه: إن تزكية القرآن الكريم لشخص أو لجماعة دليل على مدحه، فقوله تعالى: إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١٣٤٧)،

٦. سورة الفرقان: ٦٣.

٧. تفسير البغوي: ٩٣١، وينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤٦ / ٢.

١. روح المعاني: ١٠ / ٥٧ - ٥٨، وينظر أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته: ١٤٤.

٢. سورة يونس: ٦٢ - ٦٤.

٣. سورة الأحزاب: ٣٣.

نص صريح على مدح الله سبحانه لـ (أهل البيت) ((وأهل البيت نصب على المدح))^(١٣٤٨).

وفي ذلك يتجسد رضاه سبحانه عنهم، وهذه التزكية وهذا التكريم الذي صرح به سبحانه في كتابه الكريم لا بد أن يكون مستمراً لا منقطعاً، فلو علم سبحانه من هذه الجماعة انحرافاً ولو في نهاية حياتهم لما ذكرهم في كتابه بهذا الوصف الجميل، ويؤكد ذلك أسلوب التسليم الذي ورد في قوله تعالى: □ **وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** □^(١٣٤٩)، الآية تشير إلى أن رضا الله سبحانه وتعالى عن هذه الشخصية مستمر من بداية حياته إلى نهايتها، ولذلك قال (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ) وسلام الله عز وجل على أحد من عباده ((هو كناية عن تكريم الله عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى))^(١٣٥٠).

ويُعدّ اصطفاؤه الله لأنبيائه نوعاً من التكريم، وذكرهم في القرآن الكريم نوعاً من المدح لهم (عليهم السلام) فقوله تعالى: □ **وَإِنْ يَنْسِفْ لَنَا الْمُرْسَلِينَ** □^(١٣٥١)، فيه إشعار برضا الله سبحانه عن نبيه (عليه السلام).

فأسلوب التزكية والتكريم والتسليم في القرآن الكريم من أساليب المدح التي تترك للسباق وظيفية التعبير عن غرض المدح وإظهار درجة القبول عن الممدوح .
و. النصب على المدح: من سنن العرب في كلامها أن تنصب على قصد المدح أو الذم، ويفهم ذلك من سياق الكلام، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم وتنبه عليه النحاة والمفسرون، من ذلك قوله تعالى: □ **وَكَانَ الْبَرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** □^(١٣٥٢)، يقول القرطبي.
((والصابرين) نصب على المدح أو إضمار فعل والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك أفراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه أول الكلام وينصبونه، فأما المدح فقوله: (والمقيمون الصلاة))^(١٣٥٣)، وأنشد الكسائي (ت ١٨٩ هـ):

إلا نميراً أطاعت أمر غاويها والقاتلون
لمن دار نخليها

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم
الظاعنين ولما يضعنوا أحداً

وأنشد أبو عبيدة:

سم العداة وآفة الجزر والطيبون مقاعد
الأزر

لا يبعدن قومي الذين هم النازلين بكل
معترك

وقال آخر:

٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ١٨٢.

٥. سورة مريم: ١٥.

٦. التحرير والتنوير: ١٦ / ١٠١.

١. سورة الصافات: ١٣٩.

٢. سورة البقرة: ١٧٧.

٣. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ١٣ - ١٤.

((نحن بني ضبة أصحاب الجمل فنصب على المدح))^(١٣٥٤).

وكذلك في قوله تعالى: □ قُرْآنًا عَرَبِيًّا □^(١٣٥٥)، ((هو نصب على المدح))^(١٣٥٦)، والنصب على المدح كثير في القرآن الكريم وبه عُلِّت بعض القراءات.

المبحث الرابع

أسلوب عدم الممانعة

يعتمد هذا الأسلوب على أسلوب النفي؛ لأنه ينفي وجود المانع للعمل، وهو بذلك يُعد باباً من أبواب القبول الذي يُصرح عنه بالكلام، وقد جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم بطرق مختلفة، وهي كالآتي:

١. نفي الحرج بـ (ليس ولا وما):

والحرج في اللغة هو الضيق ويقع على الإثم والحرام، وخرج فلان على فلان إذا ضيق عليه^(١٣٥٧)، فعندما يُرفع الحرج عن عمل أو عن شخص فذلك يعني رفع الضيق والمشقة، وبذلك يُرفع الحاجز عن العمل بهذا الأسلوب لأن ((نفي الحرج يعني نفي الضيق ونفي الضيق يعني الإباحة التي هي الإطلاق، فالضيق يعني المنع ورفع الضيق إطلاق الإباحة التي تقابل الحظر))^(١٣٥٨).

وبدل نفي الحرج في القرآن الكريم على الإباحة التي سمح بها الشارع المقدس، وهذه الدلالة صريحة لا تأويل فيها ولا مجاز لأنها حقيقة لغوية واضحة^(١٣٥٩). ودرجة القبول المتحققة في هذا الأسلوب ليست كبيرة؛ لأن المتكلم لا يحث على العمل ولا يدعو إليه ولا يمدحه وإنما هو في صدد بيان أن هذا العمل ليس من الممنوعات؛ لأن المقابل يظن وجود الحرج فيه ويتصوره ممنوعاً، فرفع الحرج إنما ينقله من الممنوع إلى المباح وهذه النقلة تُخرجه من الرفض إلى أعتاب القبول.

يتبين ذلك أكثر في تأملنا في قوله تعالى: □ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدَقَتَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً □^(١٣٦٠).

نلاحظ أن المتكلم إنما أستعمل أسلوب نفي الحرج عندما علم بوجود الحرج في ذهن المقابل أو في ظنه، فقد كانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعداء، وتلك أخلاق

٤. الجامع لأحكام القرآن: ٢ / ٣٣٩ - ٢٤٠.

٥. سورة يوسف: ٢، وينظر: طه: ١١٣، الزمر: ٢٣، فصلت: ٣، الشورى: ٧، الزخرف: ٣.

٦. المصدر نفسه: ٣٣٧ / ١٥.

١. ينظر لسان العرب مادة (حرج): ٣ / ٥٦ - ٦١.

٢. الإباحة والمنع في القرآن الكريم: ٢١٢.

٣. ينظر موسوعة الفقه الإسلامي: ١ / ٢١٩، الوجيز في أصول الفقه: ٤٧.

٤. سورة النور: ٦١.

جاهلية، ولأنها بقيت مترسخة في عقول أبناء المجتمع نزلت الآية لرفع ذلك الحاجز النفسي، وتحول المنع إلى إباحة الأكل، والسماح بهذا العمل دليل قبول، وقال العلماء إن ظاهر الآية يدل على أن إباحة الأكل من هذه المواضع لا يتوقف على الاستئذان^(١٣٦١).

وجاء نفي الحرج بـ (لا) في قوله تعالى: □ فلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَىٰ

الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِ أَوْلَادَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْمُولًا □^(١٣٦٢)، وهنا أيضاً نستطيع أن نتصور وجود الحاجز بين المؤمن وبين زوجة ابنه بالتبني، فتأتي الآية لرفع ذلك الحاجز من خلال إباحة هذا الأمر الذي كان ممنوعاً في تصورهم، فقال المفسرون في معنى (حرج) هو: ضيق وقيل أثم^(١٣٦٣)، والحرج هنا موجود بسبب اختلاط الأخلاق الإسلامية بالأخلاق الجاهلية فجاءت الآية موضحة الحد الفاصل بين الأمرين.

كما جاء نفي الحرج بـ (ما) في قوله تعالى: □ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُومًا □^(١٣٦٤)، أي: لا حرج ولا أثم ولا عتاب على النبي بما أباح الله له وقسم من الزوجات^(١٣٦٥).

ويكاد يُجمع المفسرون على أن نفي الحرج في القرآن الكريم يدل على نفي الإثم أو الضيق^(١٣٦٦)، وهو باب لإباحة العمل، وإذا تأملنا في الآيات مارة الذكر نلاحظ أن الحرج كثيراً ما يقع في نفس الإنسان بسبب المجتمع، لذا نجد كثيراً من الآيات التي ورد فيها نفي الحرج تشير إلى وجود ضيق نفسي من أمور لا يستسيغها المجتمع أو يراها عيباً، فيأتي نفي الحرج ليبين للناس أن هذه الأمور مما أباحه الخالق سبحانه، فعليهم أن يرفعوا ذلك الضيق من نفوسهم لأن تلك شريعة الله في خلقه.

٢ . نفي الجناح :

الجناح في اللغة هو الميل إلى الإثم وقيل هو الإثم عامة^(١٣٦٧)، ونفي الجناح يُشبهه إلى حد ما نفي الحرج فهو أيضاً نفي الإثم الذي يجعل من العمل مباحاً، وقد جاء نفي الجناح في القرآن الكريم بالأدوات (لا، وليس) خمساً وعشرين مرة^(١٣٦٨)، واستعملت الأداة (لا) أكثر من الأداة (ليس) في هذا الأسلوب .

ويلاحظ في نفي الجناح أن هناك ظناً في ذهن السامع يفيد وجود حاجز فيأتي نفي الجناح لرفع

١ . ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري: ١٣٠/١٨.

٢ . سورة الأحزاب: ٣٧.

٣ . روح المعاني: ٢٢ / ٢٦.

٤ . سورة الأحزاب: ٣٨.

٥ . ينظر صفوة التفاسير: ٥٢٨ / ٢.

٦ . ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧ / ١٦، وجامع البيان: ٨٤ / ٢٦.

١ . ينظر لسان العرب، مادة (جنج): ٢٥٢ / ٣ - ٢٥٥.

٢ . ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (جنج): ١٧٨ - ١٧٩.

الحاجز، من ذلك قوله تعالى: □ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ □ (١٣٦٩)، يقول ابن

عباس (رضي الله عنه) عن سبب نزول هذه الآية إنه كانت عكاظ ومجئة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا في الإسلام أن يتجرؤوا فيها، فنزلت هذه الآية، وقد استدلت العلماء منها على جواز التجارة في الحج (١٣٧٠)، وقد قال المفسرون في دلالة نفي الجناح على الإباحة، يقول الصابوني: ((لا حرج ولا أثم عليكم في التجارة في أثناء الحج فإن التجارة الدنيوية لا تنافي العبادة الدينية وقد كانوا يتأثمون من ذلك فنزلت الآية تبيح لهم الاتجار في أشهر الحج) (١٣٧١).

كما جاء نفي (الجناح) بـ (ليس) في قوله تعالى: □ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ

فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ □ (١٣٧٢)، وفسر ذلك بأنه يعني ليس عليكم إثم ولا حرج (١٣٧٣).

ونفي الجناح كنفي الحرج يفيد الإباحة، لكن الآيات التي ورد فيها نفي الجناح يلاحظ فيها أن المسائل التي نفي الجناح عنها لا تتعلق بالمجتمع كما في نفي الحرج، وإنما هي أمور بين العبد وربّه غالباً، أي أن الإنسان في هذه المسائل يحسب الحساب لرضا الله سبحانه في هذه الأعمال فيأتي نفي الجناح ليدل على إباحة هذا الأمر الذي يُظن بوجود إثم أو ميل إلى الإثم في عمله، فإذا تأملنا في هذه الآيات نجد نفي الجناح جاء لأمور منها ((الاتجار في الحج) (١٣٧٤)، ورجوع الزوجين إلى بعضهما بعد الطلاق (١٣٧٥)، وفطام الطفل قبل إتمام الحولين (١٣٧٦)، وطلاق النساء قبل الدخول (١٣٧٧)، ووضع النساء القواعد بعض ثيابهن كالرداء والجلباب أمام الرجال (١٣٧٨)، ... وغيرها من المسائل))، يلاحظ أن معظم هذه الأمور لا يستطيع المجتمع الاطلاع عليها عن كثب؛ لأنها يمكن أن تُمارس بعيداً عن أنظار المجتمع، ولكن ليس بعيداً عن علم الله سبحانه.

٣. نفي الإثم :

جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم بصيغة (لا إثم عليه)، ونفي الإثم أيضاً يفيد معنى الإباحة لأن الأعمال التي لا تترتب عليها عقوبة تُعد من المباحات، ويلاحظ في سياق هذه الآيات باعتقاد الناس بتحقيق الإثم جراء تلك الأعمال إلا أن القرآن الكريم ينفي ذلك الإثم ليسمح للبشر بإتيان هذه الأعمال على وفق شروط الشريعة، ونلاحظ وجود الإثم حقيقة في بعض الأعمال إلا أن الله سبحانه وتعالى يرفعه عن الناس لضرورة لكي لا يكون عليهم في الدين من حرج، كما في قوله تعالى: □

٣. سورة البقرة: ١٩٨.

٤. ينظر أحكام القرآن، ابن العربي: ١ / ١٩٢.

٥. صفوة التفاسير: ١ / ١٣٠.

٦. سورة النور: ٢٩.

٧. ينظر صفوة التفاسير: ٢ / ٣٣٥.

٨. ينظر سورة البقرة: ١٩٨.

١. ينظر سورة البقرة: ٢٣٠.

٢. ينظر سورة البقرة: ٢٣٣.

٣. ينظر سورة البقرة: ٢٣٦.

٤. ينظر سورة النور: ٦٠.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَكُلَّ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ (١٣٧٩)، فالعمل هنا من المحرمات - وهذا ما نصت عليه الآية نفسها - إلا انه يصبح مباحاً عند الاضطرار وبشروط عدم قصد البغي وعدم العودة، فهنا لا عقوبة على المضطر، وأكد ذلك قوله تعالى في ذيل الآية (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فهو سبحانه يغفر الذنوب ويرحم العباد ومن رحمته أن أباح بعض المحرمات وقت الضرورة (١٣٨٠).

وفي بعض الأحيان يأتي نفي الإثم عن عمل غير منصوص بحرمة، كما في قوله تعالى: □
وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ □ (١٣٨١)، نلاحظ نفي الإثم عن المتعجل والمتأخر أتاح فسحة زمنية كان مشكوكاً في إباحتها، وهنا يشترط في هذا العمل التقوى، ذلك ما أشار إليه قوله تعالى: (لِمَنِ اتَّقَى) ثم أكد هذا المطلب بقوله سبحانه: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فالإثم والعقوبة لا ترفع عن الإنسان إلا بالتقوى.

وعلى الرغم من تقارب المعاني في نفي (الخرج) و(الجناح) و(الإثم)، إلا أن ثمة اختلافاً في الدلالة، ولولا هذا الاختلاف لما اختلف اللفظ، ونستطيع أن نقول إن نفي (الخرج) جاء ليُعلم المجتمع أن لا يؤاخذ الإنسان في هذه الأعمال التي يقوم بها، أما نفي (الجناح) فهو موجه للإنسان نفسه ليقول له إنك لست مائلاً نحو الإثم ولست مؤاخذاً لعملك هذا لأنه مباح لك، أما نفي (الإثم) فيسبقة اعتقاد حقيقي لدى الإنسان بأنه لو أتى هذا العمل سيكون آثماً لأن هذا العمل من المحرمات صراحة أو إيحاءً، لذلك يأتي نفي الإثم ليرفع العقوبة المترتبة على ذلك العمل بشروط لنلا يتخذ بعض الناس ذلك منفذاً للمحرمات ولكي لا يضيق المقام على العباد في أوقات الضرورة، وذلك من كرم البارئ عز وجل على خلقه، فقد أجاز لهم تجاوز بعض الحدود الشرعية عندما لا يجدون منفذاً غيره، وهذا مالا نجده في كل القوانين الوضعية التي يسنها البشر، والله أعلم.

٤. نفي المؤاخذة :

وردت عبارة (لا يؤاخذكم الله ..) أكثر من مرة في القرآن الكريم، وقد فهم المفسرون والفقهاء العبارة على أنها تشير إلى إباحة العمل لأنه لا عقوبة مترتبة على إتيانه، نلاحظ ذلك في قوله تعالى: □ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَأَلَّ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ □ (١٣٨٢)، واللغو هو كل كلام لا يفيد، وقد يُطلق على مالا يضر (١٣٨٣)، ويلاحظ في الآية الكريمة مجيء (لا يؤاخذكم) و(ولكن يؤاخذكم) وهذا يعني أنكم لن تُحاسبوا على (اللغو في الأيمان) فهذا صار مباحاً، ولكن تُحاسبون على (ما كسبت قلوبكم) فهذا اليمين تُسألون عنه، واللغو في الأيمان

٥. سورة البقرة: ١٧٣.
٦. ينظر صفوة التفاسير: ١ / ١١٥.
٧. سورة البقرة: ٢٠٣.
١. سورة البقرة: ٢٢٥.
٢. ينظر أحكام القرآن، ابن العربي: ١ / ٢٤١.

هو ((قول الرجل: لا والله، وبلى والله، في حديثه وكلامه، غير معتقد لليمين، ولا مرید لها وكذلك في الهزل والمزاح، فهذا لا إثم فيه ولا حنث ولا كفارة، لأنه ليس بيمين حقيقية))^(١٣٨٤). وجاءت (لا يؤاخذكم) مرة ثانية في الموضوع نفسه مع بعض الاختلاف في التعبير، فقال تعالى: □ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ □^(١٣٨٥)، يقول ابن العربي (ت ٦٣٨هـ) ((حقيقة اليمين هي: ربط العقد بالامتناع والترك أو الإقدام على فعل بمعنى معظم حقيقة أو اعتقاداً))^(١٣٨٦).

ويفهم السامع من عبارة (لا يؤاخذك) أنه ليس هنالك رفض للعمل الذي ينوي القيام به، فهو مسموح به، وإنما استعمل المتكلم هذا الأسلوب لعلمه بوجود شك في نفس السامع جعلته متوجساً من الفعل، ولهذا قال الفقهاء: ((إن نفي المواخذه صريح في إفادة رفع الإثم وعدم العقاب على اللغو في اليمين))^(١٣٨٧).

٥. نفي السبيل :

نفي (السبيل) في القرآن الكريم بالأداة (ما) وعَدَّ هذا النفي من أساليب الإباحة أيضاً، قال تعالى: □ وَلَكِنْ أَنْتَ صَرَّ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكِنْ صَبْرٌ وَغَفْرٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ □^(١٣٨٨)، والآية الأولى تبيح الانتصار من الظالم، فهذا العمل لا عقوبة عليه ولا مواخذه^(١٣٨٩). ونفي السبيل يعني ((ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم))^(١٣٩٠).

وقد اختلف المفسرون في هذه الآية، فمنهم من قال إن حكمها منسوخ ومنهم من فصل القول في هذا المباح، يقول القرطبي: ((إن المسلم إذا انتصر من الكافر فلا سبيل إلى لومه، بل يُحمد على ذلك مع الكافر، ولا لوم إذا انتصر المظلوم من المسلم، فالانتصار من الكافر حتم، ومن المسلم مُباح، والعفو مندوب))^(١٣٩١)، ورشح الطبري الانتصار من المشركين دون المؤمنين^(١٣٩٢).

وللوقوف على حقيقة الانتصار من الظالم ومتى يجوز ذلك بحيث لا يكون على المنتصر من سبيل، نستعين بقول الإمام علي بن الحسين السجاد (عليهم السلام) حيث يقول: ((وأما حق من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل: فإن كان تعدها كان العفو أولى بك، لما فيه له من القمع، وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق، وإن علمت أن العفو عنه يضر انتصرت، فإن الله يقول: (وَلَكِنْ أَنْتَ صَرَّ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) إلى قوله: (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وقال عز وجل: □ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

٣. زبدة التفسير من فتح القدير: ٤٥.

٤. سورة المائدة: ٨٩.

٥. أحكام القرآن، ابن العربي: ١٤٨/٢.

١. موسوعة الفقه الاسلامي: ١/ ٢٢٠.

٢. سورة الشورى: ٤١-٤٣.

٣. ينظر التفسير الكبير: ١٨٢/٢٧.

٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٩/٤.

٥. الجامع لاحكام القرآن: ٤١/١٦.

٦. ينظر جامع البيان: ٣٩/٢٥.

عُوثْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ □ (١٣٩٣)، هذا في العمد، فان لم يكن عمدا، لم تظلمه بتعمد الانتصار منه، فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ، ورفقت به، ورددته بألطف ما تقدر عليه، ولا قوة إلا بالله)) (١٣٩٤).

كما ورد نفي السبيل في قوله تعالى: □ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا

يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ (١٣٩٥)، ووصفوا بالمحسنين ((لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم)) (١٣٩٦)، ويبدو أن المفسرين فهموا من عبارة (ما عليهم من سبيل) ما عليهم من لوم، وسواء كانت تؤدي إلى نفي اللوم أو العقوبة أو غيرها من الموانع فإنها تفيد الإباحة.

يتبين مما تقدم أن نفي المانع سواء كان مانعاً اجتماعياً أو نفسياً أو دينياً، فإنه يؤدي إلى إباحة العمل، والإباحة تعني خروج الفعل من دائرة الرفض إلى حيز القبول، وإن كانت الإباحة هي أول درجات القبول، فهي لا تُعبر عن قبول بدرجة عالية إلا إنها تسمح بالقيام بالعمل من غير أن يترتب عليه حرج أو إثم أو عقوبة أو لوم، وقد استفاد الفقهاء من هذا الأسلوب في التعبير ليستنبطوا منه أحكامهم الشرعية، فقالوا بإفادته معنى الإباحة.

٧. سورة النحل: ١٢٦.

٨. جهاد السجاد (عليه السلام)، السيد محمد رضا الجلاي: ٢٨٤ - ٢٨٥.

١. سورة التوبة: ٩١.

٢. التسهيل لعلوم التنزيل: ٨٣ / ٢.

المبحث الخامس

فرض الترغيب

الترغيب في اللغة من رَغِبَ في الشيء يَرُغِبُ رَغْباً ورُغْباً ورَغْبَةً، إذا أَحَبَّهُ وأرادَهُ بالحرص عليه^(١٣٩٧)، و (رَغِبَ عنه) تحمل معنى الضد .

والترغيب في الاصطلاح هو: ((الحث على الإقبال نحو الشيء المرغوب فيه بإظهار محاسنه ومزاياه باستعمال الأساليب البلاغية التي تجسد هذا الشيء، راسمة له صورة في مخيلة المتلقي لها أثرٌ نفسي يشده نحوه))^(١٣٩٨)، والرغبة ((تعني الطمع وتأمل حصول الجائزة، لذا فإن الترغيب يكون بمعنى التحفيز على الشيء بإظهار ما يُطْمَعُ الإنسان ويشجعه، وقد استعمل العرب هذا الأسلوب في وصف الأشياء المراد الأخذ بها والتشجيع عليها، بإظهار محاسنها وإلباسها أبهى حليها وأجملها، حتى أنهم يبالغون في وصفها))^(١٣٩٩).

وأسلوب الترغيب يصدر عن قبول نفسي كبير في نفس المتكلم، ومحاولة إيصال هذا القبول بدرجته الكبيرة إلى نفس السامع، فمن يُرغِبُ في عمل ما لا بد أن يكون راضياً كل الرضا عن هذا العمل، وهو يُصرِّح بهذا الرضا والقبول، ويشجع السامع على الإقبال على هذا العمل .

١. ينظر العين (رغب): ٤/ ٤١٣، ومقاييس اللغة: ٢/ ٤١٥، ولسان العرب: ٢/ ٤٠٦.
٢. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): ١.
٣. المرجع نفسه: ٣.

ويمكن أن يؤدي أسلوب الترغيب بوسائل مختلفة، فكما تستطيع الجملة الخبرية أداء هذا المعنى، كذلك يُستعان بالجملة الإنشائية لهذا الغرض سواء أكان الإنشاء طلبياً أم غير طلبى، فأسلوب الترغيب لا يتقيد بأدوات معينة وإنما يستعمل الجملة بمكوناتها ليؤدي السياق غرض الترغيب.

١. الجملة الخبرية:

الخبر نوعان: حقيقي ومجازي، أما الحقيقي فيأتي لفائدة الخبر أو للزوم الفائدة، فإذا قصد به فائدة الخبر حملت الجملة حينها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، لمن ليس واقفاً عليه، أما لزوم الفائدة فهو ما لا يُقدم جديداً للمخاطب وإنما يفيد بأن المتكلم عالم بالحكم^(١٤٠٠).

أ. الخبر الحقيقي: يأتي الخبر في القرآن الكريم كثيراً في معرض الترغيب، لاسيما في الآيات التي تعرض لوصف الجنة وما أعد فيها للمتقين، وكذلك في بيان جزاء الأعمال الصالحة، نجد ذلك واضحاً في قوله تعالى: □ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * وَأُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** □^(١٤٠١)، نلاحظ أن القرآن الكريم يُخبرنا عن حال الجنة وحال ساكنيها الذين كانوا ممن يعمل الصالحات، كل هذه الأخبار وردت ترغيباً في الجنة وتشجيعاً على الإقدام على العمل الصالح الموصل إلى هذا النعيم.

ويُخبرنا القرآن الكريم أن كل ما أمر به عز وجل به يؤدي إلى العاقبة الحسنة، وفي ذلك ترغيب للعقول والمشاعر للسير في طريق المؤمنين الذين اقتادتهم أعمالهم إلى (عقبى الدار) قال تعالى: □ **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّخِذُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ * أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** □^(١٤٠٢)، نلمح في الآيات الكريمة جوانب عدة تعمل على إيجاد الحوافز النفسية للإقبال على هذه الأعمال منها قوله تعالى: (أُولَئِكَ

لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) ثم تفصيل ذلك بأنها (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) ودخول الجنة في حد ذاته فوز كبير وفرحة لا توصف، فإذا وجد المؤمن هناك مَنْ يحبهم ويرغب في العيش معهم لاشك في أن سعادته ستكون أكبر، لأنه ((في هذه الجنات ياتلف شمله مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وهؤلاء يدخلون الجنة بصلاحهم واستحقاقهم ... وهي لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان))^(١٤٠٣)، وليس هذا فحسب بل يخبرنا القرآن الكريم أنه سيلقى الحفاوة باستقبال الملائكة لهم.

ب. الخبر المجازي: يخرج الخبر في أحيان كثيرة عن غرضه الحقيقي ليؤدي معاني أخرى، يساعده في أداء هذه المهمة سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن الأغراض التي يخرج إليها وتحمل في

٤. ينظر مفتاح العلوم: ٣٤٧.

١. سورة الكهف: ٣٠ - ٣١.

٢. سورة الرعد: ٢٠ - ٢٤.

٣. في ظلال القرآن: ٥ / ٩١.

طياتها جوانب ترغيبية هي:

أولاً: الوعد: لاشك في أن الوعد بجائزة مادية أو معنوية لقاء عمل ما يعدّ من الحوافز النفسية المشجعة على أداء ذلك العمل طمعاً بالجائزة، وعليه يعدّ الوعد من أساليب الترغيب، لهذا وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوعود كثيرة، منها وعود دنيوية يراها الإنسان في دار الدنيا ومنها - وهي كثيرة - وعود أخروية، نجد الوعود الدنيوية في قوله تعالى على لسان

سيدنا نوح (عليه السلام): □ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**

*** وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً** □ (١٤٠٤)، تقول الآيات

الكريمات إن من نتائج الاستغفار هي: غفران الذنوب وإدراك الرزق بالأموال وبالذرية، وكل هذه الوعود المغرية لها الأثر النفسي ((ترغيباً في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين)) (١٤٠٥)، من عرف ذلك طمع بتحصيل هذه الوعود أو جزء منها، لذلك عمل الأنبياء (عليهم السلام) على إظهار الحقائق التي كان الناس في غفلة عنها، فيصور القرآن الكريم لنا نوحاً (عليه السلام)، وهو ((يعد قومه توافر النعم وتواترها عليهم إن استغفروا ربهم، فلمغفرة الذنوب أثر بالغ في رفع المصائب والنقمة العامة وانفتاح أبواب النعم من السماء والأرض)) (١٤٠٦).

ولأن تنفيذ الوعد متوقف دائماً على التزام المقابل بأداء عمل ما أو النهي عنه، لذلك

نلاحظ حضور أسلوب الشرط كثيراً في مجال الوعود، ومثال على ذلك قوله تعالى: □ **بَلَىٰ إِنْ**

تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

□ (١٤٠٧)، فالآية الكريمة تخبرنا من خلال أسلوب الشرط أن ثبات المسلمين في ساحة

المعركة وصبرهم وتقواهم يؤدي بهم إلى استحقاق الوعد الإلهي بان يمددهم بالملائكة لإحراز النصر، وفي ذلك ترغيب لمسلمين في الصبر والتقوى من أجل الفوز بالوعد الإلهي في الدنيا هذا فضلاً عن الثواب الجزيل في الآخرة .

ولأن الآخرة دار خلود وبقاء وفيها يتجسد الرضا الإلهي عن المؤمنين، كما يتجسد ثواب الأعمال المتحصلة في دار الدنيا، لذلك نجد اهتماماً كبيراً من كل الكتب السماوية بإبراز الحقائق الغيبية عن هذه الدار وكشف بعض مزاياها لغرض ترغيب الخلائق فيها وحثهم للعمل من أجل الفوز بالنعيم الأبدي، فنلاحظ في القرآن الكريم الكثير من الوعود

الإلهية المتعلقة بالآخرة، من ذلك قوله تعالى: □ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ**

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

عَلِماً □ (١٤٠٨)، وهنا أيضاً اشترطت الآية الكريمة تحقق الطاعة لله وللرسول لكي يتحقق

الوعد في الحشر (مع الذين أنعم الله عليهم) ولاشك في أن هذا ((ترغيب للمؤمنين في الطاعة

١. سورة نوح: ١٠-١٢.

٢. الكشاف: ٦١٧/٤.

٣. الميزان: ٣٠/٢٠.

٤. سورة آل عمران: ١٢٥.

١. سورة النساء: ٦٩-٧٠.

حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده) (١٤٠٩).
 وذكر الجنة ونعيمها في القرآن الكريم من الوعود الإلهية البارزة للذين آمنوا وعملوا
 الصالحات، ومثال على ذلك قوله تعالى: □ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدُّ خَلْفَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا □ (١٤١٠)، ملامح الترغيب في هذه
 الآية نلاحظها في (جنت) وكأنها توحى بتعدد المباحج وصور النعيم الأخرى، وفي (تجري)
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وفي ذلك مبعث للسرور والراحة النفسية، وفي (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وهذا أمرٌ
 عظيم، لأن ذلك النعيم لا انقضاء له وهذا يفوق تصور البشر كما يفوق جزاء كل الأعمال
 الصالحة في الدنيا، وذلك من فضل الله وكرمه على خلقه، ولأن هذه المسائل مما لا يستطيع
 العقل البشري استيعابها لأنها خارجة عن حدود تصوراته وحساباته، ولكي لا يدخل الشك
 في فكره أكد الله سبحانه ذلك بقوله جلَّ وعلا: (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) فهو وعدٌ الهي لا شك ولا ريب
 في تحقيقه لأنه سبحانه (لا يخلف الميعاد)، وأكدته مرةً أخرى بأسلوب الاستفهام بقوله
 تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) لكي يعود الإنسان إلى نفسه ليتأكد أن جوهر الصدق يتجسد في
 قوله سبحانه .

ثانياً: حثُّ الهمة إلى ما يلزم تحصيله: يُؤتى بالخبر أحياناً لغرض حثِّ المتلقي لأداء أعمال معينة،
 وفي ذلك ترغيب في الشيء المراد تحصيله، ويطلقنا في القرآن الكريم كثيراً الحث على
 الإيمان والأعمال الصالحة التي يعود خيرها على الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، ويتجلى
 هذا الغرض واضحاً في أسلوب المدح، فكلُّ مَنْ مدحه الله سبحانه فهو جدير بأن يكون قدوة
 للبشر، كما أن كل ما مدحه الله من الأعمال فهو جديرٌ بأن يلتزم ويعمل به، قال تعالى:
 □ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَكَلَامُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ
 دَاكِرُ الْمُتَّقِينَ □ (١٤١١)، وفي ذلك حافزٌ للناس للسعي من أجل نيل هذه الحسنة في الدنيا،
 وكذلك العمل من أجل الآخرة التي مدحها الله سبحانه تحريكاً للهمة.

كما يلفت انتباهنا أسلوب خبري يؤدي هذا الغرض أداءً قوياً، ذلك هو الإخبار عن حبِّ
 الله سبحانه وتعالى لطوائف من البشر تلتزم بأعمال تُقربهم من الله زُلفى، كما في قوله
 تعالى: □ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَطَهِّرِينَ □ (١٤١٢)، وفي الآية حثُّ للهمة يُثير المشاعر
 ويُحرك الهمم نحو التوبة والتطهر، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى بجلالة قدره وعظيم
 سلطانه (يُحب) أناساً لأدائهم أعمالاً معينة، ولم يقل (يرضى) أو (يُقرب) أو غيرها من
 المنازل، ولهذا صار لزاماً على الإنسان ((أن يسعى في سبيل تحقيق التوبة ويجب عليه أن
 يفهم بأن المحبوبة عند الله لا تُقدر في حساب، والله يعلم بأن صورة حبِّ الحق في تلك

٢. الكشف: ١ / ٥٣١.

٣. سورة النساء: ١٢٢.

١. سورة النحل: ٣٠.

٢. سورة البقرة: ٢٢٢.

العوامل من أي نوع من الأنوار المعنوية والتجليات الكاملة تكون؟ وإن الله سبحانه كيف يتعامل مع محبوبه؟))^(١٤١٣)، وذلك كله ترغيب في كل ما يحب البارئ عز وجل، ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يقل إن الحب للعمل بذاته وإنما للقائمين به، لذا جاء المفعول به في هذه الآيات على صيغة أسم الفاعل (التوابين)، (المتطهرين)، (المتقين).

ويتجلى هذا الغرض واضحاً في القصص القرآني، فمن المعروف أن القصة في القرآن الكريم جاءت لأغراض معينة، منها أخذ العبرة والعظة، فهي تتضمن ترغيباً في ما يُرضي الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أكدته الدراسات التي عرضت للقصص القرآني، يقول أحد الباحثين في المقاصد والأغراض للقصة القرآنية: ((عملية توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق وكل ما هو خير وكل ما هو جميل، ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويثحمل الأذى في سبيلها، ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها ثم الدفاع عنها والعمل على حث الناس على الإيمان بها إيماناً قد لا تزعه الحوادث وقد لا تذهب به النكبات))^(١٤١٤).

فإذا استطاعت القصة إيجاد حافز نفسي وحركت همة المتلقي باتجاه معين فقد أدت وظيفة الترغيب التي يعمد إليها المتكلم من أجل إيجاد تقبل للقبول الذي عنده ونقله كله أو بعضه إلى المتلقي، لهذا كانت القصص بشكل عام والقصص القرآني بشكل خاص من الأسباب المؤثرة في النفوس.

وبهذا يتبين لنا أن الخبر بنوعيه الحقيقي والمجازي من الأساليب البلاغية التي تؤدي غرض الترغيب، وفي القرآن الكريم له تأثيره الخاص على المتلقي، لأن المُخبر هو الله عز وجل وهو أعظم وأصدق الخابرين .

٢ . الجملة الإنشائية:

والإنشاء نوعان: طلبي وغير طلبي، وقد استعمل القرآن الكريم الجملة الإنشائية لأداء غرض الترغيب، وذلك إذ ((للإنشاء أثر بالغ الأهمية في التعبير عن المعاني التي أراد الله سبحانه وتعالى) إيصالها إلى الخلق من الأتس والجن أجمعين، فكان لهذا الأسلوب التعبيري المباشر الذي اعتمد الاستدلال والاحتجاج وسرد الأدلة والبراهين وكان سبباً إلى إحداث الإقناع والتحفيز للمتلقي عند الترغيب في حدث ما))^(١٤١٥).

ونجد ذلك في الأساليب الآتية :

أ. الأمر: إنَّ كلَّ ما يأمر به الله سبحانه وتعالى هو عمل مرغوب فيه، فالأمر القرآني وإن كان يحمل معنى الوجوب، فإنه يحمل أيضاً معنى الترغيب في العمل لأن الأمر هو الخالق العظيم، وإن رضاه هو الغاية العظمى التي يرتجىها الخلق.

٣. الأربعون حديثاً، الامام الخميني: ٢٦١.

٤. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله: ٢٣٣ - ٢٣٤.

١. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم: ٦٨.

وأسلوب الأمر من أساليب التعبير المباشر أو ما يسمى بـ (الأقاويل الخطابية) التي لها أبعادها النفسية لأنها تعتمد على الاستدلال والاحتجاج وسرد الأدلة والبراهين والحوادث، وهذا من شأنه أن يحدث الإقناع وتقوية الظن عند المتلقي، البعيد عن عنصر الخيال^(١٤١٦)، فهو يساعد على تأجيج المشاعر وتحفيز الهمم^(١٤١٧).

ب. الاستفهام: وهو من الأساليب الخطابية المباشرة، كما أن تأثيره في نفس المتلقي يتحقق من خلال طلب الجواب لأن ((الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه))^(١٤١٨)، وهو أيضاً حقيقي ومجازي، وكثيراً ما يخرج الاستفهام في القرآن الكريم إلى الأغراض المجازية، ولم نجد ما يؤدي غرض الترغيب إلا في المعاني الآتية:

أولاً: التقرير: وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه^(١٤١٩)، وفي هذا الأسلوب يتحقق للجملة إثبات مضمونها وحقيقتها، نجد ذلك في قوله

تعالى: □ قُلْ أَذْكَاءَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصيراً □^(١٤٢٠)، نلاحظ أن

المتكلم لا يريد إجابة، وإنما يريد للسامع أن يعود إلى نفسه ليعقد موازنة بين الجنة والنار ليتوصل إلى الحقيقة التي طالما غفل عنها، والحقيقة أن الآية الكريمة بانضمامها إلى ما يسبقها تؤدي غرضي الترهيب والترغيب في آن واحد، فهي تحفز النفوس على الابتعاد عن منزل الذلة والاحتقار في النار، والنظر من خلال البصيرة إلى جنة الخلد ترغيباً فيها.

وفي قوله تعالى: □ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

□^(١٤٢١)، دخول همزة الاستفهام على النفي يفيد الإثبات، وفي الآية الكريمة ترغيب في أمن الله تعالى، لأنها تمنح النفس معاني إيجابية تقول بأن الله سبحانه يتولى عباده المؤمنين بالرعاية والحماية فهو كافٍ في الشدائد كما انه كافٍ مصالحهم في الدنيا وفي الآخرة.

ثانياً: التعظيم والتهويل: يعمل الاستفهام أحياناً على تعظيم أمر ما لغرض الترغيب فيه، كما في

قوله تعالى: □ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ □^(١٤٢٢)، فلا استفهام هنا أفاد

معنى الترغيب، لأن الشفاعة منزلة عظيمة لا يصل إليها العبد إلا بالإخلاص لله وحده، وفي ذلك إحياء للنفس الإنسانية لكي تجتهد في هذا المضمار لعلها تصل إلى الرضا الإلهي الذي يمنحها ذلك الامتياز وذلك الشرف الكبير، فالاستفهام ((بيان لملكوته وكبريائه، وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام))^(١٤٢٣).

٢. ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١١.

٣. ينظر مبحث (اسلوب الأمر) من هذا الفصل.

٤. من بلاغة القرآن: ١٦٣.

١. ينظر البرهان: ٣٣١ / ٢.

٢. سورة الفرقان: ١٥.

٣. سورة الزمر: ٣٦.

٤. سورة البقرة: ٢٥٥.

٥. الكشاف: ٣٠١ / ١.

وكذلك في قوله تعالى: □ فَلَاقَتْحَهُ الْعُقَبَةَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ □ (١٤٢٤)، أدى الاستفهام هنا

معنى تهويل وتعظيم أمر (العقبة) وهي الأعمال الصالحة التي تُقْتَحَم من خلال مجاهدة النفس للإقدام عليها، وفي هذا تعظيم للتصدق والإنفاق في سبيل الله، لأنها ستؤدي به إلى اجتياز العقبات التي يُلَاقِيهَا في الحياة الآخرة، وفي ذلك كله ترغيب في الأعمال الصالحة لأنها السبيل المُنجِية والجسور المعبرة للإنسان إلى دار النعيم.

وأسلوب الاستفهام كثيراً ما يُعبر عن موقف الرفض، ولا سيما الاستفهام الاستنكاري - كما سنلاحظ ذلك في الفصل الرابع إن شاء الله - إلا إن موقف القبول استطاع أن يوظف هذا الأسلوب لصالحه فعمل السياق على أداء غرض الترغيب من خلاله، وهذا يعني أن المتكلم سواء أكان في موقف قبول أم رفض يمكنه استعمال هذا الأسلوب، كما يمكن للمتكلم الهادئ والمنفعل أن يستعمل أسلوب الاستفهام لأداء المعاني التي تجول في خاطره، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على سعة الأساليب في العربية وتمكنها من أداء المعاني المتناقضة.

الإِنشاء غير الطلبي:

وهو كما يشير عنوانه - لا يستلزم مطلوباً حاصلًا وقت الطلب، ويمكن للإِنشاء غير الطلبي أن يؤدي غرض الترغيب كما في الأساليب الآتية:

أ. من بين أهم أهداف جملة المدح أنها تعمل على الترغيب في الممدوح سواء أكان شخصاً أم فِكْراً أم عملاً، وللمدح صيغ قياسية وأخرى سياقية (١٤٢٥)، ولقد آثرنا أن نفرّد مبحثاً لـ (أسلوب المدح) في دلالته على القبول، لأنه يحمل معاني كثيرة تشير إلى قبول المتكلم، وما غرض الترغيب في هذا الأسلوب إلا واحداً من الأهداف التي يريد أن يحققها المادح.

ب. التعجب: له صفتان قياسيتان هما: ما أفعله، وأفعل به، وجاءت هاتان الصيغتان في القرآن الكريم في مجال الترهيب لا الترغيب، إلا أن هنالك صيغاً سماعية تدل على التعجب، كما أن هنالك لفظة تؤدي هذا الغرض وهي (عجب)، كما في قوله تعالى: □ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفْسٌ مِّنَ

الْجَنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا □ (١٤٢٦)، إن سياق الكلام يحمل معنى التعجب من صفاته الحسنة، ومما يؤكد هذا الآيات التالية لهذه الآية، فقد أثار إعجابهم شكلاً ومضموناً، وقد وصفوه بقولهم (عجبا) لما فيه من دلائل الإعجاز، فعجب ((مصدر يوضع موضع العجيب، وفيه مبالغة: وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره)) (١٤٢٧)، ولذلك فإن لفظة (عجبا) ((أفادت الترغيب في القرآن الكريم الذي وصفته الجن بهذا الوصف متعجبة من إعجازه وخروجه عن العادة وتفوقه على غيره من الكتب السماوية بالنظم والمعنى، محفزة النفس على الإقبال عليه والأخذ بما فيه من معان عظيمة وإرشادات مهمة تنفع الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة)) (١٤٢٨).

ولا يقتصر أداء معنى الترغيب على الأساليب مارة الذكر، لأن المتكلم يستطيع أن يوظف رصيده اللغوي لأداء هذا المعنى بأشكال شتى، فتارةً يستعين باللفظة المفردة وتارةً بأسلوب معين وتارةً يعمد إلى رسم الصور الفنية المشوقة لإثارة العواطف الإنسانية العاملة على الترغيب، والأدوات التي يستعملها المتكلم في الصورة الفنية هي التشبيه والتمثيل والمجاز

٦. سورة البلد: ١١ - ١٢.
١. ينظر مبحث (أسلوب المدح) من هذا الفصل.
٢. سورة الجن: ١.
٣. الكشاف: ٤ / ٦٢٣.
١. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم: ١١٧.

والاستعارة والكناية والطباق والمقابلة^(١٤٢٩).

ولأن أسلوب الترغيب مؤثر في النفس الإنسانية فإنه يمكن أن يؤدي حتى بطريقة الإيحاء، فكيف بالعبارة التي تمتلك قوة تعبيرية مؤثرة، وعليه يمكن للمتكلم أن يصوغ ألفاظه كيف يشاء ويضمنها هدف الترغيب لتعمل في نفس المتلقي، والدليل على ذلك قوله تعالى:

□ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ □^(١٤٣٠)، يحمل معنى الترغيب، يقول القرطبي: ((لأنه لما كان اتصافه بـ (رب العالمين) ترهيباً قرنه بـ (الرحمن الرحيم) لما تضمن معنى الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة والرغبة))^(١٤٣١)، وفي قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): □ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ

صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ □^(١٤٣٢)، على الرغم من أن الآية تؤدي غرض الدعاء فإنها تحمل في معانيها ((الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن))^(١٤٣٣)، وهكذا يستطيع غرض الترغيب أن يستعين بكثير من الأساليب في اللغة سواء أكانت حقيقية أم مجازية.

الفصل الثاني

المبحث الأول

أسلوب النهي

النهي خلاف الأمر وهو طلب الكف عن الفعل، وعند النحاة هو نفي الأمر، يقول سيبويه: ((إن لا تضرب) نفي لقوله (اضرب))^(١٤٣٤)، ويشترط في النهي كما في الأمر شرط الاستعلاء، وإلا سُمي دُعَاءً أو التماساً.

٢. المرجع نفسه: ١٤٧-٢١٣.

٣. سورة الفاتحة: ١.

٤. الجامع لأحكام القرآن: ١/١٣٩.

٥. سورة الشعراء: ٨٤.

٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٣/١١٣.

١. الكتاب: ١/١٣٦، وينظر: الاصول في النحو: ٢/١٦٣.

وأدوات النهي هي (لا) الناهية فقط، تدخل على الفعل المضارع فتطلب ترك الفعل، وتستعمل مع المخاطب والغائب على السواء، وأكثر ما وردت لا الناهية في القرآن الكريم في نهى المخاطب^(١٤٣٥). والنهي يحمل دلالة الرفض صراحة، فالمتكلم لا يطلب ترك العمل إلا إذا كان رافضاً له سواء كان هذا الرفض شديداً أو ليناً، فالرفض درجات وعليه يكون النهي دالاً أحياناً على التحريم وأحياناً على الكراهة، ويتوقف تحديد ذلك على ما تشير إليه القرينة في الجملة.

٤٦٠. صيغة :

١. الصيغ الصريحة: الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية:

تختص لا الناهية بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه، وتحدد زمنه بالمستقبل، ويكثر دخولها على الفعل المسند للمخاطب، كما في قوله تعالى: وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً (١٤٣٦)، وقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (١٤٣٧).

ودخلت (لا) الناهية على الفعل المسند للغائب، كما في قوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ (١٤٣٨)، وقوله تعالى: لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ (١٤٣٩). وإن قال البعض إن هذا ليس ينهي وإنما هو خبر، لكن ما يدل على إنها نهى لا خبر كسر الذال بعد التقاء الساكنين فقد جزمته لا الناهية^(١٤٤٠). ويمكن لـ (لا) الناهية أن تدخل على الفعل المضارع المسند إلى المتكلم في العربية وإن كان قليلاً إلا إن هذا الاستعمال لم يرد في القرآن الكريم.

٢. الصيغ غير الصريحة:

اكتفى علماء العربية بصيغة (لا تفعل) للدلالة على النهي، إلا إن الأصوليين تحدثوا عن صيغ أخرى حدودها بدلالة ألفاظ معينة على النهي، أو الانتباه إلى القرائن الدالة على النهي في التركيب، وقد بحثوا في هذه الصيغ لدخول غرض النهي في موضوع الأحكام الشرعية، فكل منهي عنه في القرآن الكريم هو إما محرّم أو مكروه أو غير مستحب في الشريعة، وهذه الصيغ هي:

أ. صريح النهي:

ويمكن أن يعبر عن النهي باستعمال فعله الصريح (نهى أو ينهى) وقد جاء هذا الفعل مسنداً إلى لفظ الجلالة، فدلّ على النهي صراحة، كما في قوله تعالى: وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ (١٤٤١)، وقوله تعالى: إِنَّمَا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ (١٤٤٢)، دلالة اللفظ صريحة على طلب ترك الفعل

٢. ينظر: دراسات لاسلوب القرآن الكريم: ٥١٧/٢.

٣. سورة النساء: ٣٦ و سورة الأنعام: ١٥١.

٤. سورة الاسراء: ٣٣.

٥. سورة آل عمران: ٢٨.

٦. سورة الحجرات: ١١.

٧. ينظر: حقائق التأويل: ٧٦.

١. سورة النحل: ٩٠.

٢. سورة الممتحنة: ٩.

أو الزجر عنه، وجاء الفعل من غير إسناد لله تعالى في قوله تعالى: □ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ □ (١٤٤٣)، يقول الراغب الأصفهاني في دلالة (نهى): ((إنه لم يعن أن يقول لنفسه (لا تفعل كذا) بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت إليه وهمت به)) (١٤٤٤).

وهذا يعني أن الفعل (نهى، وينهى، وانتهوا...) يحمل دلالة النهي الصريح فهو يؤدي ما تؤديه الأداة (لا) مع الفعل المضارع.

ب. النهي بصيغة الخبر :

يستطيع الخبر أن يؤدي غرض النهي كما في قوله تعالى: □ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ □ (١٤٤٥)، فهو خبر خرج إلى معنى النهي ولم يؤد الخبر معناه الحقيقي لعدم تحققه في الواقع .
كما نجد دلالة النهي في قوله تعالى: □ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ □ (١٤٤٦)، أي لا تظلموا، وفي قوله تعالى: □ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ □ (١٤٤٧)، أي لا تنفقوا (١٤٤٨)، ويرى الزمخشري أن (النهي) بلفظ الخبر أبلغ من صريح النهي؛ لأنه كأنه سورع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه (١٤٤٩)، وقال كثير من البلاغيين إن من الأسباب الداعية لاستعمال الخبر في موضع الطلب هو ((حمل المخاطب على المذكور أبلغ محل بأطف وجه)) (١٤٥٠).

ج . النهي بلفظة (حرم) :

اغلب الأفعال التي نهت عنها الشريعة فهي محرمة، وما حرمتها الشريعة فهو منهي عنه لذلك نلاحظ تقارباً دلاليّاً بين النهي والتحريم، وإن كان التحريم دالاً على المنع المؤكّد، وقد أشار اللغويون إلى إن معنى (نهى الله) أي حرم (١٤٥١).

قال تعالى: □ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِذَا بُعِثَ الْبَغِيُّ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ □ (١٤٥٢)، يستفاد من الآية الكريمة تحريم ما نصت عليه الآية، فهو بمثابة النهي عن الاقتراب أو اقتراف هذه الأعمال، لأنها من الممنوعات شرعاً.

وكذلك في قوله تعالى: □ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ □ (١٤٥٣)، والحرام ضد الحلال، وقد جاء التحريم في القرآن الكريم بصيغ كثيرة، منها: حرم، حرّمنا، حرّمها، حرّموا،

٣. سورة النازعات: ٤٠.

٤. المفردات: ٨٢٦.

٥. سورة الواقعة: ٧٩.

٦. سورة البقرة: ٢٧٩.

٧. سورة البقرة: ٢٧٢، وسورة البقرة: ٨٣، ٨٤.

٨. ينظر البرهان: ٢ / ٢٩١، ٣٢١.

٩. ينظر الكشاف: ١ / ٢٩٢ - ٢٩٣.

١٠. مفتاح العلوم: ١٥٥، وينظر الايضاح: ١ / ١٤٦ - ١٤٧.

١. ينظر المصباح المنير: ٢ / ١٩٩.

٢. سورة الأعراف: ٣٣.

٣. سورة الانعام: ١٥١.

نحرّم، تحرّموا، يحرّم، يحرّمون، ... وغيرها^(١٤٥٤)، وكلها تحمل دلالة النهي؛ لأنّ ((النهي والتحرّم والمنع - في اللغة - واحدة))^(١٤٥٥).

د . النهي بنفي الحل :

لاشك في أن الحلال هو المباح شرعاً، فإذا نفى الحلّ عن عمل ما تحولّ من الإباحة إلى المنع، أي من القبول عن إتيانه إلى الرفض، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب ليبيّن للناس عدم جواز هذه الأعمال وإن ظنوا قبل ذلك بإجازتها، وتحديد الحلال والحرام من واجبات الشريعة، لذا نجد انفراد التعبير القرآني بهذا الأسلوب، أمّا الناس فلم يهتموا في مثل هذه الحالات أن يستعملوا عبارة (لا يجوز) إذا أرادوا دلالة المنع عن عمل ما.

قال تعالى: وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ^(١٤٥٦)، فالمعنى لا تأخذوا و قال

تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^(١٤٥٧)، وهذه من معتقدات الجاهلية فمنعها الإسلام، والمعنى: لا ترثوا النساء كرهًا؛ لأنّ ذلك ليس مما ترضيه الشريعة، وما لا تسمح به الشريعة فهو ممنوع ومنهي عن الاقتراب منه.

هـ . نفي البر عن الفعل :

أصل البر في اللغة التوسع في الطاعة^(١٤٥٨)، فإذا نفى البر دلّ ذلك على رفض ذلك العمل؛ لأنّ الشريعة صرّحت بأنه عمل خارج عن الطاعة كما في قوله تعالى: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

ظُهُورِهَا وَكَانَ الْبِرُّ مِنْ أَيْتِي وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ^(١٤٥٩)، وهنا نهى عن فعل كان معتاداً في الجاهلية، فجاءت الآية الكريمة لتصحيح المفاهيم التي كانت سائدة فنفت فكرة خاطئة وأثبتت فكرة صحيحة، فنهت عمّا يضرّ ودعت إلى ما ينفع الناس فرادى وجماعات.

وجاء نفي البر في أية أخرى من غير أن يحمل دلالة النهي عن الفعل، وإنما ليبيّن أين تتجلى الطاعة الحقيقية لله تعالى، قال تعالى: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَكُّوهُمْ كُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

وَكَانَ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ ^(١٤٦٠)، فالآية الكريمة لا تنهي الإنسان عن التوجه في صلاته، وإنما تقول له إن الطاعة الحقيقية لله سبحانه يجب أن تتحقق أولاً في إيمان الإنسان أي في قلبه لا في ظاهره عند قيامه للصلاة، فلربّ قائم ليس له من صلاته إلا التعب .

و . النهي بنفي الفعل :

يأتي نفي الفعل أحياناً دالاً على النهي، وذلك عندما يقصد المتكلم إيصال فكرة المنع إلى

٤ . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٩٧ - ١٩٩ .

٥ . ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه: ١ / ٣٦٠ .

٦ . سورة البقرة: ٢٢٩ .

٧ . سورة النساء: ١٩ .

١ . ينظر: المفردات: ٣٩ .

٢ . سورة البقرة: ١٨٩ .

٣ . سورة البقرة: ١٧٧ .

المتلقي، ويستعمل في ذلك (لا) النافية للجنس، كما في قوله تعالى: **فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ** **الظَّالِمِينَ** (١٤٦١)، والمعنى: لا تعتدوا، وقوله تعالى: **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** (١٤٦٢)، فـ (لا) النافية أدت معنى (لا) الناهية؛ لأن الآية الكريمة في صدد بيان حدود الشريعة واستعمال (لا) النافية للجنس أقوى من (لا) الناهية؛ وذلك لأن هذا النفي (على قصد النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقية بأن لا تكون) (١٤٦٣)، وهذا يعني أن الشريعة ترفض هذه الأعمال رفضاً قاطعاً ولا تريد لها أن تحصل فأخبرت عنها وكأنها واقعة فعلاً، والإتيان بصيغة الخبر المراد به النهي مبالغة واضحة (١٤٦٤).

ز . الاستفهام المراد به النهي :

النهي من الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام، وقد ورد هذا في قوله تعالى: **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (١٤٦٥)، والمعنى: لا تخشوهم، وقد جاء ذلك صراحة في قوله تعالى: **فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخْشَوْا اللَّهَ** (١٤٦٦)، قد فسرت الآية الأولى بالثانية فقيل إن (أَتَخْشَوْنَهُمْ) يدل على النهي في قوله تعالى: (فَلَا تَخْشَوْا) (١٤٦٧).

ومثل ذلك جاء في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** (١٤٦٨)، والمعنى: لا تغتر أو لا يغرك (١٤٦٩).

ح . النهي بـ (ما كان وما ينبغي) :

استعمل القرآن الكريم (ما كان وما ينبغي) للدلالة على التحريم والنهي، وقد أشار إلى ذلك القرطبي بقوله: ((ما كان وما ينبغي ونحوهما معناهما الحظر والمنع، فتجيء لحظر الشيء، والحكم بأنه لا يكون)) (١٤٧٠)، كما جاء في قوله تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً** (١٤٧١)، والمعنى: لا يحل له أو لا يجوز له أو عليه أن لا يفعل ذلك .

٤ . سورة البقرة: ١٩٣ .

٥ . سورة البقرة: ١٩٧ .

٦ . أنوار التنزيل: ١ / ١١١ .

٧ . صفوة التفاسير: ١ / ١٣١ .

١ . سورة التوبة: ١٣ .

٢ . سورة المائدة: ٤٤ .

٣ . ينظر: البرهان: ٢ / ٣٥٢، الاتقان: ٢ / ١٧٤ .

٤ . سورة الانفطار: ٦ .

٥ . ينظر: الاتقان: ٢ / ١٧٤ .

٦ . الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ١٢١ .

٧ . سورة النساء: ٩٢ .

و(ما كان) في القرآن الكريم مرّة تدل على النفي كما في قوله تعالى: □ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا □ (١٤٧٢)، أي ليس في مقدوركم ذلك الأمر، ومرّة تدل على النهي كما في قوله تعالى: □ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ □ (١٤٧٣)، أي ليس لهم رخصة في هذا العمل فالمعنى: (لا تستغفروا للمشركين) والفارق بين المعنيين تدل عليه القرائن في الجملة، فالآية الأولى دلت على النفي بسبب ((امتناع ذلك الشيء عقلاً)) (١٤٧٤)، وهو (أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) والآية الثانية دلت على النهي؛ لأنَّ (ما كان) أدت معنى (لا ينبغي أو لا يصح أو لا يليق)، فهي تتضمن طلب ترك الفعل؛ لأنَّ الشريعة لا تجيزه .
وتؤدي (ما ينبغي) دلالة النهي أكثر صراحة من (ما كان)، وهي توضح عدم جواز الفعل؛ لأنَّه من الممنوعات، جاء هذا في قوله تعالى: □ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ □ (١٤٧٥)، (وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) أي لا يجوز لهم، فليس عندهم رخصة في القيام بمثل هذا العمل ((وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه، وتأبيده لكتابه ولرسوله)) (١٤٧٦).

ط . النهي بصيغة الأمر الدال على طلب الامتناع عن الفعل :

لقد أفاد الفقهاء من دلالة بعض أفعال الأمر على النهي، لما تتضمنه من طلب ترك الفعل، فاستنبطوا منها أحكام النهي مثل: (اجتنب، ذر، كف، انته، ونحوهما) (١٤٧٧)، فهي تحمل دلالة الرفض عند المتكلم، إلا أنه ليس رفضاً شديداً؛ لأنَّه قد يقصد به النصيح والإرشاد؛ لذلك قال عنها الأصوليون إنها أضعف من النواهي الصريحة ((لأنَّ رتبة الصريح ليست كرتبة الضمني في الاعتبار أصلاً)) (١٤٧٨).

وأقوى هذه الأفعال دلالة على النهي الفعل (اجتنب) الذي جاء في قوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَنْزِلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ □ (١٤٧٩)، فالآية الكريمة لم تقل (اتركوه) أو (ذروه) أو غيرهما من الأوامر التي تطلب الابتعاد عن هذه المحرمات وإنما قالت (اجْتَنِبُوهُ) أي ((كونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات لتفوزوا بالثواب العظيم)) (١٤٨٠)، وفي هذا الفعل دلالة قوية على النهي أكثر من غيره؛ لأنَّ ألفاظ

٨. سورة النمل: ٦٠.

٩. سورة التوبة: ١١٣.

١٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ١٢١.

١. سورة الشعراء: ٢١٠ - ٢١١.

٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣ / ٣٤٩.

٣. ارشاد الفحول، الشوكاني: ١٠٩.

٤. الموافقات في اصول الشريعة: ٣ / ١٥٦.

٥. سورة المائدة: ٩٠.

٦. صفوة التفاسير: ١ / ٣٦٣.

الاجتناب ((في نطاقها الأدائي فوق ألفاظ الحظر والتحريم والمنع وغيرها من الألفاظ التي تدور في ذلك هذه المعاني))^(١٤٨١).

ومما يؤدي دلالة النفي فعل الأمر (ذر) في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١٤٨٢)، قال عنها الفقهاء: ((هذه هي صيغة الأمر الدالة على طلب الامتناع عن الفعل))^(١٤٨٣)، وجاءت كذلك في قوله تعالى: وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِسْمِ وَبَاطِنَهُ ^(١٤٨٤)، فالآية الكريمة تنهى عن اقتراف الآثام ظاهرها وباطنها، أي ما قامت به الجوارح أو القلوب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى^(١٤٨٥).

والفعل (كف) بصيغة الأمر يدل على النهي، كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ^(١٤٨٦)، فسر ذلك بمعنى (لا تقاتلوا). وقريب من ذلك دلالة الفعل (انته)، فهو يتضمن طلباً للتوقف عن عمل ما، كما في قوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ^(١٤٨٧)، أي لا تستمروا في هذا العمل. نلاحظ مما تقدم أن طلب ترك الفعل أو ترك الاستمرار فيه يحمل دلالة النهي عن الفعل، وهو يجسد رفض المتكلم عن طريق فعل الأمر.

ي . النهي بأسلوب التهديد والوعيد :

لاشك في أن التهديد والوعيد من الأساليب المؤثرة في النفوس والدافعة إلى اجتناب الفعل الذي قام التهديد والوعيد عليه، وقد استعمله القرآن الكريم كثيراً لتعريف الناس عاقبة الأعمال السيئة في الدنيا وفي الآخرة، وكثيراً ما جاء ذكر نار جهنم جزاء للأعمال التي تنهى عنها الشريعة فكل عمل ترتب عليه تهديد ووعيد فهو منهي عنه^(١٤٨٨)، فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ^(١٤٨٩).

ك . نفي حب الله تعالى للفعل :

استعمل القرآن الكريم عبارة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ) لدلالة على النهي، فإذا كان العمل مما لا يحبه البارئ عز وجل كان حرياً بالمؤمن الانتهاء عنه، فهو نهى للمؤمنين الذين يبتغون رضاه

٧ . ألفاظ الاجتناب في القرآن الكريم، الشيخ جلال الحنفي، مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد، العدد: ٢٩ - ٣٠، ١٩٧٠، ص ٥٥.
٨ . سورة البقرة: ٢٧٨.
١ . أصول الفقه الاسلامي: ٣٩٨.
٢ . سورة الانعام: ١٢٠.
٣ . الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٧٤.
٤ . سورة النساء: ٧٧.
٥ . سورة النساء: ١٧١.
٦ . ينظر: مبحث (اسلوب الترهيب) من هذا الفصل.
٧ . سورة البقرة: ٢٤٩.

سبحانه وقربه، نجد ذلك في قوله تعالى: □ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ □ (١٤٩٠)، أي لا تعتدوا،

وقوله: □ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا □ (١٤٩١)، أي لا تكن خواناً أثيماً، كما نفى الحبَّ الإلهي عن الكافرين (١٤٩٢) والظالمين (١٤٩٣) والمفسدين (١٤٩٤) والمسرفين (١٤٩٥) والخائنين (١٤٩٦) والمستكبرين (١٤٩٧) والفرحين (١٤٩٨)، وقد استنبط الفقهاء من هذا الأسلوب بعض الأحكام فقالوا: ((ما لا يحبه الله فهو منهي عنه، وهذا ما يسمى بالبغض والكرهية أو عدم الحب في النواهي)) (١٤٩٩).

ل . النهي بأسلوب ذم الفعل :

لقد ذم القرآن الكريم مجموعة من الأفعال ليعبر عن رفضه لها، وليطلب بذلك من الناس اجتنابها، فهو نهى بطريق غير مباشر، وقد عدَّ الفقهاء وصف الفعل بأنه (فسق) أو (رجس) من مواطن التحريم في الشريعة الإسلامية (١٥٠٠).

مما تقدم يتبين لنا أن أسلوب النهي لا ينحصر بصيغة معينة، لأن هنالك الكثير من الطرائق الأسلوبية يُستفاد منها معنى النهي، وإذا كانت اللغة العربية مشهورة بسعتها في التعبير، فإن للقرآن الكريم أساليب تعبيرية موحية تشع بأنواع الدلالات، وأسلوب النهي من الأساليب التي حظيت باهتمام الفقهاء لما له من تأثير في استنباط الأحكام الشرعية لاسيما فيما يتعلق بالمحرم والمكروه من الأفعال، لذا نجدهم تعمقوا في البحث عن أساليبه في القرآن الكريم وفي السنة أكثر من النحاة والبلاغيين .

دلالته :

يؤدي أسلوب النهي دلالات حقيقية وأخرى مجازية، وهو في كل ذلك يصدر عن رفض للعمل المنهي عنه، والمعاني التي يخرج إليها هي: ١. التحريم (١٥٠١):

يؤدي النهي معنى التحريم في القرآن الكريم عندما يعبر عن المنع المطلق والرفض التام للفعل، ويسمى في الشريعة حينئذ محرماً أو ذنباً أو معصية أو غيرها، ويؤدي التركيب دلالاته الوظيفية بإيصال هذا المعنى للمتلقى بمساعدة القرائن اللفظية والعقلية التي يحتويها السياق.

قال الله تعالى: □ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا □ (١٥٠٢)، فالقرائن اللفظية ذم الفعل بعد النهي عنه بأوصاف سيئة مع التأكيد على ذلك الذم في (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) وفي هذا دلالة على التحريم ثم قوله (وَسَاءَ سَبِيلًا) أي عاقبته سيئة، وبهذا يتعاون النهي مع الذم مع بيان العاقبة في

٨. سورة البقرة: ١٩٠.

٩. سورة البقرة: ١٠٧.

١. سورة آل عمران: ٣٢.

٢. سورة آل عمران: ٥٧.

٣. سورة المائدة: ٦٤.

٤. سورة الأنعام: ١٤١.

٥. سورة الأنفال: ٥٨.

٦. سورة النحل: ٢٣.

٧. سورة القصص: ٧٦.

٨. الموافقات: ٣ / ١٥٥.

٩. ينظر مبحث أسلوب الذم من هذا الفصل.

١٠. ينظر الأحكام للآمدني: ٢ / ١٧٤، الإبهاج في شرح المنهاج: ٢ / ٦٧.

١. سورة الإسراء: ٣٢.

إبصال معنى التحريم المؤكد لهذا الفعل .

وقال تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (١٥٠٣)، والآية الكريمة تصرّح بالتحريم بعد النهي في لفظة (حَرَّمَ) .

والتحريم من المعاني الحقيقية للنهي^(١٥٠٤)، وهو خاص بالشريعة يعبر عن أشد أنواع الرفض، فكل ما حرّمته الشريعة وجب على المسلم الانتهاء عنه، وإذا قلت درجة الرفض انتقل المعنى من التحريم إلى الكراهية، وقد أكد السيوطي أن صيغة النهي موضوعة أصلاً للتحريم، وترد مجازاً للكراهية^(١٥٠٥)، يقول الأوسى ((والصحيح في صيغة (النهي) أنها موضوعة لطلب الكف عن الفعل، ولا يتعين فيها (التحريم) أو (الكراهية) إلا مع وجود قرينة تدل على ذلك))^(١٥٠٦).
٢. الكراهية^(١٥٠٧).

الأعمال المكروهة كالمحرمة مرفوضة أيضاً مع اختلاف درجة الرفض، إلا أن النهي فيها ليس على درجة الإلزام، أي أن إتيانها لا يترتب عليه عقوبة كما في المحرم، ويعمل السياق بمساعدة القرانين بالتفريق بين معاني التحريم والكراهية؛ لأن كليهما من المعاني الحقيقية للنهي.
قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ (١٥٠٨)، فمن حرّمها على نفسه لم يستوجب العقوبة، وكذلك في قوله تعالى: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا (١٥٠٩).
٣. الإرشاد^(١٥١٠).

وهو تقديم النصح والإرشاد للمتلقى من خلال نهيه عن عمل فيه إضرار به، فهو يبين رفضه لهذا العمل عن طريق نصح المقابل بالابتعاد عن هذا العمل، إما لعدم تحصيل الفائدة منه أو لترتب مضرة عليه، واستعمال المتكلم لأسلوب النهي ((لبيان رغبته وحرصه على أن يمثل المخاطب ويستجيب لنصحه وإرشاده))^(١٥١١).

قال تعالى: وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ (١٥١٢)، فالآية الكريمة تقدّم للمسلمين ما فيه الرشاد.

٤. الدعاء :

هو من المعاني المجازية للنهي؛ لأنه يفقد شرط الاستعلاء، فهو يصدر من الأدنى إلى

٢. سورة الإسراء: ٣٣.

٣. ينظر كشف الأسرار: ١ / ٢٥٦.

٤. ينظر الاتقان: ٢ / ٨٣، ومعترك الاقران: ١ / ٤٤٣.

٥. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٦٩.

٦. ينظر عروس الأفراح: ٢ / ٣٢٥.

٧. سورة المائدة: ٨٧.

٨. سورة الإسراء: ٣٧.

٩. ينظر عروس الأفراح: ٢ / ٣٢٧، وعلم المعاني، د. بسيوني: ٣٠١.

١٠. علم المعاني، د. بسيوني: ٣٠١.

١. سورة البقرة: ٢٨٢.

الأعلى، وقد كثر استعماله في القرآن الكريم^(١٥١٣)، كما في قوله تعالى: **مَرَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا** **□** ^(١٥١٤)، ويتجلى الرفض النفسي للأمر التي يبتهل إلى الله تعالى في إبعادها عنه .

ومن الجدير بالملاحظة أن الدعاء الذي ورد في القرآن الكريم يتجلى فيه الرفض الإلهي أيضاً، فهو سبحانه يعلم عباده أن يطلبوا الابتعاد عما لا يرتضيه لهم، لأن الدعاء القرآني أحد أساليب التربية ليتعلم المؤمن من خلاله ما ينفعه وما يضره .
٥. التهديد والوعيد :

كقول السيد لخادمه (لا تمتثلُ أمري)^(١٥١٥) ويقصد بذلك: إن لم تمتثلُ أمري سأُنزل بك عقوبة، وقد ورد هذا الاستعمال في قوله تعالى: **□** **وَكَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** **□** ^(١٥١٦)، فالنهي عن الاعتذار ليس حقيقياً، وإنما جيء به للتهديد والتحذير ومما يؤيد هذا المعنى قوله: (كفرتُم بعدَ إيمانِكُم) فأصبحتم مستحقين للتهديد والوعيد.

وفي قوله تعالى: **□** **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** **□** ^(١٥١٧)، والمعنى: أيها الظالمون لا تحسبنَّ الله غافلاً عما تعملون؛ لأنه سبحانه سيحاسبكم بذنوبكم.

٦. التحقير والإهانة:

والتحقير بأسلوب النهي يأتي للأمر المنهي عنه، والإهانة توجه للمخاطب عادةً، فمثال التحقير قوله تعالى: **□** **وَكَأ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَسَّعْنَا بِهِ أَنْزِلُهَا مِن هَمَزٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** **□** ^(١٥١٨)، فهو احتقار للدنيا^(١٥١٩)، ومثال الإهانة قوله تعالى: **□** **قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون** **□** ^(١٥٢٠)، فالإهانة للمتكلمين الذين تمنوا الخروج من جهنم بقولهم: **□** **مَرَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ** **□** ^(١٥٢١).
ومنه قول الحطينة^(١٥٢٢) في هجاء الزبيرقان بن بدر^(١٥٢٣):

٢. ينظر: دراسات لاسلوب القرآن الكريم: ٥١٧/٢ - ٥١٩.

٣. سورة البقرة: ٢٨٦.

٤. ينظر: مفتاح العلوم: ١٥٢ - ١٥٣، الإيضاح: ١٤٥/١، عروس الأفراح - شروح التلخيص: ٣٢٥/٢ - ٣٢٧.

٥. سورة التوبة: ٦٥ - ٦٦.

٦. سورة ابراهيم: ٤٢.

٧. سورة طه: ١٣١.

١. ينظر: عروس الأفراح - شروح التلخيص: ٣٢٥/٢ - ٣٢٧، الاتقان: ٨٢/٢، معترك الاقران: ٤٤٣/١ - ٤٤٤.

٢. سورة المؤمنون: ١٠٨.

٣. سورة المؤمنون: ١٠٧.

٤. هو جرؤل بن أوس بن مالك شاعر مخضرم عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام كان هجاء توفي عام ٤٥ هـ، ينظر: طبقات

فحول الشعراء: ١٩٩، الأعلام: ١١٨/٢.

دغ المكارم لا ترحل لبُعَيْتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي
فالمراد بالنهاي (لا ترحل) إهانة للمخاطب وتحقيراً له بأنه ليس أهلاً لطلب المكارم.
٧. التبييس:

هو استعمال النهي لغرض إدخال اليأس إلى قلب المخاطب كقولنا: (لا تَقْمُ بهذا العمل فلا جدوى منه)، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (١٥٢٤)، والمقصود أنه لن يُقبل منكم؛ لأنَّ العدل الإلهي اقتضى أن (تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فانهي جاء ((لإدخال اليأس إلى قلوب الكفار لا نهيه عن الاعتذار)) (١٥٢٥).

ومنه قول المتنبي في مدح سيف الدولة (١٥٢٦):
لا تطلبنَّ كريماً بعدَ رؤيته إنَّ الكرامَ بأسخاهم يداً خُتُّوا

٨. الالتماس:

وهو نهى المتكلم للمخاطب المتساوي له في الرتبة، لا على سبيل الاستعلاء كما في قوله تعالى: **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَكَأَبْرَأْسِي** (١٥٢٧)، فالمتكلم يرفض هذا العمل ويطلب التوقف عنه

على سبيل الرجاء وكذلك في قوله تعالى على لسانه (عليه السلام): **فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (١٥٢٨).

٩. التحذير:

يراد به تحذير المخاطب من حال معينة، كما في قوله تعالى: **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (١٥٢٩)، النهي هنا يحمل دلالة الفعل (احذروا)؛ لأنَّ ((لفظ النهي في الظواهر واقع على الموت، والمعنى واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام، أي دوموا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على هذه الحالة، وإنما جاز هذا؛ لأنه لا لبس في الكلام، إذ كان معلوماً أنهم لا ينهون عمّا ليس من فعلهم، وإنما يتوجه النهي إلى المعنى الذي هو في مقدورهم)) (١٥٣٠).

١٠. التهيج والإلهاب:

أضاف هذا المعنى إلى المعاني المجازية التي يخرج إليها النهي الزمخشري في تفسيره لقوله

٥. الزبرقان بن بدر من أعيان بني تميم ومن الوجهاء في الجاهلية والإسلام توفي عام ٤٥ هـ، ينظر: الإصابة: ٥٤٣/١، الأعلام: ٧٢/٣.

٦. سورة التحريم: ٧.

٧. إرشاد الفحول: ١١٠، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٧/١٨.

٨. شرح ديوان المتنبي: ١٤٢/٤.

٩. سورة طه: ٩٤.

١٠. سورة الأعراف: ١٥٠.

١. سورة آل عمران: ١٠٢.

٢. حقائق التأويل: ٢٠٥-٢٠٦.

تعالى: □ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَشْرِبِينَ □ (١٥٣١)، وقوله: □ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ □ (١٥٣٢)،
 وقوله: □ فَلَا تَطْعَمُوا الْمُكْذِبِينَ □ (١٥٣٣)، قال الزمخشري: ((إنَّ هذا تهديدٌ وإلهابٌ للتصميم على
 معاصاتهم، وكانوا قد أرادوه على هذا أن يعبد الله مدَّةً وآلتهم مدَّةً ويكفُّوا عنه غوائلهم)) (١٥٣٤).
 ١١. التسلية:

كما في قوله تعالى: □ فَلَا تَكُفُّوا فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَبْدُؤُا هَؤُلَاءِ □ (١٥٣٥)، أي لا تشك في سوء عاقبة
 عبادتهم، تسلية لرسول الله (2) (١٥٣٦)، وكذلك في قوله تعالى: □ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
 الظَّالِمُونَ □ (١٥٣٧).

١٢. التأديب:

القرآن الكريم مدرسة أخلاقية بكل أبعادها، تربي الإنسان على الخلق العظيم، فمن بين
 الوظائف التي تؤديها الآيات القرآنية التأديب، ويمكن أن يعمل بكل أساليب العربية، وأسلوب
 النهي من بين الأساليب التي تؤدي غرض التأديب.

قال تعالى: □ وَكَأ تَقُولُنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا □ (١٥٣٨)، يقول الزمخشري: (هذا نهْيٌ تأديب من
 الله لنبيه) (١٥٣٩) والحقيقة أنه تأديب لنا وان كان الخطاب لنبينا (2)، فالآية ((تعم جميع أمته
 لأنه حكم يتردد في الناس لكثرة وقوعه)) (١٥٤٠).

١٣. تصحيح المفاهيم:

ونضيف إلى الأغراض المجازية التي يخرج إليها النهي غرض تصحيح المفاهيم، وهو نهْي
 عن الاعتقاد والظن الخاطئ فتكون غايته تصحيح ذلك الاعتقاد، عندما تدخل (لا) الناهية على
 أفعال القلوب مثل: (ظنَّ، حسبَّ، اعتقد، ... وغيرها)، وقد جاء في قوله تعالى: □ وَلَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ □ (١٥٤١)، وقد أدرجت الكتب البلاغية هذه الآية
 وأشباهاها تحت غرض (بيان العاقبة).

يتبين مما تقدم أن أسلوب النهي بكل معانيه الحقيقية والمجازية يحمل معنى الرفض؛ لأن
 المتكلم في كل الأغراض يطلب عدم القيام بالفعل سواء أكان مُهدداً أم مُحذراً أم مُرشداً أم مُؤدباً

٣. سورة الأنعام: ١١٤.

٤. سورة الأنعام: ١٤.

٥. سورة القلم: ٨.

٦. الكشاف: ١٤٢/٤، وينظر: ٤٦/٢، ٩٦/٣، ١٩٤.

٧. سورة هود: ١٠٩.

٨. ينظر الكشاف: ٢/٢٩٤.

٩. سورة ابراهيم: ٤٢.

١. سورة الكهف: ٢٣.

٢. الكشاف: ٢/٤٨٠.

٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٣٨٦.

٤. سورة آل عمران: ١٦٩.

أم غيره، ويتحمل السياق مسؤولية تحديد درجة الرفض، كما يعمل على توجيه النهي إلى المعنى الذي يقصده المتكلم.

المبحث الثاني

غرض الترهيب

الترهيب في اللغة مصدر من (رَهَبَ) بالكسر يرهبُ رهبةً ورُهْباً أو رَهَباً، أي خاف، والرَّهْبَةُ هي الخوف والفرع^(١٥٤٢).

والترهيب في الاصطلاح هو ((النهي عن فعل الشيء المرهب منه، بإظهار مساوئه وأضراره، عن طريق الأساليب البلاغية التي تجسد هذا الشيء، راسمة له صورةً مخيفة في مخيلة المتلقي، لها أثرٌ نفسي ينقره عن ذلك الشيء))^(١٥٤٣).

والترهيب من أساليب التعبير عن رفض نفسي كبير في نفس المتكلم فهو يُخَوِّف السامع من شيء ما، ويريد بذلك إيجاد حالة الرفض في نفس السامع من خلال نهيه عن الاقتراب من هذا الشيء، وبطريقة الترهيب يُصرِّح المتكلم عن رفضه ويعمل في الوقت نفسه على التأثير في المتلقي لغرض الابتعاد عن المرهب منه.

ومثلما لم يتقيد أسلوب الترغيب بأدوات معينة، كذلك أسلوب الترهيب، فيمكن التعبير عنه بوسائل مختلفة، وهو أيضاً يستعين بأساليب اللغة ويوظف الجمل الخبرية والإنشائية للوصول إلى الهدف.

١. الجملة الخبرية:

أ. الخبر الحقيقي:

يُخبرنا القرآن الكريم عن مسائل لا تُرضي الله سبحانه، فالعقائد السيئة كالكفر والشرك، والأعمال السيئة كالمحرمات، والأشخاص السيئين كالمنافقين والكفار، كلها أمور ذُكرت في القرآن الكريم في باب الترهيب لأنها تسبب في الغضب الإلهي، الذي يقود البشر إلى سوء العاقبة وفي النهاية إلى العقاب الأخروي في النار، لذلك كانت جهنم وعذابها من أبرز المرهبات في

القرآن الكريم، قال تعالى: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُونَ**

النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ، **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ غَيْرَ نَصِيرًا** ^(١٥٤٤)،

وهنا إخبار عن صفات المنافقين التي لا تُرضي الله سبحانه، فهم وأعمالهم مرفوضون، وهذا سيؤدي بهم إلى سوء المصير، فالآية الكريمة تُخبرنا أيضاً بعاقبتهم المخيفة وهي (الدرك الأسفل

١. ينظر العين (رهب): ٤٧/٤، مقاييس اللغة: ٤٤٧/٢، أساس البلاغة: ٣٨٥/١، لسان العرب: ٤٢١/١.

٢. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم: ٤.

٣. سورة النساء: ١٤٢، ١٤٥.

من النار) وتزداد الصورة تخويفاً بقوله تعالى: (وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً).

كما جاءت الأخبار القرآنية عن عاقبة الكفر والكافرين تخويفاً للبشر لنلا ينزلقوا في هذه الطريق، قال تعالى: □ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** * كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُمْ وَسُغُوبُكُمْ وَأَنْتُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ □ (١٥٤:٥)، فهذه الأخبار تمثل تهديداً لكل من كفر وكذب بآيات الله، والتهديد يتجلى في الأخبار الآتية (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) وفي (وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) وفي (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وفي (سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ) كل هذه الأخبار ترهيب من الكفر والإشراك بالله سبحانه والتكذيب بآيات الله.

ب. الخبر المجازي:

يعمل الخبر المجازي على رسم صورة مخيفة تعمل على الترهيب من شيء ما، ويعمد الخبر في ذلك إلى الأغراض الآتية:

أولاً: **الوعد**: من المعروف أن أصل الوعد يكون في الأمور الحسنة، تقول العرب: (وعدت الرجل وعداً حسناً من مال وغيره) (١٥٤:٦)، ويمكن استعماله لغير ذلك مجازاً فيقع الوعد في أمور سيئة فيخرج إلى غرض الترهيب لأنه من وعد سوءاً فقد هُدد لأن الأمور السيئة مما يخشاه المرء في حياته، نلاحظ ذلك في القرآن الكريم من خلال وعد الله سبحانه للمنافقين والكفار والمشركين استهزاءً بهم، قال تعالى: □ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ**

فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ □ (١٥٤:٧)، فالآية الكريمة تحمل خبراً مخيفاً لفئات من البشر قاموا بأعمال مرفوضة شرعياً فاستوجبوا تهديداً سماوياً يطرق أسماع الخلاق لكي يحذروا من الوقوع في ساحة الرفض الإلهي لأن ذلك سيؤدي إلى (نَارِ جَهَنَّمَ) التي سيكونون (خَالِدِينَ فِيهَا) وليس هذا فحسب، فقد طردوا من الرحمة الإلهية من خلال (وَلَعْنَةُ اللَّهِ) فصار (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) كل هذه الأخبار التي حملها الوعد الإلهي تجسد صوراً مخيفة تؤثر في النفوس لتحفيزها لكي تبتعد بكل ما تستطيع من قوة عن مواطن الغضب الإلهي، والوعد هنا بمعنى الوعيد، وجاء بلفظ (وعد) من باب السخرية والاستهزاء.

ثانياً: **الوعيد**: يؤدي الوعيد معنى التهديد والترهيب دائماً، لأنه يُخبر عن أمر سيء سيحل، وقد

جاء الوعيد في القرآن الكريم بالعقاب الأخروي كثيراً، قال تعالى: □ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَاراً كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْكِهِمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لَيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً**

١. سورة النساء: ١٤٢، ١٤٥.
٢. سورة النساء: ١٤٢، ١٤٥.
٣. سورة النساء: ١٤٢، ١٤٥.

حَكِيمًا □ (١٥٤٨)، يتجلى الوعيد في الآية الكريمة في قوله تعالى: (سَوْفَ نُضَلِّهِمْ نَأْمَرًا) وهنا يتحقق التخويف، وتزداد الصورة رُعباً عندما تُخبرنا الآية باستمرار الآلام المترتبة على الدخول في النار في قوله تعالى: □ كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهَا جُلُودًا غَيْرَهَا □، كل هذا الترهيب من أجل رسم الحدود بين ما يُرضي الله سبحانه وما يُسخطه عز وجل، فأسلوب الوعيد يُعلم الخلائق نتائج الأعمال المرفوضة لكي يكون رادعاً لهم وحاجزاً نفسياً بينهم وبين تلك الأعمال .

وإذا كان في جهنم العذاب الجسدي، ففي الحرمان من الجنة يتجسد العذاب النفسي، وهذا الحرمان كان من الوعيد القرآني نجده في قوله تعالى: □ إِنْ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشُ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ □ (١٥٤٩)، نلاحظ في الآيتين الكريمتين تهديداً بالعذابين النفسي والجسدي، ولا يتحقق ذلك إل نتيجة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها، فالله سبحانه وتعالى لا يُنزل العقوبة بأحد إلا إذا كان مستحقاً لها لأنه سبحانه هو العدل، فاخبرنا سبحانه بما سيكون جزاء الظالمين (ليؤذن أن الأجرام هو السبب الموصل إلى العقاب، وأن كل من أجرم عوقب) (١٥٥٠).

من هذا نرى أن الترهيب بواسطة الوعيد من الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في سبيل بناء النفوس بناءً قوياً، من خلال استعمال التأثير النفسي للصور المخيفة ليشكل ذلك جداراً بين الإنسان وبين كل ما يستوجب العقاب الإلهي لأن ذكر الفعل مقرونًا بوعيد (يلقي في النفوس شعوراً بالخوف والجزاء الذي ينتظر المخالفين) (١٥٥١).

ثالثاً: التحذير: لقد تضمن القرآن الكريم مجموعة كبيرة من الأوامر والنواهي، ولم تأتي بأسلوب الأمر وأسلوب النهي فقط، وإنما جاءت بطرق مختلفة من بين هذه الطرق كان أسلوب التحذير، فهو يُعبر عن أمور منهي عنها لأن الشريعة ترفضها، وسبب الرفض لأنها ذات تأثير سلبي على الفرد وعلى المجتمع، فجاءت الأخبار القرآنية بالتحذير من أنواع من السلوك، ولا شك في أن التحذير الذي يصدر عن الخالق العظيم لا بد أن يحمل معنى الترهيب؛ لأن اجتناب الأفعال التي حُذر منها بات واجباً وضرورة، فمن لم يحذر لها يُعرض نفسه للمحاسبة والعقوبة.

وقد استعمل القرآن الكريم عبارة (إن الله لا يحب) للتعبير عن معنى التحذير من بعض

١. سورة النساء: ٥٦.

٢. سورة الاعراف: ٤٠ - ٤١.

٣. الكشاف: ٢ / ١٠٤.

٤. الإباحة والمنع في القرآن الكريم: ٢٧٧ - ٢٧٨.

الأفعال التي يمارسها الكثيرون، قال تعالى: □ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** □ (١٥٥٢)، وفي ذلك

نهى وتحذير من الاعتداء، وفي قوله تعالى: □ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**

□ (١٥٥٣)، فالآية الكريمة تحذر من هذا السلوك لأنه من الأعمال التي لا يحبها البارئ عز وجل لما تحمله من الأضرار في نفس الإنسان وفي العلاقات الاجتماعية، وقد نفى القرآن الكريم حب الله تعالى عن ... **مَنْ كُنَّ حَوَانًا مَثِيمًا** (١٥٥٤)، الكافرين (١٥٥٥)، الظالمين (١٥٥٦)، المفسدين (١٥٥٧)، المسرفين (١٥٥٨)، الخائنين (١٥٥٩)، المستكبرين (١٥٦٠)، الفرحين (١٥٦١)، ... وفي كل ذلك دلالات على النهي عن هذه الأعمال أو الخصال من خلال الإخبار عن نفي الرضى الإلهي عن هذه الأمور، لأن الإنسان إذا علم بأن الله سبحانه لا يحب عملاً ما توجب عليه الابتعاد عن هذا العمل لأنه يسعى في حياته لتحصيل رضى الله سبحانه عنه.

رابعاً: **التعظيم**: يؤدي الخبر في مجالاته المجازية معنى التعظيم، فإذا كان غرض المتكلم ترهيب السامع فإنه يعمل على تهويل الأمور لغرض التأثير في النفوس فيعمل ذلك على إيجاد حالة من الخوف، أي أنه يعمل على تخويف السامع من الأمور المرهب منها، فإذا استعمل القرآن الكريم الجملة الخبرية لأداء معنى التعظيم في غرض الترهيب فإنه يعمل على تنفير النفوس من خلال إظهار ذلك العمل بصورة غير محببة لدى البشر، والغاية من ذلك كله هي نصح الخلائق لاجتناب تلك الأشياء أو الأعمال والانصراف عنها.

قال تعالى: □ **إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ**

الْحَبِيمِ □ (١٥٦٢)، تُخبرنا الآية الكريمة أن شجرة الزقوم ستكون طعاماً للآثمين، وترسم الآية صوراً مرعبة عن هذه الشجرة، وهي صور تنفر منها النفوس، فذلك تخويف من تلك

العاقبة السيئة، وأضاف القرآن الكريم صوراً آخر عنها في موضع آخر في قوله تعالى:

□ **أَذْكَى حَيْثُ نَزَلَتْ أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا**

كَأَنَّهُ مَرْوُوسُ الشَّيَاطِينِ □ (١٥٦٣)، كل هذا الوصف المرعب يؤدي إلى الترهيب من شجرة

الزقوم ومن الأعمال الموصلة إليها.

١. سورة البقرة: ١٩٠.

٢. سورة النساء: ٣٦.

٣. سورة النساء: ١٠٧.

٤. سورة آل عمران: ٣١.

٥. سورة آل عمران: ٥٧.

٦. سورة المائدة: ٦٤.

٧. سورة الأنعام: ١٤١.

٨. سورة الأنفال: ٥٨.

٩. سورة النحل: ٢٣.

١٠. سورة القصص: ٧٦.

١. سورة الدخان: ٤٣ - ٤٦.

٢. سورة الصافات: ٦٢ - ٦٥.

وفي قوله تعالى: □ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُونَ مِنْ أَذْبُرٍ وَتَوَكَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى □ (١٥٦٤)،

تصف الآية الكريمة جهنم بصورة مخيفة، تعظيماً لخطرها، فإنها شديدة اللهب إلى الدرجة التي تنزع جلدة الرؤوس، كما إنها تدعو المستحقين للعقاب لأنها موجودة بسببهم ولهم، إن هذه الأوصاف الدقيقة والمتوالية تهول خطر ذلك العقاب المخيف لغرض إيجاد حالة الرهبة من جهنم في النفوس، فإذا حصل ذلك اجتهد الإنسان في مجانبتها عن طريق اجتناب النواهي الإلهية .

خامساً: الاتعاظ بالأمم السالفة: لقد أخبرنا القرآن الكريم بمجموعة من قصص الأمم السالفة، وأراد منا أخذ العبرة والعظة، وقد أخبرتنا القصص القرآنية أن الله عز وجل أنزل عذابه بكل من خالف أوامره وكذب بآياته، وجاءت هذه الأخبار ترهيباً لكل مسلم لعله يتعظ فيتجنب موجبات السخط الإلهي قال تعالى: □ وَكَذَّبْتُمْ الَّذِينَ أَغْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

فَرْدَةً حَاسِنِينَ * فَجَعَلْنَا مَا نَكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ □ (١٥٦٥)، تُخبرنا الآيات الكريمة عاقبة الذين اعتدوا في السبت فحلَّ عليهم الغضب الإلهي لأنهم خالفوا أوامر الله سبحانه، وفي بيان عاقبة المخالفين من الأمم السالفة ترهيب من أية مخالفة، ودعوة إلى مخافة الله سبحانه وهذا ما أكدته قوله تعالى في ذيل الآية □ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ □ أي أن هذه

القصة ومثيلاتها تكون موعظة لكل من، اتخذ التقوى منهجاً لحياته. وهكذا تمضي القصص القرآنية في إعطاء الدروس والعبر لكل متعظ، فتجسد لنا مشاهد حقيقية لأقوام أطاعت وأخرى عصت تعاليم السماء، فتبين لنا عاقبة كل منهم، وفي صور العاصين وما آلت إليه نهاياتهم ترهب وتخويف من أجل أخذ العبرة والعظة من هذه القصص، قال تعالى: □ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

□ (١٥٦٦)، فالآية الكريمة تشرح لنا نهايات العاصين أو المذنبين، وهي نهايات سيئة ومخيفة في الوقت نفسه إلا إنها عادلة لأنها نتيجة طبيعية لأعمالهم التي لم تُرضي الله سبحانه، فهم الذين ظلموا أنفسهم من خلال ارتكابهم المعاصي والمحرمات، فاستحقوا بذلك العقاب، وفي كل ذلك ترهيب للإنسان إذا ما استوعب العبرة التي يجب أن يكون واعياً لها ((وليس من شك في أن نتيجة العرض القصصي لأمثال هذه المواقف يلقي في النفس الخشية والرهبة ويبث فيها الخوف عندما تحس أن النتيجة هي العقاب وليس من نتيجة للخوف سوى الهرب والابتعاد عن مصدر العقاب وعند ذلك تكون النفرة وتكون الكراهية)) (١٥٦٧).

٢ . الجملة الإنشائية:

- ٣ . سورة المعارج: ١٥ - ١٨ .
- ٤ . سورة البقرة: ٦٥ - ٦٦ .
- ١ . سورة العنكبوت: ٤٠ .
- ٢ . الفن القصصي في القرآن الكريم: ٢٣٩ .

أولاً: الأمر: إذا كان الأمر حقيقياً دلَّ ذلك على قبول المتكلم عن العمل المأمور به، كما يصدر الأمر في بعض معانيه المجازية عن قبول لدى المتكلم، إلا أنه يمكن الاستعانة ببعض المعاني المجازية لأسلوب الأمر لتدل على رفض المتكلم عن أمر ما تُفصح عنه العبارة، والأغراض المجازية التي تدخل في موضوع الرفض هي:

(١). التهديد: يستعمل المتكلم أحياناً فعل الأمر وهو لا يريد من المتلقي الإتيان بالعمل، بل على العكس من ذلك فهو يريد منه اجتناب ذلك العمل لأن ثمة عقوبة ستترتب عليه، فهو في مقام التهديد، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب في قوله تعالى:

□ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ □ (١٥٦٨)، فالله سبحانه لم

يأمرهم بالتمتع ليجعل مصيرهم إلى النار، فالأمر هنا ليس حقيقياً وإنما خرج إلى غرض التهديد، وفي هذا الاستعمال يختار المتكلم الفعل الذي يقوم به المتلقي أو ينوي القيام به ليستعمله بصيغة الأمر، ليوضح له علمه ورفضه لهذا العمل، ففي الآية الكريمة قال سبحانه (تمتعوا) وفي ذلك إشارة إلى أنهم قائمون بهذا العمل فجاء به ليكشف عن (غرضهم الفاسد الذي كانوا يخفونه ليكون أبلغ في فضاحتهم) (١٥٦٩).

ولاشك في أن غرض التهديد يؤثر في نفس السامع، ويوجد لديه حالة من الخوف؛ لأنه مهدد بأمر ما، ولذا صار التهديد أحد وسائل الترهيب لأنه يعمل على إيجاد حاجز نفسي بين المهدد والعمل الذي مُنع عنه، ومن البديهي أن يكون التهديد الصادر من الله سبحانه زاجراً حقيقياً لكل من لا يريد أن يعرض نفسه لغضب الله سبحانه.

ويمكن أن نقول إن المتكلم لا يلجأ إلى استعمال التهديد إلا في المواطن التي يرفضها رفضاً قاطعاً، ولا يريد حدوثها بأي شكل كان، فدرجة الرفض في هذا الأسلوب عالية

جداً، والآية الكريمة دليل على ذلك، فالرفض كان لمن (جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ)

والشرك بالله هو العمل الأكثر رفضاً على الإطلاق في شريعة الله سبحانه فهو الذنب

الذي لا يُعْتَفَرُ كما أخبرنا سبحانه بقوله: □ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ □ (١٥٧٠).

(٢). التعجيز: يُؤْتَى بفعل الأمر أحياناً لغرض تحدي المخاطب وإظهار عجزه وعدم قدرته

على القيام بالفعل (١٥٧١)، ويدل ذلك على رفض المتكلم لفكرة أن المقابل يمتلك القدرة على القيام بالفعل، فيُظهر ذلك الرفض عن طريق أسلوب الأمر الخارج إلى غرض

التعجيز، وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: □ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ □ (١٥٧٢)، فالآية الكريمة تحاور المشركين والرافضين

١. سورة إبراهيم: ٣٠ .

٢. الميزان: ٥٧ / ١٢ .

٣. سورة النساء: ٤٨ .

٤. ينظر علم المعاني - عتيق: ٨٧ .

٥. سورة لقمان: ١١ .

فكرة التوحيد عن طريق المجادلة لإفشال معتقداتهم الضالة وأفكارهم الخاطئة^(١٥٧٣)، وقد بين الله سبحانه لهم حقيقة السبيل الذي يسلكونه فـ ((أضربَ عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال))^(١٥٧٤). وهذا الأسلوب من أساليب الإقناع في القرآن الكريم فهو بمثابة مطالبة الخصم بتصحيح دعواه بإثبات كذبه في مدعاه^(١٥٧٥).

٣). الإهانة والتحقير: وهو أحد الأغراض التي يخرج إليها الأمر فهو (توجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره والإقلال من شأنه والإضرار به وتبكيته)^(١٥٧٦)، ونجد هذا في

قوله تعالى: □ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ □^(١٥٧٧)، فالفعل (ذُق) لا يتضمن طلباً حقيقياً، وإنما جيء به لإهانة المخاطب والاستهزاء به، واستعمل هذا الفعل، بصيغة

الأمر أيضاً في قوله تعالى: □ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ □^(١٥٧٨)، ففي الآية الكريمة دلالة واضحة على تحقير المخاطب فضلاً عن دلالتها على توعد (الذين فسقوا) بعذاب النار، وفي ذلك تخويف يؤدي إلى غرض الترهيب من الفسق وارتكاب المعاصي والآثام.

٤). التسوية: يأتي غرض التسوية لنفي رجحان احد الأمرين على الآخر، كما في قوله تعالى: □ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَّخَذَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ □^(١٥٧٩)،

وفي قوله تعالى: □ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

□^(١٥٨٠)، فالمتلقي هنا يظن رجحان الأمر الأول على الثاني، لان الإنسان في الدنيا يعلق فائدة على الإنفاق طوعاً وعلى الصبر لكن المنفعة لا تكون إلا بإذن الله تعالى، فإذا لم يتقبل سبحانه العمل فلا نفع لذلك العمل ولا فائدة سواء كان طوعاً أو كرهاً، وكذلك الصبر إن لم يعد بالنفع على صاحبه فلا فرق بين الصبر والجزع، وتوضح الآية الكريمة سبب انتفاء فائدة الصبر- الذي طالما نفع الإنسان - لأن عذاب الآخرة هو جزاء الأعمال فمن صبر عليه ومن لم يصبر سواء.

والتسوية التي يؤديها فعل الأمر تؤدي دلالة التوبيخ والتفريع وتؤثر في نفس السامع فتعمل على ترهيبه من نتائج تلك الأعمال.

ثانياً: النهي: الترهيب من الأغراض التي يخرج إليها النهي في القرآن الكريم، فكل الأفعال التي ترفضها الشريعة تنهي عنها بأسلوب يشوبه الزجر والقوة أحياناً لكي يكون رادعاً للإنسان

١. ينظر سورة يونس: ٣٨، أو سورة هود: ١٣ .

٢. الكشاف: ٤٩٢ / ٣ .

٣. أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي: ٢٣٣ - ٢٣٥ .

٤. علم المعاني - عتيق: ٨٨ .

٥. سورة الدخان: ٤٩، سورة الزمر: ١٧، سورة يس: ١١ .

٦. سورة السجدة: ٢٠ .

٧. سورة التوبة: ٥٣ .

٨. سورة الطور: ١٦ .

ومؤثراً في نفسه، كما في قوله تعالى: □ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً □ (١٥٨١).

وقد أثرنا أفراد مبحث لأسلوب النهي في هذا الفصل لما يتضمنه هذا الأسلوب من معاني متشعبة في سياق الرفض (١٥٨٢).

ثالثاً: الاستفهام: من بين الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام غرض الترهيب الذي

يظهر في قوله تعالى: □ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ إِذْ كَانُوا أَكْفَرًا * ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَعْمَلُ

بِالْمُجْرِمِينَ □ (١٥٨٣)، فالاستفهام يعمل على تخويف المكذبين بسوء العقاب ترهيباً لهم لكي يُعيدوا النظر في توجههم في طريق الإجرام والضلال.

وقد أفردنا مبحثاً لأسلوب الاستفهام، لتعدد المعاني التي يؤديها في موضوع الرفض، لاسيما الاستفهام الإنكاري (١٥٨٤).

ب. الإنشاء غير الطلبي.

أولاً: الذم: يؤدي أسلوب الذم في القرآن الكريم وظائف عدّة، منها غرض الترهيب من الشيء المذموم، وللذم في العربية - كما للمدح - صيغ قياسية وأخرى سياقية، ومن أمثلة الترهيب

بالذم قوله تعالى في فرعون: □ يَاقُوتَ بْنَ مَرْيَمَ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْمِعِي الْكَلِمَةَ وَأَطِيعِي أَمْرًا * وَأَنْتِ فِي

هَذِهِ لَعْنَةٌ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ نَسِسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ □ (١٥٨٥)، فالآية الكريمة تصور ورودهم على النار وذلك

مذموم لأن (الورد) إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، والنار ضده (١٥٨٦).
وقد أفردنا مبحثاً لأسلوب الذم لتشعب المعاني التي يخرج إليها في سياق الرفض (١٥٨٧).

ثانياً: التعجب: مثلما أفاد موضوع الترغيب من أسلوب التعجب، كذلك يستطيع موضوع الترهيب توظيف هذا الأسلوب لأداء دلالة الترهيب من خلاله، وقد استعمله القرآن الكريم

كما في قوله تعالى: □ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا كَفَرَهُ □ (١٥٨٨)، فعبارة (ما أكفره) (تعجب من إفراطه

في كفران نعمة الله، ولا ترى أسلوباً أغلظ ولا أخشن مساً، ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً في المذمة) (١٥٨٩)، وقد أدى التعجب غرض الترهيب من الكفر؛ لأن التعجب الحقيقي لا يُنسب إلى الله تعالى لأن ذلك محال عليه سبحانه.

وقال تعالى: □ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ

١. سورة الاسراء: ٢٢ .

٢. ينظر مبحث (اسلوب النهي) من هذا الفصل .

٣. سورة المرسلات: ١٥ - ١٨ .

٤. ينظر مبحث (اسلوب الاستفهام) من هذا الفصل .

٥. سورة هود: ٩٨ - ٩٩ .

٦. الكشاف: ٢ / ٤٢٦ .

١. ينظر مبحث (أسلوب الذم) من هذا الفصل .

٢. سورة عيس: ١٧ .

٣. الكشاف: ٤ / ٧٠٤ .

□ (١٥٩٠)، والتعجب من كيفية صبرهم على عذاب النار يفيد الترهيب من النار لأن الصبر على مثل ذلك العذاب أمر مثير للعجب؛ لأن النار في الآخرة عذاب ليس بعده عذاب .

يتبين لنا مما تقدم أن غرض الترهيب من أساليب الرفض؛ لأن المتكلم لا يلجأ إلى هذا الأسلوب إلا إذا أراد أن يردع المخاطب عن أمر ما، فهو يُفصح عن رفضه لهذا الأمر كما يعمل على محاولة نقل هذا الرفض إلى نفس المخاطب، واستعمال المتكلم لهذا الأسلوب دون غيره يظهر درجة عالية من الرفض، ويعمل أسلوب الترهيب على التأثير في نفس المتلقي لإيجاد مانع نفسي عن المرهب عنه لكي يبتعد عنه .

وتُعد أعراض الترغيب والترهيب من الطرق التربوية المهمة سواء أكانت للصغار أم للكبار؛ لأنها عوامل مؤثرة في توجيه سلوك الإنسان، لهذا أكدت الديانات السماوية عليها، ولهذا كثر ذكر الجنة والنار في القرآن الكريم .

المبحث الثالث

أسلوب الذم

أسلوب الذم: الذم نقيض المدح، يقال: ذمته فهو ذميم أي مذموم جداً، وشيء مذموم أي معيب^(١٥٩١)، و ((الذم لا يستعمل إلا لإظهار سوء بقصد التعيب))^(١٥٩٢).
ومثلما عبّر أسلوب المدح عن القبول، فإن أسلوب الذم تعبير صريح عن رفض نفسي للمذموم؛ لأن عبارات الذم كلام يجسد ما في نفس المتكلم من رفض، وهو كالممدح يتضمن محاولة المتكلم التأثير في السامع بأن يرفض كل ما يعرض عليه أو بعضه من خلال عرض الصفات الذميمة السيئة.
والفعل الرئيس للذم في اللغة العربية (بئس)، ويأتي الفعل (سَاء) بالمرتبة الثانية في أداء هذا المعنى، وتأتي بعد ذلك أساليب العربية لتعبر عن غرض الذم من دون استعمال الأدوات الخاصة لهذا الغرض.

وأسلوب الذم يشاطر أسلوب المدح في الاستعمال، وعليه سنجد هذا الأسلوب في القرآن الكريم إمّا أن يكون قياسياً وهو ما يؤدي بالأدوات والألفاظ المعروفة، أو أن يكون سياقياً وهو الغالب في التعبير القرآني.

❖ . الذم القياسي :

أدواته :

أ. (بئس) ورد هذا الفعل في تسعة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، جاءت (بئسما) في ثلاثة مواضع منها .
وبما أن أسلوب الذم يقابل أسلوب المدح؛ فإنه تركّز على ثلاثة محاور رئيسة في القرآن الكريم هي:

الأول: ذم العقائد الفاسدة من كفر ونفاق وإشراك وغيره، قال تعالى: □ نَسِئًا مَّرْكُوبًا كُذِّبَ بِهِ إِمَّا كُذِّ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ (١٥٩٣).

١. ينظر: تاج العروس: ١٩٢٥ / ٥ - ١٩٢٦.

٢. الكليات: ٤٥٤.

٣. سورة البقرة: ٩٣.

الثاني: ذم الأعمال التي لا ترضي الله سبحانه، قال تعالى: لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ □ (١٥٩٤).
الثالث: ذم نتائج الأعمال الطالحة، أو بيان سوء العاقبة، وهذا الغالب على آيات الذم، قال
تعالى: أَخَذَتْهُ الْمُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمَ وَكَبُرَ الْمَهَادُ □ (١٥٩٥)، وفي هذا المحور يكثر ذم المشوى
أو القرار أو المكان الذي سيؤول إليه صاحب الأعمال السيئة في الدنيا.
ب. (ساء) ورد هذا الفعل ثمانية عشر موضعاً و (ساعت) في خمسة مواضع، قال تعالى:
فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ (١٥٩٦)، وقال تعالى: فَأُولَئِكَ مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا □ (١٥٩٧)، وكانت معاني الذم تدور حول ما لا يرضي الخالق سبحانه من تكذيب لدعوة
الرسول وعدم التدبر وإتباع الأهواء، وارتكاب الكبائر وطاعة الشيطان، ووصول الكفار إلى
استحقاق العقاب الإلهي .
ج. الأفعال القياسية التي يقصد بها الذم: أسلوب المدح والذم في النحو العربي أسلوب واحد،
فمثلما وظفت العربية الأفعال الثلاثية لأداء مهمة المدح، كذلك يمكنها أداء معنى الذم من خلال
الطريقة ذاتها، فكل فعل ثلاثي استوفى شروط التعجب يجوز استعماله لغرض الذم، سواء كان
مضموم العين في الأصل أو ضُمَّت عينه لهذا الغرض، قال تعالى: كَبُرَ مَتَاعًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا نَا
تَمَكُونُ □ (١٥٩٨)، وفي ذلك ذم للقول بلا عمل.

❖ . الذم السياقي :

يعمل السياق على ترشيح الأساليب النحوية والبلاغية للتعبير عن غرض الذم من خلال كشف
الحقائق التي تبرز صفات المذموم، وفي هذا المجال يتحمل التركيب مسؤولية أداء هذا الغرض
دون الاعتماد على مفردات معينة، ومن أشهر أساليبه ما يأتي.
١. الذم بذكر الصفات السيئة: والذم في القرآن الكريم موجه إما للأفكار أو للشخصيات أو
للأعمال .

من أبرز الأفكار المرفوضة في شريعة السماء (الكفر) قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ مُدَا عِرْفَا
كَنْرُوا بِهِ فَلَمَّا عَلَى الْكَا فِرِينَ □ (١٥٩٩)، والكفر في الأصل يحمل دلالة الجحود؛ لأن ((الكفر تعظية
نعم الله بالجحود وهو بالدين أكثر والكفران أكثر استعمالاً في جحود النعمة والكفور فيها
جميعاً والكفار جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً والكفرة في جمع كافر النعمة أكثر
استعمالاً)) (١٦٠٠).

والكفر مذموم من حيث هو فكرة أو عقيدة، قال تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

-
٤. سورة المائدة: ٦٣ .
١. سورة البقرة: ٢٠٦ .
٢. سورة التوبة: ٩ .
٣. سورة النساء: ٩٧ .
٤. سورة الصف: ٣ .
٥. سورة البقرة: ٨٩ .
١. الكليات: ٧٦٣ .

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَذَضَّلَ ضَلَالًا بَعِيدًا □ (١٦٠١)، كما أن نتائجه مذمومة؛ لأن الناتج عن عقيدة سيئة يكون سيئاً، قال تعالى: □ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَعْتَبُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْجُورَةٌ □ (١٦٠٢)، ويلاحظ ذكر الصفات السيئة من خلال تشبيههم بالأنعام ((والقصد من وجود هذه الحيوانات في الصورة الفنية تبين تدني مستوى الكافرين وشناعة تصرفاتهم وبعدهم عن الصفات الآدمية)) (١٦٠٣).

ومن الأفكار المذمومة في القرآن الكريم (الشرك) والشرك في الأصل تدلّ على المشاركة بين أمرين، والشرك الوارد في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه:

الأول: الإشراف الذي يجعل مع الله إلهاً آخر، قال تعالى: □ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا □ (١٦٠٤).

الثاني: الشرك في الطاعة، أي طاعة الله تعالى: □ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ □ (١٦٠٥).

الثالث: الشرك في الأعمال وهو الرياء، قال تعالى: □ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا □ (١٦٠٦)، أي أحداً من خلقه (١٦٠٧).

وقد ذم القرآن الكريم (الشرك) بأساليب عدة أهمها ذكر الصفات السيئة لهذا الفكر وللمن تبناه ولعاقبته، قال تعالى: □ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا □ (١٦٠٨)، وتفسير القرآن الكريم من المشركين يعد ذمّاً لهم، قال تعالى: □ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَكَأَنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ □ (١٦٠٩)، وبين القرآن العاقبة السيئة لمن أشرك بالله، قال تعالى: □ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ □ (١٦١٠).

وذم القرآن الكريم (النفاق)؛ لأنه من الأفكار الهدامة للدين والمجتمع، قال تعالى: □ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ □ (١٦١١)، وذم المنافقون عن طريق التهكم ببيان عاقبتهم، قال تعالى:

٢. سورة النساء: ١٣٦.

٣. سورة محمد: ١٢.

٤. جماليات المفردة القرآنية: ١٣٣.

٥. سورة النساء: ٣٦.

٦. سورة الأعراف: ١٩٠.

٧. سورة الكهف: ١١٠.

٨. ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى: ٣٥.

٩. سورة النساء: ٤٨.

١. سورة القصص: ٨٧.

٢. سورة المائدة: ٧٢.

٣. سورة النساء: ١٤٢.

□ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا □ (١٦١٢)، وبيان سوء حالهم في قوله تعالى: □ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ تَعْدُهُمْ نَصِيرًا □ (١٦١٣)، في ذلك ذم لهم من خلال بيان منزلتهم، فهم ((في أدل منازل العذاب؛ لأن كفرهم أسوأ الكفر مما حفاً به من الرذائل)) (١٦١٤).

وأساليب ذم المنافقين في القرآن الكريم كثيرة، منها أسلوب التعريض وأسلوب إلزام المخاطب الحجة وغيرها، وقد ذم فكرهم وأعمالهم المشينة وصفاتهم وعاقبتهم (١٦١٥).

ومثلما صدر مدح للشخصيات في القرآن الكريم كذلك صدر ذم لشخصيات وأقوام أخرى من خلال وصفهم بالصفات الذميمة، من هذه الصفات (الكذب) قال تعالى: □ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ □ (١٦١٦)، وتكذيب الرسل مذموم على مدى العصور ومرافق للرسالات السماوية قال تعالى: □ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ □ (١٦١٧)، وقد ذم القرآن الكريم الأمم التي كذبت الرسل واستكبرت وأفسدت في الأرض.

وهناك شخصيات ظالمة ومفسدة في تاريخ البشرية وجّه القرآن الكريم ذمّه لهم من خلال ذكر صفاتهم السيئة من هذه الشخصيات فرعون، قال تعالى في وصفه: □ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَكْرِهٍ بِالْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ □ (١٦١٨)، وذم طريقته الخاطئة في قيادة قومه، قال تعالى: □ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَاهِدَى □ (١٦١٩).

ومن الشخصيات المذمومة في القرآن الكريم (قارون) (١٦٢٠) الذي أصابه الغرور بالثروة و (السامري) (١٦٢١) الذي أضلّ بني إسرائيل في اتخاذ العجل إلهاً لهم، ومن الشخصيات النسائية امرأة نوح وامرأة لوط، قال تعالى: □ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ □ (١٦٢٢).

ومن الشخصيات التي زامت الدعوة الإسلامية وذكر الاسم في ذم صريح في سورة حملت الكثير من معاني الذم، شخصية أبي لهب، قال تعالى: □ بَيَّتَ ابْنُ أَبِي لَهَبٍ وَبَيَّتَ مَا آغَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

٤. سورة النساء: ١٣٨.

٥. سورة النساء: ١٤٥.

٦. التحرير والتنوير: ٢٤٤ / ٥.

٧. ينظر: المدح والذم في القرآن الكريم: ٣١٠ - ٣٣٥.

٨. سورة الشعراء: ١٠٥.

٩. سورة آل عمران: ١٨٤.

١٠. سورة يونس: ٨٣.

١١. سورة طه: ٧٩.

١. ينظر: القصص: ٧٦.

٢. ينظر: سورة طه: ٨٥.

٣. سورة التحريم: ١٠.

كَسَبَ* سَيِّئًا نَامِرًا ذَاتَ كَهَبٍ □ (١٦٢٣)، في السورة مجموعة من أساليب الذم منها الدعاء عليه بالهلاك في قوله (تبت) و(افتتاح السور بالتباب مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد فذلك براعة استهلال، مثل ما تفتح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم) (١٦٢٤)، ومن أساليب الذم بيان سوء العاقبة من خلال الوعيد في الآية الثالثة .

ومن الشخصيات الغيبية التي لم يأت ذكرها إلا في سياق الذم (الشيطان) أو (إبليس)، وقد ورد ذمه في القصة القرآنية التي تحكي تكريم آدم (عليه السلام) وسجود الملائكة وامتناع إبليس، قال تعالى: □ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ □ (١٦٢٥)، ويلاحظ الذم من خلال عرض الصفات السيئة لهذه الشخصية، فبمخالفة الأمر الإلهي ((تبدأ خليقة الشر مجسمة في عصيان الجليل سبحانه والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله والعزة بالإثم والاستغلاق في الفهم)) (١٦٢٦).

وذمه متأتٍ من أفعاله السائرة بعكس تعاليم السماء، وأفعاله صادرة عن قبح صفاته التي تكثها نفسه الخبيثة، ويكشف لنا القرآن الكريم بعضاً من أفعاله السيئة في قوله تعالى: □ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ □ (١٦٢٧)، وتتجلى صورة الذم من خلال هذا التنفير والتحذير من هذا المخلوق ومن السير في طريقه المشؤوم .

المحور الثالث: فيما شمله الذم القرآني هو الأعمال المخالفة للشرائع السماوية وهي كثيرة توزعت على مدى العصور، منها ما صدر عن أقوام ومنها ما صدر عن جماعات صغيرة، ومنها ما صدر عن أشخاص معينين، من هذه الأعمال (الكذب) الذي يعد انحرافاً عن جادة استقامة الصدق التي أمرت وحثت عليها الشرائع، قال تعالى: □ وَكَيْفَلْنِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ □ (١٦٢٨)، ومن الجدير بالملاحظة أن الكذب المقصود هنا ما صدر عن اللسان لا (التكذيب) الصادر عن القلب؛ لأن ذلك ما يقابل (الإيمان) ويساير (الكفر) فهو من الأفكار لا من الأعمال كتكذيب الرسل والتكذيب بالآيات وبالساعة وبالحق.

ومن الأعمال التي تخالف نهج الشريعة وتعمل على تشويه أهداف الخليفة (الفساد) قال

تعالى: □ وَيَطْعَمُونَ مَا آَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ □ (١٦٢٩).

ومن الأعمال المذمومة التي تصدر عن جماعات من الناس (أكل السحت) قال تعالى:

-
٤. سورة المسد: ١- ٣.
 ٥. التحرير والتنوير: ٣٠ - ٦٠٠.
 ٦. سورة ص: ٧٤.
 ٧. في ظلال القرآن: ٦٨/١.
 ٨. سورة النور: ٢١.
 ١. سورة التوبة: ١٠٧.
 ٢. سورة البقرة: ٢٧.

□ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ بَلِّسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ (١٦٣٠)، وذم القرآن الكريم مَنْ عبد العجل من قوم موسى (عليه السلام) بقوله تعالى: □ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ □ (١٦٣١).

وبعض الأعمال نُسبت إلى شخصيات معينة جاء ذكرها في القرآن الكريم، فوقع الذم على العمل كما وقع على الشخصية، قال تعالى: □ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا فَلَمْ يُبْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ □ (١٦٣٢)، ويمكن أن يأتي الذم القرآني على لسان أفراد المجتمع الذين رأوا في الأعمال المذمومة مجالاً للانتقاد كما حصل لامرأة العزيز التي تعرضت للنقد الاجتماعي جراء عملها المرفوض اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً، قال تعالى: □ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ □ (١٦٣٣).

و الأعمال المذمومة في القرآن الكريم كثيرة لا مجال لحصرها في هذه الدراسة لسعتها، منها ما يتعلق بالانحراف السلوكي للإنسان في علاقته مع الخالق سبحانه، ومنها ما يتعلق بالانحراف السلوكي في علاقة الإنسان مع الإنسان أو مع المجتمع، ومنها ما يتعلق بعلاقة الإنسان مع نفسه، وكلها تُشكل ظاهرة ميل عن جادة الصواب أو انحراف عملي عن الصراط المستقيم الذي أوضحت معالمه شرائع السماء.

٢. ضرب الأمثال السيئة: مثلما كان ضرب المثل الحسن يُعدُّ مدحاً، فإنَّ ضرب المثل السيئ يُعدُّ ذمّاً، ومن الأمثال القرآنية التي جاءت في صدد الذم قوله تعالى: □ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ

كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ □ (١٦٣٤)، فنجد معاني الذم في تشبيه أعمالهم بـ (رمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف) فقد (تشبَّهت أعمال الكفرة ومساعدتهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها بالرماد الذي تذرّوه الريح وتفرقه لشدّته حتى لا يبقى أثر ولا يجتمع منه شيء) (١٦٣٥)، وهذه الآية تصور لنا مشهداً توصل من خلاله حقيقة ضياع أعمال الكفار؛ لأنَّ ((هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار.. مفككه كالهباء والرماد ولا قوام لها ولا نظام)) (١٦٣٦).

وتريد الآية الكريمة معاني الذم في قوله تعالى: □ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ □ (١٦٣٧)، لتظهر عجز هؤلاء عن الانتفاع بتلك الأعمال غير الصالحة، وختمت الآية بقوله تعالى: □ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ □ (١٦٣٨)، تأكيداً على ضلالهم.

٣. سورة المائدة: ٦٢.
٤. سورة البقرة: ٥١.
٥. سورة التحريم: ١٠.
٦. سورة يوسف: ٣٠.
١. سورة إبراهيم: ١٨.
٢. المحرر الوجيز: ١٠٥٢.
٣. في ظلال القرآن: ١٤٧/٥.
٤. سورة إبراهيم: ١٨.
٥. سورة إبراهيم: ١٨.

وتعد آيات التمثيل والتشبيه من بدیع دقة التعبير وإیصال المعانی الكبيرة بصور موجزة، من ذلك قوله تعالى: □ مَكَلُّهُ كَمَلِّ الَّذِي اسْتَوْفَدْنَا مَرَاً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَسُكَّرَهُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَصِيرُونَ □ (١٦٣٩).

وتظهر لنا معاني الذم واضحة في قوله تعالى: □ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْمَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوا كَمَلِّ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ □ (١٦٤٠)، ففي الآية ذم لسلك هؤلاء فقد ((ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لاحظ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم)) (١٦٤١)، وتشبيهم بالحيوان ((لإظهار الجهل والبلادة وذلك في الحمار أظهر، ومنها إن في الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون في غيره)) (١٦٤٢).

وتستمر الآية في سياق الذم من خلال فعل الذم (بئس) في قوله تعالى: □ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ □ (١٦٤٣)، وجاء أحد معاني الذم في إظهار صفة الكذب عندهم، وخصت الآية ببيان بعدهم عن الهداية الإلهية في قوله تعالى: □ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ □ (١٦٤٤)، وفي كل هذا الذم ((تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لنلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء)) (١٦٤٥).

ومتلما حمل ضرب المثل الحسن دلالة على رضا المتكلم على المذكور في المثل، كذلك يحمل ضرب المثل السيئ دلالة على رفض المتكلم أو سخطه على المذكور في المثل سواء أكان فكراً أم شخصاً أم عملاً.

-
٦. سورة البقرة: ١٧.
 ٧. سورة الجمعة: ٥.
 ١. التحرير والتنوير: ٢٨/٢١٣.
 ٢. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: ٣٠٨.
 ٣. سورة الجمعة: ٥.
 ٤. سورة الجمعة: ٥.
 ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ٩٤.

المبحث الرابع

أسلوب الاستفهام

يُعدُّ أسلوب الاستفهام من أهم وسائل إثارة الحوار، ويمتلك هذا الأسلوب تنوعاً في الأدوات والصيغ، والاستفهام الاستنكاري يخرج عن غرض طلب الفهم إلى معانٍ مجازيةٍ كأن يراد به التوبيخ للإقناع والاحتجاج فيؤدي معاني التعجب والتعجيز والإقناع والإنكار وغيرها .

ومن أمثلة الاستفهام الإنكاري قوله تعالى: □ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ**

إِنثًا □ (١٦٤٦)، والآية خطاب للمشركين ورد على أفكارهم المضلّة وتكذيب لهم، وغرض هذا الأسلوب وفائدته ((ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب)) (١٦٤٧).

١. سورة الإسراء: ٤٠ .

٢. دلائل الإعجاز: ٩٤ .

ويؤدي الاستفهام معنى التوبيخ، فيظهر رفض المتكلم، من ذلك قوله تعالى: □ أَفَعَدَابَتَا

يَسْتَعْجِلُونَ □ (١٦٤٨)، ولآية (هي تكبيت لهم بإنكارهم وتهكم) (١٦٤٩).

كما يؤدي أسلوب الاستفهام غرض التكذيب والتحدي، وهي من دلالات الرفض عند المتكلم، كما في قوله تعالى: □ قَالُوا أَجِئْنَا لَتُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا □ (١٦٥٠).

كما يظهر أسلوب الاستفهام معاني آخر غير الإنكار تدخل في سياق الرفض، لاسيما رفض الأفكار من ذلك قوله تعالى: □ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى □ (١٦٥١)، ففي ذلك تقرير يخاطب العقول الراضية لهذه الحقيقة التي تحتاج إلى التأمل والتفكير.

ومن المعاني التي يخرج إليها الاستفهام في سياق الرفض النفي كما في قوله تعالى: □ هَلْ

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا □ (١٦٥٢)، أي لا يستوي، ويأتي التعجب عن طريق الاستفهام، وهو يظهر إحدى صور

الرفض عند المتكلم، كما في قوله تعالى: □ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ □ (١٦٥٣)، فهم متعجبون من هذه الحالة؛ لأن عقولهم ترفضها.

ويحمل غرض (التحقير) صورة جلية من صور الرفض الشديد، يبين ذلك قوله تعالى على لسان

الكفار: □ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا □ (١٦٥٤)، وذكر اسم الإشارة بدلاً عن التصريح بالاسم يعد من أساليب تصغير الشأن، وقولهم (بعث الله رسولا) وهم منكرون لبعثته فهو على طريق التهكم والاستهزاء (١٦٥٥).

ويخرج أسلوب الاستفهام لغرض الوعيد، والوعيد لا يأتي إلا في سياق الرفض، منه قوله تعالى:

□ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ □ (١٦٥٦)، ولم تفصح الآية عن جزاء من افتري على الله الكذب فقد بقي أمر الجزاء مبهماً (١٦٥٧)، وفي ذلك إمعان في التخويف، ومنه أيضاً قول فرعون للسحرة إن حمل على انه وجه الخطاب بأسلوب الاستفهام الذي حذفته أدواته كما في قوله تعالى: □ قَالَ فِرْعَوْنُ

٣. سورة الشعراء: ٢٠٤.

٤. الكشاف: ٢٣٨ / ٣.

٥. سورة يونس: ٧٨.

٦. سورة القيامة: ٤٠.

٧. سورة هود: ٢٤.

٨. سورة الفرقان: ٧.

١. سورة الفرقان: ٤١.

٢. ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٠ / ٦.

٣. سورة يونس: ٦٠.

٤. ينظر: الكشاف: ٣٥٤ / ٢.

أَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَلَ لَكُمْ □ (١٦٥٨)، فإن كانت الآية بأسلوب الاستفهام، فإنه يؤدي غرض التهديد والوعيد، والدليل على ذلك العقوبة التي أنزلها بهم نتيجة إيمانهم .

ويرد الاستفهام كثيراً في آيات الجدل، فيظهر رفض الأفكار عن طرفي الحوار، كما في قوله تعالى على لسان منكري البعث: □ وَكَأَنوَا يَقُولُونَ أَنَذَا مُتْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ □ (١٦٥٩)، وكذلك في قوله تعالى: □ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ □ (١٦٦٠).

ومن المعاني التي يؤديها الاستفهام (التبكييت) وفيه إظهار لمعاني الرفض، كما في قوله تعالى: □ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَكَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ □ (١٦٦١)، ففيه لوم للمخاطب وتبكييت؛ لأنه لا يملك الإجابة.

وورد الاستفهام في معنى (العتاب) وهو من صور الرفض أيضاً، كما في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم (عليه السلام) لأبيه: □ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا □ (١٦٦٢)، وفي ذلك عتاب على عبادة الأصنام المرفوضة في فكر النبي (عليه السلام).

وبهذا يظهر لنا أهمية أسلوب الاستفهام في سياق الرفض من خلال المعاني التي يؤديها، ويعمل السياق على مساعدة هذا الأسلوب بالقرائن اللفظية لإظهار المعنى الدقيق الذي أراده المتكلم.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد رحلة البحث الطويلة في صفحات القرآن الكريم باحثاً عن مواطن القبول والرفض فيه توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- سعة اللغة العربية وقدرتها الكبيرة على أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة، ودقتها في امتلاك كل أسلوب مميزات دلالية ينفرد بها عن غيره من الأساليب، وكلما كان المتكلم متبحراً في اللغة كان

٥. سورة الأعراف: ١٢٣.

٦. سورة الواقعة: ٤٧ - ٤٨.

٧. سورة الواقعة: ٦٣ - ٦٤.

٨. سورة النمل: ٨٤.

٩. سورة مريم: ٤٢.

- كلامه أكثر دقة، لأنه يستعمل الأشياء في مواضعها، فكيف بالقرآن الكريم الذي هو من لدن لطيف خبير، فقد وظف اللغة بكل طاقاتها التعبيرية، وقد منح المجازُ اللغةَ سعةً في التعبير.
- يمتلك التعبير القرآني إشعاعاً دلاليّاً، ففيه معنى ظاهر ومعنى باطن يستعين بالقرائن اللفظية والعقلية للاستدلال إلى المعنى المقصود، وإن من أسباب الاختلاف في التفسير أن القرآن الكريم يخاطب كل المستويات العقلية، لذا كلُّ يجد فيه ضالته وكل يتزود منه بحسب قدرته على التزود .
- القبول والرفض النفسي هو الأصل في كل قبول ورفض، وما الأقوال إلا انعكاس لما تحققت القناعة به.
- الأساليب تستعين بالألفاظ لأداء المعاني، والألفاظ تستعين بالأسلوب لأداء المعنى المطلوب منها.
- بعض الألفاظ التي تدل على القبول يأخذها السياق أحياناً إلى حدود الرفض، وكذلك ألفاظ الرفض يمكن أن تؤدي دلالة القبول.
- تؤدي الأساليب معاني متداخلة من خلال الاستعمال المجازي، فالترهيب يؤدي معنى النهي كما أن النهي يخرج أحياناً إلى غرض الترهيب.
- اهتم علماء الأصول بدلالة الأمر والنهي في القرآن الكريم أكثر من علماء العربية؛ وذلك لعلاقة الأمر والنهي بالأحكام الشرعية، وغالباً ما يجمع الأمر والنهي في آية واحدة وذلك يفيد ضرباً من التوكيد.
- يدور القبول والرفض الإلهي في القرآن الكريم بين معاني التحريم والكرهية والإباحة والمندوب والحلال، ويُعد قبول الأنبياء والصالحين ورفضهم الوارد ذكرهم في القرآن الكريم يُعد انعكاساً للقبول والرفض الإلهي، لأنهم تخلقوا بأخلاق الشرائع السماوية فجدوا أنموذجاً لخليفة الله في الأرض.
- استعمل القرآن الكريم الترغيب والترهيب لأغراض كثيرة أولها عامل تربوي لتهذيب النفوس، ثانيها توضيح حدود الشريعة فيما ترضاه وما ترفضه، ثالثها يدعو القرآن لاستعمال هذا الأسلوب في تربية النشء لما له من تأثير في النفوس.
- إن الدعاء القرآني جاء على لسان العباد، إلا أنه يتضمن الكثير من مواطن القبول والرفض الإلهي، فكل أمر في الدعاء يتجلى فيه القبول الإلهي لهذا العمل لعباده، وكل نهى في الدعاء يتجلى فيه الرفض الإلهي لتلك الأمور لعباده.
- يثبت لنا القرآن الكريم نظرية مهمة في الحياة، وهي أن الإنسان إذا رضي بمعنى آمن وعمل بتعاليم الشريعة قابله رضى إلهي عنه، وكلما ازداد إيمانه كلما ازداد الرضى الإلهي عنه، والعكس صحيح، أي أن الإنسان الكافر أو المشرك أو العاصي كلما ابتعد عن الإيمان بالله وتنفيذ

أوامره سبحانه كلما قابله رفض الهي، ويزداد هذا الرفض بازدياد البعد والجفاء والعناد، وقد أُستعمل أسلوب الشرط كثيراً في هذا المجال، فإذا عمل المرء عملاً صالحاً أدى به إلى العاقبة الحسنة والعكس صحيح.

- كان لأسلوب الجدل وأسلوب الاستفهام الاستنكاري حضور متميز في سياق الرفض، وجاء أسلوب الاستثناء ليُخرج أمراً مقبولاً من مجموعة مرفوضات أو بالعكس.

المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم .
- الإبهاج في شرح المنهاج، شيخ الإسلام أبو الحسن علي عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ) وولده عبد الوهاب السبكي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الإتيان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط ٣، مصر، ١٩٥١م.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان، لأبي حاتم محمد بن حبان السبتي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، (د. ت).
- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، بيروت، ١٩٨٣.
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)، القاهرة، محمد مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦ هـ، ١٩٣٧ م.
- الأزهية في علم الحروف، أبو الحسن علي بن محمد الهروي (نحو ٤١٥ هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧١ م.
- أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، الشيخ طه عبد الله محمد السبعوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د. ت).
- أسرار العربية، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت ٥٧٧ هـ)، نشره سيبولد، لندن، ١٨٨٦ م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤ م.
- أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، نجوى عبد الغفور، قدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته، شاعر عبد الجبار، مطبعة اسعد، بغداد، ط ١، ١٩٨٤ م.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ)، تحقيق: محمد بن الحسن بن إسماعيل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر (د. ت).

- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار العلوم الحديثة مصر، ط ١، ١٣٢٨هـ .
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للفتية المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، النجف، ١٩٧٣م.
- الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦٣م.
- الأضداد في اللغة، لأبي بكر الأنباري، مصر، ١٣٢٥هـ .
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٢، (د. ت).
- الألسنية، علم اللغة الحديث، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
- أمثال القرآن، آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي، إعداد وتنظيم أبو القاسم عليان نزاوي، تعريب تحسين البديري، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، توزيع: نسل جوان للطباعة والنشر، ط ١، قم، ١٤٢٤هـ . ق .
- الأمر في نصوص التشريع الإسلامي ودلالاته على الأحكام، محمد سلام مذكور، دار النهضة العربية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق لجنة من الأساتذة مكتبة المثنى، بغداد.
- البحر المحيط، لأبي يوسف عبد الله بن محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ط ١، مصر، ١٣٢٨هـ .
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مصر، ١٩٥٧م.
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، الدكتور: فضل حسن عباس، ط ٢، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٣م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الكويت، وزارة الإرشاد، ١٩٦٥ - ١٩٧٩ م.
- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٩، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسين بن علي بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، النجف الأشرف، ١٩٦٩ م.
- التحرير والتوير، للشيخ محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تأليف المحقق المفسر العلامة المصطفوي، المطبعة: اعتماد، الناشر: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، إيران، ط ١، ١٣٨٥ هـ.
- التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية، هادي نهر، بغداد، ١٩٧٨ م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الكلبي (ت ٧٤١هـ)، ط ١، مصر، ١٣٥٥ هـ.
- تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول، عطية محمد سالم وحمود بن عقلا، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (د. ت).
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، بيروت، ١٩٦٩ م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، ط ١، مصر، المطبعة المصرية (١٣٤٧ هـ - ١٩٤٨ م).
- تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، دار ابن حزم للطباعة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٣٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمود شلتوت، دار الشرق، بيروت، ط ١، ١٤٥٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد عمر بن الحسين القرشي التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط ٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن بكر الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد، بغداد، ١٩٥٦م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر بن محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن عبد الله المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط ١، حلب، ١٩٧٣م.
- جواهر البلاغة، في المعاني البيان والبيدع، لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (د.ت).
- حاشية السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مطبوعة مع كتاب (الكشاف).
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩١هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٢، دار الهدى، بيروت.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، ط ١، القاهرة، ١٩٧٢م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين، د. طاهر سلمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- ذرة التنزيل وغرّة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الدعاء في القرآن الكريم، د. محمد محمود زوين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- دلالات التراكييب، د. محمد أبو موسى، مكتبة موهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
 - الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، د. علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة، بغداد، ط ١، ١٩٨٤م .
 - دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له: د. كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، القاهرة، ١٩٧٢م.
 - رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، ١٩٧٥م .
 - روح البيان، اسماعيل البروسوي، طبعة جعفري، طهران.
 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء محمد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
 - الزمن في النحو العربي، د. كمال إبراهيم بدري، دار أمية للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
 - سورة الرحمن وسور قصار، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر .
 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١٣، القاهرة، ١٩٦٢م .
 - شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، مصر، ١٩٥٥م .
 - شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) .
 - شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت).
 - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الانصاري جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
 - شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١١، القاهرة، ١٩٦٣م .
 - شرح الكافية في النحو، لابن الحاجب، لرضي الدين الاسترابادي (٦٨٦هـ) دار الكتب العلميّة، بيروت.
 - شرح المفصل، لموفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت .
 - شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ويتضمن:
- أ. مختصر سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ).

- ب. مواهب الفتح، لابن يعقوب المغربي.
- ج. عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ).
- د. الإيضاح، للقرظيني .
- هـ. حاشية الدسوقي على شرح السعد.
- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: مصطفى الشويمى، بيروت، ١٩٦٤م .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربى، مصر .
- صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، طبع فى ألمانيا الغربية شتوتغارت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الصورة الفنية فى المثل القرآنى، دراسة نقدية وبلاغية، د. محمد حسين على الصغير، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م .
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣٢هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوى (ت ٧٤٩هـ) - مصر، ١٩١٤م .
- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د. السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- الظاهرة الجمالية فى القرآن الكريم، نذير حمدان، ط ١، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
- علم الدلالة، بياجيرو، ترجمة انطوان ابو زيد، منشورات عويدات، ط ١، ١٩٨٦م.
- علم الدلالة، كلود جرمان و ريمون لوبلان، ترجمة الدكتورة نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤م.
- علم الدلالة، ف - بالمر، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥.
- علم الدلالة، أصوله ومباحثه فى التراث العربى - دراسة -، منقور عبد الجليل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- علم الدلالة، دراسة وتطبيقاً، تأليف الدكتورة نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ط ١، ١٩٩٥.
- علم المعانى تأصيل وتقييم، د. حسن طبل، مكتبة الايمان، المنصورة أمام جامعة الأزهر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى، د. بسيونى عبد الفتاح فيود، ط ٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م .

- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي السامرائي، الجمهورية العراقية، ١٩٨١ م.
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري (ت ٧٣٨هـ) تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- فروق اللغات، نور الدين الجزائري، مطبعة فرهنگ إسلامي، إيران، طهران.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- الفن القصصي في القرآن الكريم مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم، محمد أحمد خلف الله، ط ٤، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، لندن، بيروت، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- في ظلال القرآن، سيّد قطب (ت ١٩٦٥م)، ط ٧، دار إحياء التراث العلمي بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- الكافي، محمد الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الكامل في التاريخ، لعز الدين علي بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الكتاب، لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، ١٩٧٧ م.
- كتاب الأفعال، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع (ت ٥١٥هـ)، ط ١، بيروت، ١٩٨٣م.
- كتاب اللامات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دمشق، ١٩٦٩م.
- كشف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي النهاوني، تحقيق: (لطي عبد البديع، مصر، ١٩٦٣-١٩٧٧ م.
- الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر - بيروت.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، للإمام علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري (ت ٧٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، ترتيب د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ)، بيروت، ١٩٥٦.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، الجزائر، ط ١، ١٩٨٦.
- اللسانيات والدلالة (الكلمة)، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري - حلب - ط ١، ١٩٩٦.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، مصر، ١٩٧٣م.
- لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ط ١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة الدكتور عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٧.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (ت ٦٣٧هـ) تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مصر، ١٩٦٠ - ١٩٦٢م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ) تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط ٢، بيروت، ١٩٨١م.
- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، اصدار دار الكتب العلميّة، مطبعة الآداب في النجف الأشرف (د. ت).
- مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسول الحamlاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
- المُحتَسَبُ في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، و د. عبد الحلیم النجار، و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٦٦ - ١٩٦٩م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده الأندلسي (علي بن اسماعيل) (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصّار، ط ٢، البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨م.
- المدح والذم في القرآن الكريم، د. معن توفيق دحام الميالي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، ١٩٧٤م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، اللواء الركن، محمود شيت خطاب، ط ١، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ):
ج ١، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، مصر ١٩٥٥م.
ج ٢، تحقيق: محمد علي النجار، مصر ١٩٦٦م.
ج ٣، تحقيق: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصف، مصر، ١٩٧٣م.
- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.
- معجم الأغلاط، محمد العدناني، مكتبة لبنان، بيروت.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- المعجم في فقه لغة القرآن وسر فصاحته، إعداد: قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية، بإشراف وإشراف الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط ١، ١٤١٩هـ . ق.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، ١٣٧٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٦٥ أو ٥٠٢هـ)، نشره: د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية (د. ت).
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المقتضب، لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ .
- من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، دار النهضة للطباعة، مصر ١٩٧٧م.
- المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت .
- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق، وهو إبراهيم بم موسى الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ)، وعليه شرح وتخريج ونقد بقلم الشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، المطبعة الرحمانية بمصر (د.ت).
- موسوعة الفقه الإسلامي، بإشراف محمد أبو زهرة، جمعية الدراسات الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، تأليف الشيخ الإمام علاء الدين شمس النظر أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي (من علماء القرن السادس) دراسة وتحقيق وتعليق: د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، مطبعة الخلود، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- نحو الفعل، د. أحمد عبد الستار الجواري، بغداد، ١٩٧٤م .
- النحو الوافي، تأليف: عباس حسن دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٤م .
- همع الهوامع شرح جمل الجوامع في علم العربية، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت .

● الرسائل الجامعية :

- الإباحة والمنع في القرآن الكريم، دراسة دلالية في الألفاظ والأساليب، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
- أساليب التعجب في القرآن الكريم، دراسة دلالية، حاتم حسين علي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- الأمر والنهي عند علماء العربية و الأصوليين، ياسين جاسم المحيمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الربيعي، رسالة

- ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨م .
- دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش مصطفى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الرفض في الخطاب القرآني (السور المكيّة) دراسة فنيّة، هوازن عزة إبراهيم، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayer and peace be upon the prophet Mohammad, lord of creatures, and his most honest household. It is well-known that the Quranic semantics has been cared of by the ancient and modern linguists. All the Arabic sciences have been built upon to achieve accurate knowledge of the Holy Quran. The researcher, in this respect, has to read the Arabic lexicons, then the interpretation books of grammarians and rhetoricians, ending with modern semantic books. He will find himself, after all this effort, facing divine abundant outcome, because all that have been related by the

Quranic studies and researches are still glowing, giving life to everybody, and supply existence with light to disperse all kinds of gloominess. The researcher is still puzzled, exclaiming what he could say after what had been said by the scholars and scientists, but he will find but through coexisting with the Holy Quran that Quran is so noble with everlasting gifts. This is because Quran is the creation of Allah, the unlimited power creator Whose words can penetrate all time and spatial limits. The researcher will find out that the Holy Quran opens new horizons every time, because it is a miraculous book that will never be used up by studies, but increases in glowing and generosity. The evidence is what has been proved throughout the past centuries that assisted its being

a continuous source that will not be used up at all ...like an endless sea.

It is well-known by all that the Quranic terms are so significant, so well-formed in an artful intended way in its proper place. .If any term is omitted, it is done with intention...and if the place is changed, it is done also with intention.

The older studies cared of the Quranic pronunciations and :heir semantics. The most important books dealing with this aspect are " al-Ashbah wa al-Nadha'er" for Muqatil bin Sulaiman and others.

Acceptance and refusal are the most important motives that make one express them by words or actions, therefore we can Determine man's attitude of an issue by his words and actions. Acceptance and refusal in the Holy Quran deal with points of acceptance and refusal in pronunciation and structures, so the research included four chapters distributed to two sections: the :1rst is the pronunciation of .acceptance and refusal in the Holy Quran. The first chapter deals with the acceptance pronunciation, and the second deals with refusal pronunciation, The second section deals with the style of acceptance and refusal and is divided into two parts : the first is acceptance and involves the style of command, style of wishing and hope,, style of praising, style of awakening of a desire. The second chapter

deals with styles of refusal involving prohibition, terrifying, use and exclamation.

Research ends with the significant difficulties the research faced. among them: the extended scope of the subject, there are some utterances whose semantics need whole books to talk about and deal with. For that reason I tried to abbreviate as much as possible without default in the investigation research methods.

After research has been accomplished, I do not claim its being perfect....Allah is the only perfect.... man has to seek knowledge, and Allah is the granter.



*University of Kufa
College of Education for Girls
Department of Arabic Language*

Acceptance and Refusal of Meanings in the Holy Quran -A Study of Terms and Styles-

*A Thesis
Submitted to the Council of the College of Education
for Girls University of Kufa
In partial Fulfillment of the Requirements for the (Ph. D.)
Degree in the Arabic Language and Literature*

By

Fadheela Abdul – Abbas Hasan Al - Asadi

Supervised by

Prof. Dr. Ali Kadhim Mishri

1430 A.H.

2009 A.D.